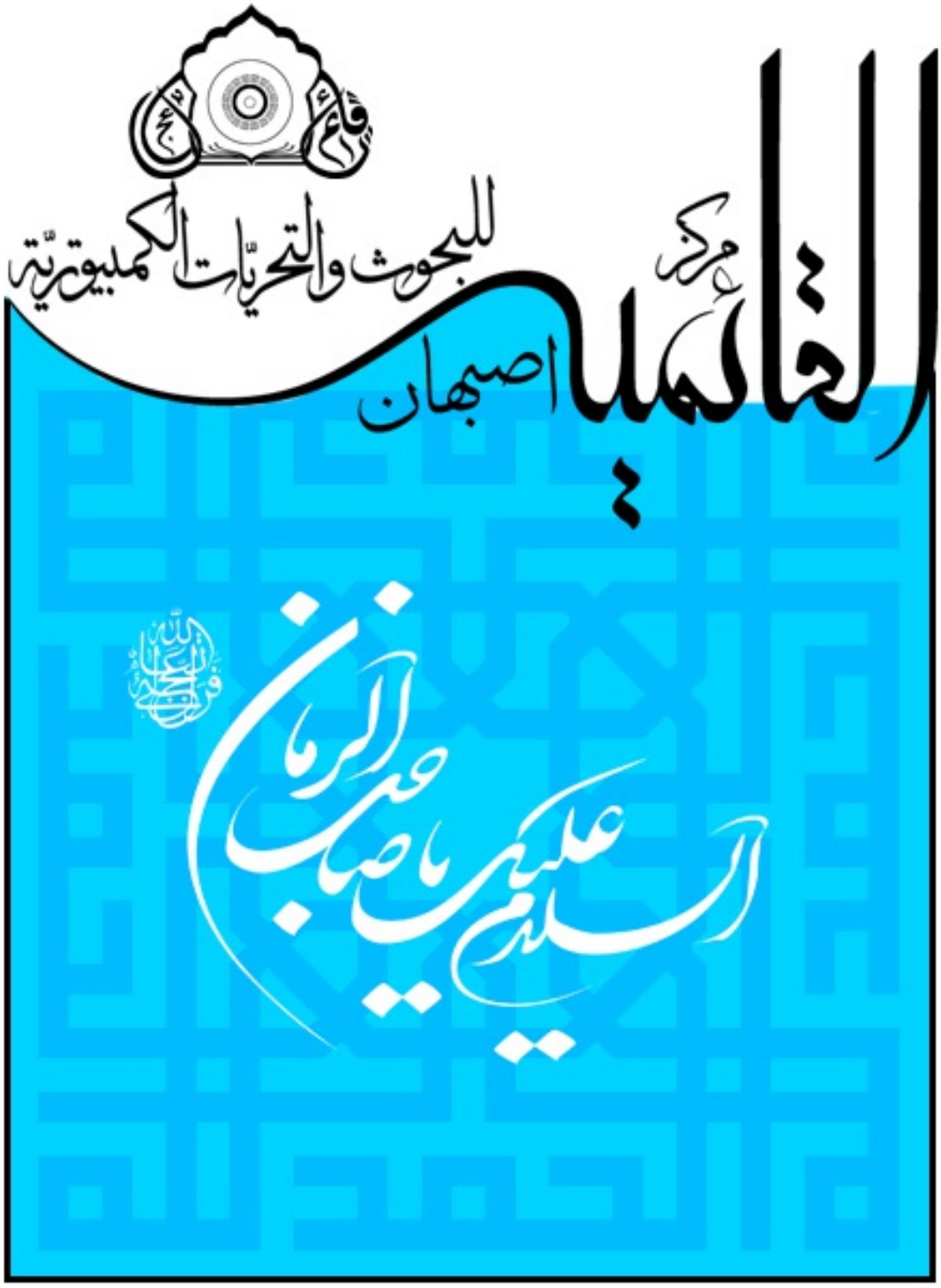

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

٢

العقائد الإسلامية

يشتمل على مسائل الكفر والمعرفة

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

العقائد الاسلاميه:عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشيعه

كاتب:

آيت الله سيد على حسينى سيستانى

نشرت فى الطباعة:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
العقائد الاسلامیه عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشیعه المجلد۳ ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۳) ----- ۱۴
مقدمة ----- ۲۰
تعریف الشفاعة و تاریخها ----- ۲۰
موقع الشفاعة من الرحمة الإلهیة ----- ۲۰
شبهة حول أصل الشفاعة ----- ۲۱
مثال لتقریب فهم عقیدة الشفاعة ----- ۲۱
محاولات المستشرقین التشکیک فی الشفاعة ----- ۲۲
تهافت منطق الوهابیین فی الشفاعة والاستشفاع ----- ۲۲
تعریف الشفاعة فی اللغة ----- ۲۵
تعریف الشفاعة عند المتکلمین ----- ۲۷
تحریف الیهود والنصاری للشفاعة ----- ۲۸
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم ----- ۲۸
عراقة عقیدة الشفاعة ----- ۲۸
شفاعة ابراهیم للمؤمنین و لاسماعیل و لوط ----- ۲۹
شفاعة زکریا لبنی إسرائیل ----- ۲۹
البشارة بالشفیع الذی سیأتی (البراقلیطس) ----- ۲۹
توسیع بولس للشفاعة و حصرها بالمسیح ----- ۲۹
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرن ----- ۳۲
الشفاعة عند عرب الجاهلیة ----- ۳۷
عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن ----- ۳۷

مکانة اللات والعزی عند مشرکی العرب ----- ۳۸
الیمین الرسمی المقدس عند قریش باللات والعزی ----- ۳۹
بعض الصحابة کانوا یقسمون باللات والعزی ----- ۴۰
اعتقاد قریش بنفع اللات والعزی و ضرهم ----- ۴۰
مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قریش ----- ۴۱
و تمسک سدنة اللات والعزی بهما إلی آخر نفس ----- ۴۱
و حطم النبی کل الأصنام ----- ۴۲
و اخترعت قریش قصة الغرانیق انتصارا للات والعزی ----- ۴۲
البخاری و مسلم رویا فریة الغرانیق ----- ۴۵
نماذج من ردود علماء مذهب أهل البیت علی فریة الغرانیق ----- ۴۶
تنبؤ عمیق للنبی حول اللات والعزی ----- ۴۹
کلیات الشفاعة فی القرآن ----- ۵۰
آیات الشفاعة و عناوینها ----- ۵۰
الشفاعة الحسنة والشفاعة السیئة فی الدنی ----- ۵۰
الشفعاء یوم القیامة یشفعون بعهد من الله تعالی ----- ۵۰
الاولیاء المکرمون ینفعون مواهیم بفاعتهم ----- ۵۰
الشهداء بالحق شفعاء ----- ۵۰
الملائکة یشفعون للناس بإذن الله تعالی ----- ۵۰
الشفیع الأکبر ----- ۵۰
لا شفاعة من دون الله تعالی ----- ۵۰
لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه ----- ۵۱
الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم ----- ۵۱
لا شفاعة فی یوم القیامة کشفاعة الدنی ----- ۵۱
الکفار یبحثون بحثا حثیثا عن الشفعاء ----- ۵۱

لا شفاعة للظالمين ----- ۵۲
شفاعة نبينا ----- ۵۲
تفسير (المقام المحمود) لنبينا ----- ۵۲
تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا ----- ۵۹
تفسيرهم الذى فيه تجسيم ----- ۶۰
القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية ----- ۶۱
انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش ----- ۶۲
تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيک ربک فترضى) ----- ۶۳
تفسير الآية بالعطاء الالهى الاعم من الشفاعة ----- ۶۴
تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا ----- ۶۴
تفسيرها بشفاعة النبى لأهل بيته خاصة ----- ۶۶
تفسيرها بشفاعة النبى لجميع أمته ----- ۶۸
ملاحظتان ----- ۶۹
حدود الشفاعة ----- ۷۰
المذاهب فى حدود الشفاعة (من ارتضى) ----- ۷۰
حدود الشفاعة عند أهل البيت ----- ۷۱
ما دل على استثناء المشرک والظالم من الشفاعة ----- ۷۱
اصناف من الناس موعودون بالشفاعة ----- ۷۴
من قضى لأخيه المؤمن حاجة ----- ۷۴
من سعى فى حوائج ذرية النبى ----- ۷۴
من زار قبر النبى ----- ۷۴
من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى ----- ۷۵
من يدعو للمؤمنين ----- ۷۵
شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء ----- ۷۵

من شیع جنازة مسلم ---- ۷۵
من حفظ علی أمتی أربعین حدیثا ---- ۷۶
من عاهد أخاه المؤمن علی الشفاعة ---- ۷۶
مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة ---- ۷۶
اصناف لا تنالهم الشفاعة ---- ۷۷
السلطان الظالم الغشوم ---- ۷۷
المنان والبخیل والنمام ---- ۷۸
الذین یخرجون من النار بالشفاعة یکونون أدنی درجة ---- ۷۸
رأی السنیین القریب من رأی أهل البیت ---- ۷۸
شرط الشفاعة فی المظالم الشخصیة ---- ۸۶
نتیجة ---- ۸۶
توسیعات الشفاعة عند الخلیفة عمر و أتباعه ---- ۸۷
ان الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین ---- ۸۷
ان الشفاعة تشمل کل من شهد بتوحید الله تعالی ---- ۹۱
ملاحظات علی روایات هذا الرأی ---- ۹۶
احادیث أن الله تعالی یشفع عند نفسه ---- ۹۸
ان الشفاعة تشمل جمیع الخلق ---- ۹۹
ان العقاب فی الآخرة ینتهی کلیا و أن جهنم تفنی و ینقل أهلها إلی الجنة ---- ۱۰۱
آراء المسلمین فی آیات الخلود و أحادیثه ---- ۱۰۱
اجمع المسلمون علی خلود الکفار فی جهنم ---- ۱۰۲
الروایات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنیین ---- ۱۰۳
سبب خلود أهل النار فیه ---- ۱۰۵
آیات الخلود فی الجنة والنار ---- ۱۰۵
عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادرن ---- ۱۰۷

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادر السنیین ----- ۱۰۸
روایات فی الصحاح تقول بخلود الموحدین فی النار ----- ۱۱۰
ما دل من مصادرنا لی أن الدار الآخرة لا موت فیه ----- ۱۱۱
ما دل من مصادر السنیین علی أن الدار الآخرة لا موت فیه ----- ۱۱۱
عودة إلی رأی عمر بفناء النار ----- ۱۱۲
الجهمیة أخذت من الخلیفة عمر ----- ۱۱۵
والمرجئة أخذوا من عمر ----- ۱۱۵
و ابن العاص أخذ من عمر ----- ۱۱۶
و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر ----- ۱۱۶
و الشعبی أخذ من عمر ----- ۱۱۶
و المعتزلة أخذت من عمر ----- ۱۱۶
و الجاحظ أخذ من عمر ----- ۱۱۷
و ابن عربی والجیلی أخذا من عمر ----- ۱۱۷
اما عمر فقد أخذ من کعب الأحبار والیهود ----- ۱۱۷
عمر ینظر إلی کعب کأنه نبی و یتلقی منه ----- ۱۱۸
شفاعات و حرمانات غیر معقولة روتها مصادر السنیین ----- ۱۲۱
شفاعة اثنین لصاحب الجنازة ----- ۱۲۱
رأی أهل البیت فی الشهادة للجنازة ----- ۱۲۴
شفاعة النبی للظالمین من الامة ----- ۱۲۶
قال کعب الأحبار هم جمیع المسلمین و هم فی الجنة ----- ۱۲۶
و قال الخولانی إنه قرأ ذلک فی کتب الیهود ----- ۱۲۶
عائشة و عثمان یوافقان کعبا علی تفسیره ----- ۱۲۷
الحسن البصری یرد تفسیر کعب الأحبار ----- ۱۲۷
الخلیفة عمر یمیل إلی تفسیر کعب ----- ۱۲۷

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة ۱۳۰
نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى ۱۳۳
اسقاط المحرمات عن أهل بدر ۱۳۴
حرمان من سب الصحابة من الشفاعة ۱۳۷
الدخول إلى جهنم ۱۳۹
حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر ۱۴۰
ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث ۱۴۲
رأى أهل البيت ۱۴۳
خلاصة المسألة ۱۴۴
مرسوم بحرمان الزوجة التى تطلب الطلاق ۱۴۴
محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبى ۱۴۶
حساسية قريش من أسرة النبى ۱۴۷
حادثة خطيرة، عتمتها الصحاح ۱۴۷
براعة البخارى فى تضييع القضية ۱۵۲
ماذا قال كبار الشراح؟ ۱۵۲
الحادثة فى بعض روايات أهل البيت ۱۵۵
وسعوا شفاعة النبى لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته ۱۵۷
روايات أخرى غير منطقية أيضا ۱۵۹
اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم ۱۶۴
بماذا يفسرون قول النبى سأبلها ببلاله ۱۶۶
ضحضاح النور لا ضحضاح النار ۱۶۷
محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم ۱۶۷
عمل المعروف ينجى الكفار من النار إلا أبا طالب ۱۶۸
احاديث نجت من الرقابة القرشية ۱۶۹

بخلهم على أبى طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم ---- ۱۷۱
اهم الأدلة على إيمان أبى طالب ---- ۱۷۴
ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة ---- ۱۷۸
عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان ---- ۱۷۸
اخبار النبى بظهور المرجئة والقدرية و تحذيره منهم ---- ۱۷۹
تعريف المرجئة و مذهبهم ---- ۱۸۰
المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر ---- ۱۸۱
اول من تصدى لمذهب المرجئة على ---- ۱۸۲
كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم ---- ۱۸۴
تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء ---- ۱۸۵
تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء ---- ۱۸۶
حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم ---- ۱۸۷
المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم ---- ۱۸۹
القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر) ---- ۱۸۹
القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر) ---- ۱۹۱
القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض ---- ۱۹۱
ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة ---- ۱۹۲
تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة ---- ۱۹۶
المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج ---- ۱۹۷
الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة ---- ۱۹۷
و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة ---- ۱۹۸
المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة ---- ۱۹۹
اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا ---- ۱۹۹
نبينا أول شافع يوم القيامة ---- ۲۰۰

الاحادیث الموافقة لمذهبنا فی مصادر السنیین ---- ۲۰۲
الاحادیث المتأثرة بالاسرائیلیات فی مصادر السنیین ---- ۲۰۳
البخاری یفضل أنبیاء بنی إسرائیل علی نبینا ---- ۲۰۵
احسن تصور فی مصادر السنیین عن شفاعة نبینا ---- ۲۰۸
مسألتا: الذبیح و أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة ---- ۲۰۹
رأی أهل البیت ---- ۲۱۴
بحث فی إیمان عبدالمطلب و روایة أنا ابن الذبیحین ---- ۲۱۵
عبدالمطلب علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوک ---- ۲۲۱
آراء شیعیة مخالفة للمشهور فی الذبیحین ---- ۲۲۲
رأی الشیخ الصدوق بأن إسحاق ذبیح أیضا ---- ۲۲۲
محاولة أحد المعاصرین تفسیر الذبیحین بإسماعیل و إسحاق ---- ۲۲۲
اول من یکسی کسوة الجنة ---- ۲۲۸
شفاعة الملائکة والأنبیاء والعلماء والشهداء ---- ۲۳۱
من مصادرنا ---- ۲۳۱
من مصادر السنیین ---- ۲۳۳
ما یوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنین له ---- ۲۳۵
من مصادر السنیین ---- ۲۳۶
شفاعة القرآن، والکعبة، والحجاج، والزوار ---- ۲۳۷
و اصناف أخری من الناس... ---- ۲۳۷
شفاعة القرآن ---- ۲۳۷
شفاعة سور القرآن و آیاته ---- ۲۴۰
شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه ---- ۲۴۱
شفاعة الکعبة لمن زاره ---- ۲۴۲
شفاعة حجاج بیت الله الحرام ---- ۲۴۳

شفاعة النبی الخاصة لزوار قبره ---------- ۲۴۴

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۲۴۵

العقائد الاسلامیه عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشیعه المجلد۳

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : العقائد الاسلامیه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشیعه/ قام باعداده مرکزالمصطفی للدراسات الاسلامیه؛ برعایه علی السید السیستانی.

مشخصات نشر : قم: مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه، ۱۴۱۹ق= -.۱۳۷۷

مشخصات ظاهری : ۵ ج.

شابک : دوره۶-۱۱۷-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ریال: ج. ۴۱-۱۱۸-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ریال: ج. ۲۲-۱۱۹-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ریال: ج. ۴۴-۱۲۱-۳۱۹-۹۶۴ :

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج. ۲ (چاپ اول: ۱۴۱۹ق = ۱۳۷۷).

یادداشت : ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸).

یادداشت : کتابنامه.

مندرجات : ج. ۱. الفطره والمعرفه.- ج. ۳. الشفاعه.- ج. ۴. یشتمل علی مسائل: شفاعه اهل‌البیت علیهم‌السلام والاستشفاع والتوسل

موضوع : اسلام -- عقاید

شناسه افزوده : سیستانی، علی، ۱۳۰۹ -، مصحح

شناسه افزوده : مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه

رده بندی کنگره : BP۲۰۳/ع۷ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۴۴۸۶

فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۳)

العقائد الإسلامیة (المجلد ۳)

مقدمة

تعریف الشفاعة و تاریخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهیة

شبهة حول أصل الشفاعة

مثال لتقریب فهم عقیدة الشفاعة

محاولات المستشرقین التشکیک فی الشفاعة

تهافت منطق الوهابیین فی الشفاعة والاستشفاع

تعریف الشفاعة فی اللغة

تعریف الشفاعة عند المتکلمین

تحریف الیهود والنصاری للشفاعة

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم

عراقة عقیدة الشفاعة

شفاعة ابراهیم للمؤمنین و لاسماعیل و لوط

شفاعة زکریا لبنی إسرائیل

البشارة بالشفیع الذی سیأتی (البراقلیطس)

توسیع بولس للشفاعة و حصرها بالمسیح

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرن

الشفاعة عند عرب الجاهلیة

عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن

مکانة اللات والعزی عند مشرکی العرب

الیمین الرسمی المقدس عند قریش باللات والعزی

بعض الصحابة کانوا یقسمون باللات والعزی

اعتقاد قریش بنفع اللات والعزی و ضرهم

مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قریش

و تمسک سدنة اللات والعزی بهما إلی آخر نفس

و حطم النبی کل الأصنام

و اخترعت قریش قصة الغرانیق انتصارا للات والعزی

البخاری و مسلم رویا فریة الغرانیق

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البیت علی فریة الغرانیق

تنبؤ عمیق للنبی حول اللات والعزی

کلیات الشفاعة فی القرآن

آیات الشفاعة و عناوینها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السیئة فی الدنی

الشفعاء یوم القیامة یشفعون بعهد من الله تعالی

الاولیاء المکرمون ینفعون مواالیهم بفاعتهم

الشهداء بالحق شفعاء

الملائکة یشفعون للناس بإذن الله تعالی

الشفیع الأکبر

لا شفاعة من دون الله تعالی

لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

لا شفاعة فی یوم القیامة کشفاعة الدنی

الکفار یبحثون بحثا حثیثا عن الشفعاء

لا شفاعة للظالمين

شفاعة نبينا

تفسير (المقام المحمود) لنبينا

تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش

تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)

تفسير الآية بالعطاء الالهى الاعم من الشفاعة

تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا

تفسيرها بشفاعة النبى لأهل بيته خاصة

تفسيرها بشفاعة النبى لجميع أمته

ملاحظتان

حدود الشفاعة

المذاهب فى حدود الشفاعة (من ارتضى)

حدود الشفاعة عند أهل البيت

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

من قضى لأخيه المؤمن حاجة

من سعى فى حوائج ذرية النبى

من زار قبر النبى

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

من يدعو للمؤمنين

شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء

من شيع جنازة مسلم

من حفظ على أمتى أربعين حديثا

من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

المنان والبخيل والنمام

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

رأى السنيين القريب من رأى أهل البيت

شرط الشفاعة فی المظالم الشخصیة

نتیجة

توسیعات الشفاعة عند الخلیفة عمر و أتباعه

ان الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین

ان الشفاعة تشمل کل من شهد بتوحید الله تعالی

ملاحظات علی روایات هذا الرأی

احادیث أن الله تعالی یشفع عند نفسه

ان الشفاعة تشمل جمیع الخلق

ان العقاب فی الآخرة ینتهی کلیا و أن جهنم تفنی و ینقل أهلها إلی الجنة

آراء المسلمین فی آیات الخلود و أحادیثه

اجمع المسلمون علی خلود الکفار فی جهنم

الروایات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنیین

سبب خلود أهل النار فیه

آیات الخلود فی الجنة والنار

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادرن

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادر السنیین

روایات فی الصحاح تقول بخلود الموحدین فی النار

ما دل من مصادرنا علی أن الدار الآخرة لا موت فیه

ما دل من مصادر السنیین علی أن الدار الآخرة لا موت فیه

عودة إلی رأی عمر بفناء النار

الجهمیة أخذت من الخلیفة عمر

والمرجئة أخذوا من عمر

و ابن العاص أخذ من عمر

و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

و الشعبی أخذ من عمر

و المعتزلة أخذت من عمر

و الجاحظ أخذ من عمر

و ابن عربی والجیلی أخذا من عمر

اما عمر فقد أخذ من کعب الأحبار والیهود

عمر ینظر إلی کعب کأنه نبی و یتلقی منه

شفاعات و حرمانات غیر معقولة روتها مصادر السنیین

شفاعة اثنین لصاحب الجنازة

رأی أهل البیت فی الشهادة للجنازة

شفاعة النبى للظالمين من الامة

قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة

و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود

عائشة و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره

الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى

اسقاط المحرمات عن أهل بدر

حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

الدخول إلى جهنم

حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث

رأى أهل البيت

خلاصة المسألة

مرسوم بحرمان الزوجة التى تطلب الطلاق

محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبى

حساسية قريش من أسرة النبى

حادثة خطيرة، عتمتها الصحاح

براعة البخارى فى تضييع القضية

ماذا قال كبار الشراح؟

الحادثة فى بعض روايات أهل البيت

وسعوا شفاعة النبى لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته

روايات أخرى غير منطقية أيضا

اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم

بماذا يفسرون قول النبى سأبلها ببلاله

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم

عمل المعروف ينجى الكفار من النار إلا أبا طالب

احاديث نجت من الرقابة القرشية

بخلهم على أبى طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم

اهم الأدلة على إيمان أبى طالب

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

اخبار النبى بظهور المرجئة والقدرية و تحذيره منهم

تعريف المرجئة و مذهبهم

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر

اول من تصدى لمذهب المرجئة على

كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء

تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم

المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)

القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض

ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة

و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا

نبينا أول شافع يوم القيامة

الاحاديث الموافقة لمذهبنا فى مصادر السنيين

الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات فى مصادر السنيين

البخارى يفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا

احسن تصور فى مصادر السنيين عن شفاعة نبينا

مسألتا: الذبيح و أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة

رأى أهل البيت

بحث فى إيمان عبدالمطلب و رواية أنا ابن الذبيحين

عبدالمطلب عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك

آراء شيعية مخالفة للمشهور فى الذبيحين

رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضا

محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل و إسحاق

اول من يكسى كسوة الجنة

شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

من مصادر السنيين

ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له

من مصادر السنيين

شفاعة القرآن، والكعبة، والحجاج، والزوار

و اصناف أخرى من الناس...

شفاعة القرآن

شفاعة سور القرآن و آياته

شفاعة القرآن لمن يتعلمه و يعلمه

شفاعة الكعبة لمن زاره

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

شفاعة النبى الخاصة لزوار قبره

مقدمة

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فهذا هو المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية، وقد اشتمل على أكثر مسائل الشفاعة، وعدد من البحوث النافعة فيها.

ونظراً لاهمية مسائل الشفاعة، فقد حاولنا استقصاء الآراء فيها، وتعرضنا أحياناً لاراء غير المسلمين.

وتلاحظ ما تعرضت له من تحريفات كبيرة بعد الأنبياء عليهم السلام خدمةً لاغراض سياسية وثقافية، بعيدة عن الدين الإلهى!!

وقد ساعد على ذلك أنها من عقائد الغيب والآخرة غير المنظورة، التى يسهل على المحرفين التحريف فيها، ويصعب كشف عملهم.

نسأله تعالى أن يجعلنا من المشمولين بشفاعة سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين، وأن يصلى عليهم أجمعين.

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

على الكورانى العاملى

تعريف الشفاعة و تاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية

الرحمة الإلهية وسعت كل شئ، ولا يمكن للبشر أن يحصوا أعدادها.. ولا أنواعها.. لكن نشير إلى ستة أنواع كبرى منها، ليتضح موقع الشفاعة من بينها.

النوع الأول: التوبة، التى تمحو السيئات.

النوع الثانى: أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة.

النوع الثالث: أن نية الحسنة تكتب، ونية السيئة لا تكتب.

النوع الرابع: أن الحسنات يذهبن السيئات.

النوع الخامس: أنواع الرحمة الإلهية الخاصة بالآخرة.

النوع السادس: الشفاعة، وهى نوع من الوساطة إلى الله تعالى من ولىٍّ مقرب عنده ليغفر لمذنب ويسامحه.

شبهة حول أصل الشفاعة

يدور فى ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده: أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شئ، وهى تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)؟

والجواب: أن الرحمة الإلهية المباشرة فى الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة، ويُظهر كرامة أنبيائه وأوليائه عنده..

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها، نعم، لا تثبت إلا بدليل، وفى الحدود والدائرة التى يدل عليها الدليل.

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الإستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذى حصل على معدل عال: يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك، الاقرب فالأقرب من النجاح..

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاة من النار ودخول الجنة إلى ۵۱ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذى بلغ عمله ۴۰۰ درجة مثلاً ـ يسمح له أن يوزع ۳۴۹ درجة على أعزائه، ولكن ضمن شروط، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الاضافية.

وقد نصت بعض الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله، ففى مناقب آل أبى طالب:۲/۱۵ عن الإمام الباقر عليه السلام فى قوله تعالى: وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً.. الآية، قال: ذلك النبى صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام يقوم على كوم قد علا الخلايق فيشفع ثم يقول: يا على إشفع، فيشفع الرجل فى القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله. فذلك المقام المحمود. انتهى. وورد شبيه به فى مصادر السنة أيضاً.

وعلى هذا، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الأعمال الإلهية الدقيقة والحكيمة، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية.

وبما أن درجات الملائكة والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة، وأعظمهم عملاً وأعلاهم درجةً نبينا صلى الله عليه وآله فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى.

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتها ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلاً..فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الأقرب إلى النجاح والافضل من مجموع المسيئين، وقد وردت فى شروطهم عدة أحاديث، منها عن النبى صلى الله عليه وآله (إن أدناكم منى وأوجبكم علىَّ شفاعةً: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس). مستدرك الوسائل:۱۱/۱۷۱.

قال أبو الصلاح الحلبى فى الكافى/۴۹۷:

إن قيل: فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الاعراف، وقسمة النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً؟

قيل: لا ـ شبهة فى اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى، غير أنه تعالى ردَّها أو ردَّ منها إلى المصطفين من خلقه: رسول الله وأمير

المؤمنين والأئمة من آلهما صلوات الله عليهم، فأوردوها عن أمره وأصدروها. كما يضاف تعذيب أهل النار وتنزيل أهل الجنة حاصلاً بالملائكة المأذون لهم فيه... وليس لأحد أن يقول: فأى ميزة لهم بتولى هذه الأمور على غيرهم فى الفضل وهى موقوفة على إذنه تعالى، لأن الآخرة لما كانت أفضل الدارين بكونها دار الجزاء وغاية المستحقين، وجعل الله سبحانه إلى هؤلاء المصطفين أفضل منازله وأسنى درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمة النار، دل على تخصصهم من الفضل بما لا مشارك لهم فيه.

محاولات المستشرقين التشكيك فى الشفاعة

وقد حاول بعضهم الإشكال على قانون الشفاعة فى الإسلام فتصوره أو صوره بأنه من نوع الوساطات الدنيوية المخالفة للعدالة، التى يفعلها الناس عند الحكام الظلمة لمن يحبونه من المجرمين..وقد مدح جولد تسيهر فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى/۱۹۲ المعتزلة وزعم أنهم لم يقبلوا الشفاعة لأنها تنافى العدالة، قال: والمعتزلة.. لا يريدون التسليم بقبول الشفاعة على وجه أساسى حتى لمحمد ذلك بأنه يتعارض مع اقتناعهم بالعدل الإلهى المطلق. انتهى.

ولكن لايمكن لعاقل أن يدعى بأن زيادة الرحمة الإلهية والمغفرة للمذنبين بأسباب متعددة، أمرٌ يتنافى مع العدالة الإلهية!!

ثم إن الذى نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لأهل الكبائر، ولم ينفوا الشفاعة لمرتكبى المعاصى الصغائر، كما سيأتى فى محله.

على أن تسيهر اليهودى نفسه يعتقد بالشفاعة التى يزعمها اليهود لكل بنى إسرائيل دون سواهم من البشر، ولايراها منافية للعدالة الإلهية، فلا معنى لمدحه المعتزلة بأنهم يرفضون الشفاعة لأنهم طلاب مساواة!

تهافت منطق الوهابيين فى الشفاعة والاستشفاع

والأعجب من المستشرقين الوهابيون.. حيث يتوسعون فى الشفاعة فيجعلونها تشمل اليهود والنصارى وجميع الخلق، على حد تعبير ابن تيمية، قال فى مجموعة رسائله:۱/۱۰: أجمع المسلمون على أن النبى (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله فى الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأهل الكبائر، ويشفع أيضاً لعموم الخلق. انتهى.

ولكنهم فى نفس الوقت يحرّمون الاستشفاع والتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله ويعتبرونه شركاً، مع أن الاستشفاع هو طلب شفاعة النبى صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى فى الآخرة، أو فى أمر من أمور الدنيا!

إن التناسب بين الإعتقاد بسعة الشفاعة فى الآخرة يقتضى تجويز الإستشفاع بأهلها فى الدنيا!

وبتعبير آخر: إن تحريم الإستشفاع والتوسل فى الدنيا، يناسبه إنكار الشفاعة فى الآخرة، لا القول بسعتها لجميع الخلق!

وقد التفت إلى ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرين بالفكر الوهابى فى تحريم التوسل والاستشفاع، فأنكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله بمعناها المعروف، وفسرها بتفسير شاذٍّ جعل منها أمراً شكلياً بعيداً عن أفعال الله تعالى.

قال فيما قال: إن الشفاعة هى كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم فى الآخرة فيشفعهم فى من يريد المغفرة له ورفع درجته عنده، لتكون المسألة فى الشكل واسطة فى النتائج التى يتمثل فيها العفو الإلهى الربانى، تماماً كما لو كان النبى السبب أو الولى هو الواسطة.

إلى أن قال: وفى ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء والأولياء ليحصل الناس على شفاعتهم، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتى المستقل. بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات، فهو الذى يأذن لهم بذلك فى مواقع محددة ليس لهم أن يتجاوزوها. الأمر الذى يفرض التقرب إلى الله فى أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له. انتهى.

ولم يصرح صاحب هذا القول بحرمة طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، ولكن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلك،

واعتبر طلب الشفاعة منهم (عليهم السلام)شركاً! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمنى شفاعته اللهم شفعه فىَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبى (ص) أعطى الشفاعة، وأنا أطلب مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا... الخ.).

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة إلى شفاعة منفية، وهى التى (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة، وهى (التى تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة... الخ.) انتهى.

والجواب الكلى على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة، ومعنى طلبها من الشافع، ومعنى الاستشفاع والتوسل إلى الله تعالى بالنبى وآله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربين! فافترضت فيها معان لا توجد فيها!!

والجواب عنها بشىء من التفصيل، أنها تتضمن شبهتين ينبغى التفكيك بينهما:

فالشبهة الأولى حول الشفاعة، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها، يجب أن تحمل على المجاز، لأن الشفاعة فيها أمرٌ شكلى لا حقيقى!

ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاً ـ على لزوم ترك المعنى الحقيقى وحمل نصوص الشفاعة على المجاز، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك.. نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلى!

قال فى تفسير المنار:۸/۱۳:

فإن قيل: أليس الشفعاء يؤثرون فى إرادته تعالى، فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم؟

قلنا: كلا إن المخلوق لا يقدر على التأثير فى صفات الخالق الأزلية الكاملة... فيكون ذلك إظهار كرامة وجاه لهم عنده، لا إحداث تأثير الحادث فى صفات القديم وسلطان له عليها، تعالى الله عن ذلك. انتهى.

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقيقية يستلزم أن تكون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق، وهو محال، فلا بد من القول بأن الشفاعة شكلية!!

وكذلك القول بتعليق بعض أفعاله تعالى على طلب أنبيائه وأوليائه منه، مثل الرزق، والشفاء، والمغفرة، والنجاة من النار وإدخال الجنة.. لابد أن يكون شكلياً، لأن الحقيقى منه محال.

والجواب عنها: أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا فى تخيلهم أن تعليق الله تعالى لمغفرته أو عطائه على طلب مخلوق، معناه تأثير المخلوق فى إرادته سبحانه وتعالى! فإن تعليق الإرادة على شىء ممكنٌ بالوجدان، ولا ـ محذور فيه، لأنه بذاته فعلٌ إرادى وتأكيدٌ للارادة لا سلبها، أو جعلها متأثرة بفعل آخر، أو شىء آخر.. لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله، إذا أعطيت لاحد تصير شفاعةً من دون الله تعالى، فوقعوا فى هذه الشبهة!

أما إذا قالوا إن ذلك ممكنٌ ولكن الله تعالى لا يفعله لأنه لا يجوز له، فلا دليل لهم عليه من عقل، ولا قول الله تعالى ولا قول رسوله صلى الله عليه وآله.

وإن كانوا يمنعونه من عند أنفسهم، فهو تعدٍّ على الله تعالى، وتحديدٌ لصلاحيات من لايسأل عما يفعل، وهم يسألون!

ثم إن اللغة تأبى عليهم ما قالوه، فآيات الشفاعة وأحاديثها ظاهرة فى الشفاعة الحقيقية لا الشكلية، ولا يمكنهم صرفها عن ظاهرها!

والشبهة الثانية حول الاستشفاع بالنبى وآله صلى الله عليه وآله، وهى الشبهة التى يكررها ابن تيمية والوهابيون، وهى غير شبهة الشفاعة وإن كانت مرتبطة بها.

ومفادها أن طلب الشفاعة حتى ممن ثبت أن الله تعالى أعطاهم إياها حرامٌ، لأنه شركٌ بالله، وادعاءٌ لهؤلاء المخلوقين بأنهم يملكون الشفاعة من دون الله تعالى!!

وقد استدل ابن عبد الوهاب على ذلك بآيات النهى عن اتخاذ شريك مع الله كقوله تعالى (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا).

والجواب عنها: أنه ثبت من القرآن والسنة أن كثيراً من الأفعال الإلهية تتم بواسطة الملائكة، وليس فى ذلك أى شرك لهم مع الله تعالى، لا فى ملكه، ولا فى أمره، بل هم عبادٌ مكرمون مطيعون. ولا مانع من العقل أو النقل أن يجعل الله تعالى أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) أو يجعلها معلقةً على طلبهم منه!

ولا يصح التفريق بين الأمرين والقول بأن ذلك إن كان بواسطة الملائكة فهو إيمان لانهم لايصيرون شركاء، أما إن كان بواسطة غيرهم فيصيرون شركاء لله تعالى!

أو القول بأن تعليق العطاء الالهى على طلب الأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) شراكةٌ لله تعالى وشركٌ به، لكن شراكة الملائكة لله تعالى والشرك بهم لا بأس به!!

نقول لأصحاب هذه الشبهة: إقرؤوا قول الله تعالى: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ۴.

وقوله تعالى: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ۷.

وقوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ. المدثر: ۳۱.

ثم نقول لهم: نحن وأنتم لا يحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالى أو نحصرها، أو نحصر طرقها، أو نضع له لائحة فتاوى لما يجوز له أن يفعله وما لايجوز!

ومعرفتنا ومعرفتكم بما يمكن له تعالى أن يفعله وما لا يمكن، إنما جاءت مما دلنا عليه العقل دلالةً قطعية، أو دلنا عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

والعقل لا يرى مانعاً فى أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فيضه، ووسائل عطائه.. وذلك لا يعنى تشريكهم فى ألوهيته، بل هم عباده المكرمون المطيعون، ووسائله وأدواته التى يرحم بها عباده.

هذا من ناحية نظرية.. وأما من ناحية الوقوع والثبوت، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الالهى وقوانينه واسعةٌ ومعقدةٌ، ودل على أنه تعالى جعل كثيراً من عطائه - إن لم يكن كله - عن طريق خِيَرةِ عباده من الملائكة والأنبياء والاوصياء (عليهم السلام) ودل الدليل على جواز الاستشفاع والتوسل بنبينا وآله صلى الله عليه وآله والطلب من الله تعالى بحقهم وحرمتهم وواسطتهم، سواءً فى ذلك أمور الدنيا والآخرة..

ودل الدليل على أن موتهم (عليهم السلام) ليس كموت غيرهم، وأن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء صلوات الله عليهم.

وقد قال تعالى فى آخر سورة أنزلها من كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ۳۵، ولا فرق فى أصحاب الوسيلة إلى الله تعالى بين الملائكة وغيرهم، بل التوسل بنبينا صلى الله عليه وآله أفضل وأرجى من التوسل بالملائكة، لأنه أفضل مقاماً عند الله منهم.

وسيأتى ذلك فى بحث التوسل والإستشفاع، إن شاء الله تعالى. ويأتى أنه يجوز لنا أن نطلب العطاء الإلهى المعلق على شفاعة الأنبياء والأولياء، أو غير المعلق، منهم أنفسهم (عليهم السلام) ولا يعتبر ذلك شركاً، بل هو طلبٌ من الله تعالى.

وأن حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والإستشفاع بهم إلى الله تعالى، لا يختلف بين الاموات منهم والاحياء (عليهم السلام).. إلى آخر المسائل التى خالف فيها الوهابيون عامة المسلمين.

وقد أجاب السيد جعفر مرتضى فى كتابه خلفيات مأساة الزهراء عليها السلام / ۲۲۱ - ۲۲۵ على الشبهتين المذكورتين، ومما قاله:

۱ - إن الكل يعلم: أن لا أحد يدعو محمداً صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو أى نبى أو ولى كوجودات منفصلة عن الله تعالى ومستقلة عنه بالتأثير، ولم تحدث فى كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك فضلاً عن غيرهم.

۲ - إننا نوضح معنى الشفاعة فى ضمن النقاط التالية:

أ – إن الإنسان المذنب قد لا يجد فى نفسه الاهلية أو الشجاعة لمخاطبة ذلك الذى أحسن إليه وأجرم هو فى حقه، أو هكذا ينبغى أن يكون شعوره فى مواقع كهذه، فيوسط له من يحل مشكلته معه ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا يخيب مسألتهم..

ب – إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعة الشفيع له.. ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة..فلو أن الشفيع لم يبادر إلى الشفاعة لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب.

وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب فتبادر إلى عقوبته، فإذا وقف فى وجهك من يعز عليك وتشفع به فإنك تعفو عنه إكراماً له، وإن لم يفعل ذلك كما لو لم يكن حاضراً مثلاً فإنك ستمضى عقوبتك فى ذلك الولد المذنب لا محالة..فالشفاعة على هذا سبب فى العفو أو جزء سببه له.

إذن فليس صحيحاً ما يقوله البعض من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة بحيث تكون المغفرة له حاصلة على كل حال، ثم يكرم الله نبيه ويقول له: هذا العبد أريد أن أغفر له فتعال وتشفع إلى فيه..

ج – إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع وتودد إليه ورأى منه سلوكاً حسناً واستقامة وانقياداً، فإن الشافع يرى أن من اللائق المبادرة إلى مساعدته فى حل مشكلته أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحى بالثقة ولا تشير إلى الإستقامة، فإنه لا يبادر إلى مساعدته ولا يلتفت إليه.. فسلوك المشفوع له أثر كبير فى مبادرة الشافع إلى الشفاعة.

د – وحين يكون الشفيع لا ـ يريد شيئاً لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره ويكون ما يرضيه هو ما يرضى الله سبحانه فإن تقديم الصدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما يرضى الشافع، هو فى الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغبٌ فى تصحيح خطئه وتدارك مافاته، وهو براهين وإثباتات على أنه قد التزم جادة الإستقامة وندم على ما فرط منه، فإذا قدم مالاً للفقراء أو أطعم أو ذبح شاة وفرقها على المحتاجين، فإن ذلك لا يكون رشوةً للنبى أو الولى.. وهو يعلم أن النبى والولى لا يأخذ ذلك لنفسه بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين أو يستثمر فى سبيل الله وفى نشر الدين والباذل إنما يبذل ذلك رغبة فى الحصول على رضا الشافع الذى رضاه رضا الله.

ه– أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبى والوصى ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو والرضا عنه، ويقرع كل باب ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الإشكال، ويبادر إلى العمل بكل مايعلم أنه يرضى سيده عنه، فإنه لا يشفع له ولا كرامة..

و – ومن الواضح: أن من يكون جرمه هائلاً ـ وعظيماً فإن إمكانية وفرص الاقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف.. فلا يضع النبى والوصى نفسه فى مواضع كهذه ولا ـ يرضى الله سبحانه له ذلك. كما أن من يدير ظهره لأولياء الله ولا ـ يهتم لرضاهم ولا يزعجه سخطهم فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ومن المقربات إليه وموجبات رضاه.. فالتوسل إليهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاة وطريق هدى وسلامة وسعادة.

ز – إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع فى مجرم مثله، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره، لأن الشفاعة مقامٌ عظيمٌ وكرامةٌ إلهية فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد، بل الذين يشفعون هم أناسٌ مخصصون بكرامة الله سبحانه لانهم يستحقونها..

ح – قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتكون شفاعة النبى أو الوصى بعدها – بالشكل – ومن دون أن يكون لها تسبيب حقيقى.. بل هناك تسبيب حقيقى للشفاعة، فإنها هى سبب المغفرة وهى سبب إرادة الله بأن يغفر لذلك المذنب ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.

ولولا ذلك فإنه لا يبقى معنى للشفاعة..ولا يكون العفو إكراماً للشافع واستجابة له. انتهى.

تعريف الشفاعة فى اللغة

قال الخليل فى كتاب العين: ۱/۲۶۰:

الشافع: الطالب لغيره، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لى إليه فشفعه فىَّ. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع. قال:

زعمت معاشر أننى مستشفع لما خرجت أزوره أقلامه

أى: زعموا أنى أستشفع (بأقلامهم) أى بكتبهم إلى الممدوح، لا بل إنى أستغنى عن كتب المعاشر بنفسى عند الملك. والشفعة فى الدار ونحوها معروفة يقضى لصاحبها. والشافع: المعين، يقال فلان يشفع لى بالعداوة، أى يعين على ويضادنى قال النابغة:أتاك امرؤ مستعلن شنآنهله من عدوٍّ مثل ذلك شافع أى: معين. وقال الاحوص:بأنَّ من لامَنِى لاصْرمهاكانوا علينا بلومهم شفعواأى: أعانوا.

وقال الراغب فى المفردات/۲۶۳:

الشفع: ضم الشئ إلى مثله ويقال للمشفوع شفع. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: قيل الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات كما قال: ومن كل شئ خلقنا زوجين. والوتر هو الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه.

وقيل: الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيراً يليه، والوتر يوم عرفة. وقيل الشفع ولد آدم والوتر آدم لأنه لا عن والد.

والشفاعة: الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة فى القيامة قال (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ. لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، أى لا يشفع لهم. وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ. مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً. وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً، أى من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفعياً فى فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه فى نفعه وضره.

وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو طريق شر فيقتدى به، فصار كأنه شفع له وذلك كما قال عليه السلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، أى إثمها وإثم من عمل بها وقوله: ما من شفيع إلاـ من بعد إذنه، أى يدبر الأمر وحده لاـ ثانى له فى فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لى، وشفعه أجاب شفاعته، ومنه قوله عليه السلام: القرآن شافع مشفع.

والشفعة: هو طلب مبيع فى شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، وهو من الشفع وقال عليه السلام: إذا وقعت الحدود فلا شفعة.

وقال فى المفردات/۴۳۶:

وأما قوله: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً إلى قوله: يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا، فإن الكفل ههنا ليس بمعنى الأول بل هو مستعار من الكفل وهو الشئ الردى.

وقال الزبيدى فى تاج العروس:۵/۴۰۱:

وشفعته فيه تشفيعاً حين شفع كمنع شفاعة، أى قبلت شفاعته، كما فى العباب قال حاتم يخاطب النعمان:

فَكَكْتَ عديّاً كلها من إسارها فأفضلْ وشفعنى بقيسِ بن جُحْدرِ

وفى حديث الحدود: إذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع.

وفى حديث أبى مسعود (رض): القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، أى من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترك العمل به ندم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه، فالمشفع الذى يقبل الشفاعة.

والمشفع الذى تقبل شفاعته، ومنه حديث الشفاعة: إشفع تشفع، واستشفعه إلينا، وعبارة الصحاح واستشفعه إلى فلان أى سأله أن يشفع له إليه، وأنشد الصاغانى للاعشى:

تقول بنتى وقد قربت مرتحلاً يا رب جنِّب أبى الاوصاب والوجع

واستشفعت من سراة الحى ذا شرف فقد عصاها أبوها والذى شفع

يريد والذى أعان وطلب الشفاعة فيها. وأنشد أبو ليلى:

زعمت معاشر أننی مستشفعٌ لما خرجت أزوره أقلامه

قال زعموا أنی أستشفع بأقلامهم فی الممدوح أی بکتبهم.

ومما یستدرک علیه الشفیع من الأعداد ما کان زوجاً، والشفع ما شفع به سمی بالمصدر، وجمعه شفاع، قال کثیر:

وأخو الاباءة إذ رأی خلانه تلی شفاعاً حوله کالاذخر

شبههم بالأذخر لأنه لا یکاد ینبت إلا زوجاً زوجاً. وشاة شفوع کشافع ویقال هذه شاة الشافع کقولهم صلاة الأولی ومسجد الجامع.

وهکذا روی فی الحدیث الذی تقدم عن سعر بن دیسم (رض)، وشاة مشفع کمکرم ترضع کل بهیمة، عن ابن الأعرابی. وتشفع إلیه فی فلان: طلب الشفاعة، نقله الجوهری. وتشفعه أیضاً مطاوع استشفع به کما فی المفردات. وتشفع صار شافعی المذهب وهذه مولدة.

والشفاعة ذکرها المصنف ولم یفسرها وهی کلام الشفیع للملک فی حاجة یسألها لغیره. وشفع الیه فی معنی طلب إلیه. وقال الراغب: الشفع ضم الشئ إلی مثله، والشفاعة الإنضمام إلی آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأکثر ما تستعمل فی إنضمام من هو أعلی مرتبة إلی من هو أدنی ومنه الشفاعة فی القیامة. وقال غیره: الشفاعة التجاوز عن الذنوب والجرائم. وقال ابن القطاع: الشفاعة المطالبة بوسیلة أو ذمام.

تعریف الشفاعة عند المتکلمین

قال الشریف المرتضی فی رسائله:۱/۱۵۰:

وحقیقة الشفاعة وفائدتها: طلب إسقاط العقاب عن مستحقه، وإنما تستعمل فی طلب إیصال المنافع مجازاً وتوسعاً، ولا خلاف فی أن طلب إسقاط الضرر والعقاب یکون شفاعة علی الحقیقة.

وقال فی:۳/۱۷:

وشفاعة النبی صلی الله علیه وآله إنما هی فی إسقاط عقاب العاصی لا فی زیادة المنافع، لأن حقیقة الشفاعة تختص بذلک، من جهة أنها لو اشترکت لکنا شافعین فی النبی صلی الله علیه وآله إذا سألنا فی زیادة درجاته ومنازله. انتهی.

وقال فی:۲/۲۷۳:

الشفاعة: طلب رفع المضار عن الغیر ممن هو أعلی رتبة منه، لاجل طلبه.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الکافی/۴۶۹:

وقلنا: إن الشفاعة وجهٌ عندنا لإجماع الأمة علی ثبوتها له صلی الله علیه وآله ومضی إلی زمان حدوث المعتزلة علی الفتوی بتخصیصها بإسقاط العقاب، فیجب الحکم بکونها حقیقة فی ذلک، لانعقاد الإجماع فی الازمان السابقة لحدوث هذه الفرقة.

تفسیر التبیان:۵/۳۳۴:

قوله تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ...

وقوله: مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، فالشفیع هو السائل فی غیره لاسقاط الضرر عنه. وعند قوم أنه متی سأله فی زیادة منفعة توصل إلیه کان شفیعاً. والذی اقتضی ذکره هاهنا صفات التعظیم مع الیأس من الإتکال فی دفع الحق علی الشفیع.

والمعنی هاهنا أن تدبیره للاشیاء وصنعته لها، لیس یکون منه بشفاعة شفیع، ولا تدبیر مدبر لها سواه، وأنه لا یجسر أحدٌ أن یشفع الیه إلا بعد أن یأذن له فیه، من حیث کان تعالی أعلم بموضع الحکمة والصواب من خلقه بمصالحهم...

وإنما ذکر الشفیع فی الآیة ولم یجر له ذکر، لأن المخاطبین بذلک کانوا یقولون الأصنام شفعاؤهم عند الله، وذکر بعدها: ویعبدون من دون الله ما لا یضرهم ولا ینفعهم ویقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وإذا کانت الأصنام لا تعقل فکیف تکون شافعة! مع أنه لا یشفع عنده إلا من ارتضاه الله.

کنز الدقائق:۱/۲۳۸:

واتقوا یوماً لا تجزی نفس عن نفس شیئاً ولا یقبل منها شفاعة ولا یؤخذ منها عدل ولا هم ینصرون. واستدلت المعتزلة بهذه الآیة علی نفی الشفاعة لأهل الکبائر.

قال البیضاوی: وأجیب بأنها مخصوصة بالکفار للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة، قال: ویؤیده أن الخطاب معهم، والآیة نزلت رداً لما کانت الیهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآیة یحتمل أن تکون مخصصة للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة الدالة علی عمومها، کما أن کون الخطاب معهم یحتمل أن یکون مؤیداً للتخصیص بالکفار، فلا یتم الإستدلال من الجانبین، فتأمل.

مجمع البحرین:۲/۵۲۲:

قال تعالی: مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا، قیل معناه من یصلح بین اثنین یکن له جزء منها. ومن یشفع شفاعة سیئة، أی یمشئ بالنمیمة مثلاً، یکن له کفل منها أی إثم منها.

وقیل المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنین، وبالشفاعة السیئة الدعاء علیهم.

قوله: وَلا یَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَی، دینه، وهو مروی عن الرضا علیه السلام وعن بعض المفسرین ولایشفعون إلا لمن ارتضی دینه من أهل الکبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغیر محتاجین إلی الشفاعة. قال الصدوق: المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سیئته لقول النبی صلی الله علیه وآله: من سرته حسنته وساءته سیئته فهو مؤمن، ومتی ساءته سیئته ندم علیها والندم توبة، والتائب مستحق الشفاعة والغفران. ومن لم تسوؤه سیئته فلیس بمؤمن ومن لم یکن مؤمناً لم یستحق الشفاعة، لأن الله تعالی غیر مرتض دینه.

قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعین قیل فی معناه لا شافع ولا شفاعة، فالنفی راجع إلی الموصوف والصفة، کقوله لا یسألون الناس إلحافاً.

وفی الحدیث تکرر ذکر الشفاعة فیما یتعلق بأمور الدنیا والآخرة، وهی السؤال فی التجاوز عن الذنوب والجرائم، ومنه قوله صلی الله علیه وآله: أعطیت الشفاعة.

قال الشیخ أبو علی: واختلفت الأمة فی کیفیة شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم: یشفع لأهل الجنة لیزید فی درجاتهم. وقال غیرهم من فرق الأمة: بل یشفع لمذنبی أمته ممن ارتضی الله دینهم، لیسقط عقابهم بشفاعته.

وفی حدیث الصلاة علی المیت: وإن کان المستضعف بسبیل منک فاستغفر له علی وجه الولایة. وفی الخبر: إشفع تشفع، أی تقبل شفاعتک، وفیه: أنت أول شافع وأول مشفع، هو بفتح الفاء، أی أنت أول من یشفع وأول من تقبل شفاعته. وفی الحدیث: لا تشفع فی حق امرئ مسلم إلا بإذنه. وفیه: یشفعون الملائکة لإجابة دعاء من یسعی فی المسعی کأنهم یقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد.

تفسیر الرازی:۲ جزء ۳/۵۵:

أجمعت الأمة علی أن لمحمد (ص) شفاعة فی الآخرة، وحمل علی ذلک قوله تعالی: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وقوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی... ثم اختلفوا بعد هذا فی أن شفاعته علیه السلام لمن تکون؟ أتکون للمؤمنین المستحقین للثواب، أم تکون لأهل الکبائر المستحقین للعقاب؟ فذهب المعتزلة إلی أنها للمستحقین للثواب... وقال أصحابنا تأثیرها فی إسقاط العذاب عن المستحقین للعقاب.

تحریف الیهود والنصاری للشفاعة

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم

عراقة عقیدة الشفاعة

قاموس الكتاب المقدس/۵۱۳:

شفع – شـفيع – شـفاعة: وهى التوسط بين شـخص وآخر. وهى دليل محبـة الإنسان لأخيه الإنسان. كما أنها مؤسـسة على أن معاملة الله للبشر معاملة ليست فردية فحسب بل جماعية أيضاً.

والصلاة الشفاعية قديمة قدم نوح (تك ۸: ۲۰ و ۲۲) وإبراهيم (تك ۱۷: ۱۸ و۲۳–۳۳) وموسى (خر ۱۵: ۲۵).

وخليفة موسـى الذى رفع صـلواته كقاضى وكاهن ونبى هو صموئيل (۱ صم ۷:۵ و ۸) وحياة المسـيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعية. بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة فى طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين.

والصـلاة الشفاعية يرفعها الإنسان لاجل صديق أو لاجل عدو (مت ۵: ۴۴) أما الروح القدس فهو يشـفع فينا (رو ۸: ۲۶) أما المسيح فى حياته الشخصية وموته على الصليب فهو شفيعنا الذى ساقته شفاعته للموت على الصليب كفارة لخطايا البشرية. أنظر (وسيط).

قاموس الكتاب المقدس/۹۳۳:

وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بنى إسرائيل وهكذا المسيح هو وسيط بين الله والناس.

العهد القديم والجديد:۳/۳۰۷:

۱۸ – لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضاً من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد.

۱۹ – لماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى قد وعد له مرتباً بملائكة فى يد وسيط.

۲۰ – وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد.

شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط

قاموس الكتاب المقدس/۱۱:

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسـبب شـرهما فتشفع إبراهيم لاجل الابرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك/۱۸ و ۱۹)... وحيثما سـكن إبراهيم كان يقيم مـذبحاً للرب ويدعو باسـمه (تك ۱۲: ۷ و ۸) وقد قدم صـلوات تشفعية لأجل الآخرين ففى تك ۱۷:۲۰ صلى لأجل إسماعيل وفى تك ۱۸: ۲۳ – ۳۲ تشفع لاجل لوط.

شفاعة زكريا لبنى إسرائيل

قاموس الكتاب المقدس/۴۴۱:

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً فى شعبه (زك ۱۴: ۴).

البشارة بالشفيع الذى سيأتى (البراقليطس)

قاموس الكتاب المقدس/۶۲۷:

معز: (يو ۱۴: ۱۶ و ۱۵: ۲۶ و ۱۶: ۷) وهو الروح القـدس. ولم ترد إلا فى إنجيل يوحنا. والكلمة الأصـلية اليونانية (پرا كليتيس) وتعنى (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأجلنا.

توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح

قاموس الكتاب المقدس/۱۲۴:

ومع أن بنی الإنسان قد فقدوا الصورة الإلهیة التی خلقوا علیها، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلهی الرهیب، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأن ینالوا غفران خطایاهم غفراناً تاماً کاملاً إذا آمنوا بالرب یسوع المسیح (الشفیع الوحید بین الله والناس) وندموا علی خطایاهم ندامة صحیحة حقیقیة، وأصبحوا أهلاً للتحرر من عبودیة الخطیئة ورقها والانتقال إلی حریة أبناء الله بالنعمة المجانیة.

قاموس الکتاب المقدس/۷۹۵:

وقد وصف یسوع بأنه رئیس کهنة المؤمنین العظیم الذی نضح قدس الاقداس السماوی بدمه، والذی جلس عن یمین الاب هناک حیث هو الان یشفع فیهم (عب ۴: ۱۴ و۷: ۲۵ و ۹: ۱۲) الخ.

قاموس الکتاب المقدس/۸۶۹:

وأعلن لهم أن یهوذا الذی کان واحداً منهم سیسلمه (مر ۱۴: ۱۸-۲۱ ویو ۱۳ ۲۱ - ۳۰) ورسم لهم فریضة العشاء الربانی (مت ۲۶: ۲۶-۲۹ وما یلیه) ثم قدم صلاته الشفاعیة العظمی من أجل أتباعه (یو ۱۷: ۱-۲۶. من ثم قدم نفسه نهائیاً للاب وسلم إرادته تسلیماً کلیاً له فی بستان جثسیمانی (مت ۲۶: ۳۹-۴۶ غیره).

قاموس الکتاب المقدس/۸۸۹:

وسیط ۱ تی ۲: ۵ وسیط العهد الجدید عب ۱۲: ۲۴.

قاموس الکتاب المقدس/۹۰۴:

وکذلک یذکر فیلو (ملکی صادق) کرمز ومجاز للعقل الصائب الخیر، بینما یذکره کاتب الرسالة إلی العبرانیین رمزاً للمسیح الفادی والوسیط الأعظم.

العهد القدیم والجدید:۲/۵۷:

لأن معاصینا کثرت أمامک وخطایانا تشهد علینا لأن معاصینا معنا وآثامنا نعرفها.

۱۳ - تعدینا وکذبنا علی الرب وحدنا من وراء إلهنا. تکلمنا بالظلم والمعصیة، حبلنا ولهجنا من القلب بکلام الکذب.

۱۴ - وقد ارتد الحق إلی الوراء والعدل یقف بعیداً. لأن الصدق سقط فی الشارع والإستقامة لا تستطیع الدخول.

۱۵ - وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر یسلب، فرأی الرب وساء.

۱۶ - فرأی أنه لیس إنسان وتحیر من أنه لیس شفیع...

۳۴ - من هو الذی یدین. المسیح هو الذی مات بل بالحری قام أیضاً الذی هو أیضاً عن یمین الله الذی أیضاً یشفع فینا.

العهد القدیم والجدید:۳/۳۳۹:

۵ - لأنه یوجد إله واحد ووسیط واحد بین الله والناس: الإنسان یسوع المسیح.

۶ - الذی بذل نفسه فدیة لاجل الجمیع، الشهادة فی أوقاتها الخاصة.

۷ ـ التی جعلت أنا لها کارزاً ورسولاً. الحق أقول فی المسیح ولا أکذب. معلماً للأمم فی الإیمان والحق.

۸-فأرید أن یصلی الرجال فی کل مکان رافعین أیادی طاهرة بدون غضب ولا جدال

العهد القدیم والجدید:۳/۲۵۶:

۲۶ ـ وکذلک الروح أیضاً یعین ضعفاءنا، لاننا لسنا نعلم ما نصلی لأجله کما ینبغی ولکن الروح نفسه یشفع فینا بأنات لا ینطق بها.

۲۷ ـ ولکن الذی یفحص القلوب یعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشیئة الله یشفع فی القدیسین.

العهد القدیم والجدید:۳/۳۵۸:

۲۵ ـ فمن ثم یقدر أن یخلص أیضاً إلی التمام الذین یتقدمون به إلی الله، إذ هو حی فی کل حین لیشفع فیهم.

۲۶- - لأنه کان یلیق بنا رئیس کهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلی من السموات.

۲۷ – الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۱:

۱۱ – وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذين ليس من هذه الخليقة.

۱۲ – وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۲:

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكى يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدى.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۷:

۲۲ – بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة.

۲۳ – وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين.

۲۴ – وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.

۲۵ – انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذى من السماء.

العهد القديم والجديد:۳/۳۸۶:

۱ – يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب، يسوع المسيح البار. ۲ – وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.

۳ – وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه.

نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها:

أولاً: أن أصل شفاعة الأنبياء والاوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين، هى عندهم كما عندنا، أمرٌ ثابتٌ فى الرسالات الإلهية من عهد إبراهيم، بل من عهد نوح (عليهما السلام).

ثانياً: أنها أخذت فى اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنة ومسؤولى القرابين فى المعابد، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة.. فلا يحتاجون إلى شفاعة!

ثالثاً: أن (عقيدة الفداء المسيحية) التى تدعى أن المسيح عليه السلام قد شفع فى خطايا كل البشر بتحمله الصلب والقتل.. هى توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية، وقد اخترعها بولس الذى نصَّرَ النصارى، وعممها لغير القومية اليهودية.

قال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنة بين الأديان: ۲/۲۴۵ تحت عنوان: الله فى التفكير المسيحى:

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذى قام بذلك ومتى؟

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية هى شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه

العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل...!

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات - أعمال الرسل ۲۳: ۶) وكان عدواً للمسيحيين وهو فى ذلك يقول (سمعتم بسيرتى قبلاً فى الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (غلاطية ۱: ۱۳-۱۴).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة،

فادعى شاؤول أن السيد المسيح - بعد نهايته على الأرض - ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى، فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده! قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية!!

ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى:

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله(أعمال ۹: ۳-۳۰) انتهى.

رابعاً: أن الإتجاه العام عند محرفى الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لاتباعهم، والافراط فى ذلك إلى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية، وفى المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفيهم من التابعين لنفس الدين، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار!

خامساً: بما أنه ثبت عن النبى صلى الله عليه وآله بأحاديث صحيحة عند الجميع، أن الأمة الإسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى فى انحرافها عن الإسلام وتحريفها له، وفى صراعاتها الداخلية.. فإن على الباحث أن يكون حذراً متثبتاً فى أحاديث الصحابة فى الشفاعة، لكى يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين، وبين الذى يتبناه صحابى نافذ، أو فئة حاكمة، وفى نفس الوقت يوجد فى الصحابة من ينفيه أو يكذبه!

مقولاتهم فى الشفاعة من مصادرن

قال الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. المائدة ۱۸-۱۹.

تفسير التبيان:۳/۴۷۷:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته فقالوا: لا تخوفنا فإنا أبناء الله وأحباؤه.

وقال السدى: إن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى بنى اسرائيل أن ولدك بكر من الولد. وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد.

وأما قول النصارى فقيل فيه: إنهم تأولوا ما فى الإنجيل من قول عيسى أذهب إلى أبى وأبيكم. وقال قوم: لما قالوا المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما يقولون: هذيل شعراء، أى منهم شعراء...

وقوله: وأحباؤه، جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: قل لهؤلاء المفترين على ربهم: فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فلاى شئ يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فإن الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه.

واليهود تقرُّ أنهم يعذبون أربعين يوماً، وهى عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل!

وقوله: بل أنتم بشر، معناه قل لهم ليس الأمر على ما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنى آدم، إن أحسنتم

جوزيتم على إحسانكم مثلهم، وإن أسأتم جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم، وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه.

تفسير التبيان:۱/۴۸۶:

أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ... وكانت محاجتهم له صلى الله عليه وآله أنهم زعموا أنهم أولى بالحق لانهم راسخون فى العلم وفى الدين، لتقدم النبوة فيهم والكتاب، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم.

وقال قوم: بل قالوا نحن أحق بالإيمان، لأنا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان. وقال الحسن: كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا. وغرضهم بذلك الإحتجاج بأن الدين ينبغى أن يلتمس من جهتهم، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم. وليس الأمر على ما ظنوا، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن الذى يقوم بأعبائها ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم. وقوله: لنا أعمالنا، معناه الإنكار لإحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشركون ونحن له مخلصون. وقيل معناه الإنكار للإحتجاج بعبادة العرب للاوثان، فقيل: لا حجة فى ذلك، إذ لكل أحد عمله لا يؤخذ بجرم غيره.

سيرة ابن هشام:۲/۴۰۳:

وأتى رسول الله(ص)نعمان بن أضاء، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدى، فكلموه وكلمهم رسول الله(ص)ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ... الخ. ورواه فى الدر المنثور:۲/۲۶۹ عن ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس.

الدر المنثور:۲/۱۴:

عن قتادة: وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون، حين قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد: وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون، قال: غرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

الدر المنثور:۲/۱۷۰:

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن فى قوله: أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: هم اليهود والنصارى، قالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

وأخرج ابن جرير عن السدى فى قوله: أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: نزلت فى اليهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً فلا يكون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا، ما عملنا بالنهار كُفِّرَ عنا بالليل.

الدر المنثور:۳/۳۷:

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، قال كذبوا له، أما اليهود والنصارى فقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وأما مشركوا العرب فكانوا يعبدون اللات والعزى، فيقولون: العزى بنات الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، أى عما يكذبون..

وأخرج الطستى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ، قال: وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

اخترق القول بها لاهياً مستقبلاً أشعث عذب الكلام

الدر المنثور:۱/۸۹:

أخرج ابن جرير عن أبى العالية قال: قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فأنزل الله: قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، فلم يفعلوا.

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى هذه الآية قال: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ، يعنى الجنة كما زعمتم خالصة من دون

الناس، یعنی المؤمنین فتمنوا الموت إن کنتم صادقین أنها لکم خالصة من دون المؤمنین. فقال لهم رسول الله (ص): إن کنتم فی مقالتکم صادقین قولوا: اللهم أمتنا، فوالذی نفسی بیده لا یقولها رجل منکم إلا غص بریقه فمات مکانه، فأبوا أن یفعلوا وکرهوا ما قال لهم، فنزل: وَلَنْ یَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ، یعنی عملته أیدیهم وَاللهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ.

وأخرج ابن اسحق وابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، أی ادعوا بالموت علی أی الفریقین أکذب، فأبوا ذلک، ولو تمنوه یوم قال ذلک ما بقی علی وجه الأرض یهودی إلا مات.

وأخرج ابن اسحق وابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَی حَیَاةٍ، یعنی الیهود، ومن الذین أشرکوا، وذلک أن المشرک لا یرجو بعثاً بعد الموت فهو یحب طول الحیاة، وأن الیهودی قد عرف ماله فی الآخرة من الخزی بما ضیع ما عنده من العلم.

وقال الله تعالی: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۰ – ۸۲.

تفسیر التبیان:۱/۳۲۳:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم یبین عددها فی التنزیل لأنه تعالی أخبر عنهم بذلک وهم عارفون بعدد الأیام التی یوقتونها فی النار، فلذلک نزل تسمیة عدد الأیام وسماها معدودة لما وصفنا. وقال أبو العالیة وعکرمة والسدی وقتادة: هی أربعون یوماً. ورواه الضحاک عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الأیام التی عبدوا فیها العجل.

وقال ابن عباس: إن الیهود تزعم أنهم وجدوا فی التوراة مکتوباً إن ما بین طرفی جهنم مسیرة أربعین سنة، وهم یقطعون مسیرة کل سنة فی یوم واحد، فإذا انقطع المسیر انقطع العذاب، وهلکت النار.

وقال مجاهد وسعید بن جبیر عن ابن عباس: إنها سبعة أیام، لأن عمر الدنیا سبعة آلاف سنة، وإنهم یعذبون بعدد کل ألف سنة یوماً واحداً من أیام الآخرة، وهو کألف سنة من أیام الدنیا.

ولما قالت الیهود ما قالت من قولها: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاأَیَّامًا مَعْدُودَةً علی ما بیناه، قال الله تعالی لنبیه: قل أتخذتم عند الله عهداً بما تقولون من ذلک أو میثاقاً، فالله لا ینقض عهده، أم تقولون علی الله ما لا تعلمون من الباطل جهلاً وجرأة علیه...

قوله تعالی: بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ... قوله بلی جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أیاماً معدودة، فرد الله علیهم بأن قال: بلی من أحاطت به خطیئته...

کنز الدقائق:۲/۴۷:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً: بسبب تسهیلهم أمر العذاب. وغرهم فی دینهم ما کانوا یفترون، من قولهم السابق، أو أن آبائهم الأنبیاء یشفعون لهم، أو أنه تعالی وعد یعقوب أن لا یعذب أولاده إلا تحلة القسم، وتکریر الکذب والإفتراء یصیره فی صورة الصدق عند قائله ومفتریه.

تفسیر نور الثقلین:۱/۹۳:

فی تفسیر علی بن ابراهیم قوله: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً، قال: قال بنو اسرائیل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الایام المعدودات التی عبدنا فیها العجل، فرد الله علیهم: قُلْ – یا محمد لهم – أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

سیرة ابن هشام:۲/۳۸۰:

وقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

قال ابن إسحاق: وحدثنی مولی لزید بن ثابت عن عکرمة أو عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدینة والیهود

تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً فى النار من أيام الآخرة، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله فى ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، أى من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، أى خلداً أبداً. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ولا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل يؤنبهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ، أى ميثاقكم، لا تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ. أى تركتم ذلك كله...

الدر المنثور:۱/۸۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة قال: اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبى(ص)فقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وسموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبى(ص) وأصحابه! فقال رسول الله(ص)ورد يده على رؤسهم: كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً، ففيهم أنزلت هذه الآية: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، يعنون أربعين ليلة.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم أن رسول الله(ص)قال لليهود: أنشدكم بالله وبالتوراة التى أنزل الله على موسى يوم طور سيناء: من أهل النار الذين أنزلهم الله فى التوراة قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة فنمكث فى النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفوننا فيها! فقال رسول الله (ص): كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبى(ص)وتكذيباً لهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلى قوله هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

مجمع الزوائد:۶/۳۱۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً فى النار وإنما سبعة أيام معدودات، فأ نزل الله عز وجل: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، إلى قوله: فِيهَا خَالِدُونَ.

وقال الله تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ۱۱۱ – ۱۱۲.

يَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۴۷ – ۴۸.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ۳۱.

إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا. أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا. أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً. النساء: ۴۸ – ۵۱.

تفسير التبيان:۳/۲۲۱:

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم. قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبى صلى الله عليه وآله بأولادهم

الأطفال فقالوا: یامحمد أعلی هؤلاء ذنوب؟ فقال صلی الله علیه وآله: لا، فقالوا: کذلک نحن مانعمل باللیل یغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار یغفر باللیل، فقال الله تعالی: بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ.

وقال: مجاهد وأبو مالک: کانوا یقدمونهم فی الصلاة ویقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: کانوا یقولون: أطفالنا یشفعون لنا عند الله.

کنز الدقائق:۲/۵۸:

قال الله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللهُ وَیَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ...

قال البیضاوی: روی أنها نزلت لما قالت الیهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقیل: نزلت فی وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسیح حباً لله..انتهی.

حقائق التأویل/۱۲۶:

وقال بعضهم إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فالخلائق غیرنا عبید لنا ومنخفضون عن علونا، فلیس علینا جناح فی أکل أموال عبیدنا ومن هم فی الرتبة دوننا. قال صاحب هذا القول: والیهود یتدینون باستحلال أموال کل من خالفهم باستعمال الغش فی معاملاتهم، ویدعون أن ذلک فرض علیهم فی دینهم، ولیس تأولهم لذلک علی حد ما یتأوله المسلمون فی أهل الحرب.

وذهب أبو علی إلی أن قولهم: لَیْسَ عَلَیْنَا فِی الْأُمِّیِّینَ سَبِیلٌ، إنما یعنون به لیس علینا لهم سلطان ولا قدرة، فلا یجب علینا اتباعهم ولا النزول تحت حکمهم، یریدون بذلک النبی صلی الله علیه وآله وأصحابه، فلذلک استحلوا أموالهم. انتهی.

تفسیر التبیان:۱/۲۱۳:

وقوله: وَلا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، مخصوص عندنا بالکفار، لأن حقیقة الشفاعة عندنا أن یکون فی إسقاط المضار دون زیادة المنافع. والمؤمنون عندنا یشفع لهم النبی صلی الله علیه وآله فیشفعه الله تعالی ویسقط بها العقاب عن المستحقین من أهل الصلاة، لما روی من قوله صلی الله علیه وآله: ادخرت شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی...

والشفاعة ثبتت عندنا للنبی صلی الله علیه وآله وکثیر من أصحابه، ولجمیع الأئمة المعصومین، وکثیر من المؤمنین الصالحین.

وقیل إن نفی الشفاعة فی هذه الآیة یختص بالیهود من بنی إسرائیل، لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبیائه، وأن آباءهم یشفعون إلیه، فآیسهم الله من ذلک فأخرج الکلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

تفسیر التبیان:۳/۲۲۱:

قوله تعالی: أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ یُزَکُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ وَلا یُظْلَمُونَ فَتِیلاً... قال الحسن والضحاک وقتادة وابن زید وهو المروی عن أبی جعفر علیه السلام: إنهم الیهود والنصاری فی قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ کَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَی تِلْکَ أَمَانِیُّهُمْ.

قال الزجاج: الیهود جاؤوا إلی النبی صلی الله علیه وآله بأولادهم الاطفال فقالوا: یا محمد أعلی هؤلاء ذنوب؟ فقال صلی الله علیه وآله: لا فقالوا: کذلک نحن ما نعمل باللیل یغفر بالنهار وما نعمل بالنهار یغفر باللیل، فقال الله تعالی: بَلِ اللهُ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ. وقال: مجاهد وأبو مالک: کانوا یقدمونهم فی الصلاة ویقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: کانوا یقولون: أطفالنا یشفعون لنا عند الله.

تفسیر التبیان:۳/۲۲۲:

وافتراؤهم الکذب علی الله هاهنا المراد به تزکیتهم لانفسهم بأنا أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری، ذکره ابن جریج. وقوله: وَکَفَی بِهِ إِثْمًا مُبِینًا، معناه تعظیم إثمه، وإنما یقال کفی به فی العظم علی جهة المدح أو الذم کقولک کفی بحال المؤمن نبلاً، وکفی بحال الکافر إثماً.

تفسیر التبیان:۳/۷۶:

وقوله: وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا... قال البلخى: إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وأهل الصوم والصلاة. وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام، ولكنهم أهل شرك ونفاق. وهو المروى عن أبى جعفر عليه السلام...

تفسير نور الثقلين:۱/۴۸۹:

فى نهج البلاغة من كلام له عليه السلام يصف فيه المتقين: لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لانفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكِّىَ أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون. انتهى.

هذا، والآيات والأحاديث فى تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف، حَذْوَ القُذَّةِ بالقذة، والنعل بالنعل..كما أخبر به الصادق الامين صلى الله عليه وآله!

الشفاعة عند عرب الجاهلية

عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للأصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده.

قال الله عز وجل:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ۱۲ ـ ۱۳.

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. إِنِّى إِذًا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ. يس: ۲۳ ـ ۲۴.

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. الزمر: ۴۳-۴۵.

أَلا لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ۳ ـ ۴.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۳:

حكى أبو عيسى الوراق فى كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى: صنف أقر بالخالق وبالإبتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائك، وأحلوا لها وحرموا.

ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور.

ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والاعادة، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية، وآخر إلى النصرانية.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۸:

وقد عبد الأصنام قوم من الأمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا... وكان (سواع) لهذيل وكان (برهاط) وكان بدومة الجندل، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن، وكان (نسر) لذى الكلاع بأرض حمير، وكان (يعوق) لهمدان، وكانت (اللات) لثقيف وكانت بالطائف، وكانت (العزى) لقريش وجميع بنى كنانة وسدنتها من بنى سليم، وكانت (مناة) للاوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلك، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة. وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة، ووضعهما عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

مجمع الزوائد:۷/۱۱۵:

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقديد، قال على بن الجعد: بطن نخلة هو بستان بنى عامر.

تفسير القمى:۲/۲۵۰:

قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، يعنى الأصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة. وقوله: قل لله الشفاعة جميعاً، قال: لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.

تفسير القمى:۲/۲۸۹:

وقال على بن ابراهيم: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: هم الذين قد عبدوا فى الدنيا، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم.

تفسير التبيان:۴/۲۰۷:

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ... يقول تعالى لهؤلاء الكفار: مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ، الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقال عكرمة: إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال: سوف يشفع فىَّ اللات والعزى، فنزلت الآية.

وقوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ، أى وصلكم. وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، أى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله تعالى، وأنه يشفع لكم عند ربكم، فلا شفيع لكم اليوم.

تفسير التبيان:۹/۳۳:

ثم أخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم من الأصنام والأوثان فقال (قل) لهم يا محمد: أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لا يَعْقِلُونَ، تنبيهاً لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شئ من الشفاعة، ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً. والألف فى (أ ولو) ألف الإستفهام يراد به التنبيه.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أى الشفاعة لمن له التدبير والتصرف فى السموات والأرض، ليس لأحد الإعتراض عليه فى ذلك.

ثم إليه ترجعون، معاشر الخلق أى إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأمر والنهى سواه، وهو يوم القيامة فيجازى كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصى بالعقاب.

الدر المنثور:۳/۳۰۲:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا... أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال قال النضر: إذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى، فأنزل الله تعالى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ. وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ. ومثله فى:۳/۸

الدر المنثور:۵/۳۲۹:

قوله تعالى: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ.. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة (رض) فى قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قال: الإلهة.

الدر المنثور:۳/۱۴۹:

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ قال: اشتقوا العزى من العزيز، واشتقوا اللات من الله.

مكانة اللات والعزى عند مشركى العرب

كان لصنمى اللات والعزى مكانة عظيمة عند قريش خاصة، وعند بعض قبائل العرب، ويليهما صنم مناة، أما هبل فهو وإن كان الإله الأكبر عندهم ولكن ارتباطهم المباشر وقَسَمَهُم الرسمى ومراسم عبادتهم الاساسية إنما كانت للات والعزى، وليس لهبل..

قال المحدث البحرانى فى حلية الابرار:۱/۱۲۷:

الشيخ فى أماليه بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً! لقد كذَّبتمونى صادقاً، وخوَّنتمونى أميناً. ثم التفت إلى أبى جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَّدَ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى!! راجع أمالى الطوسى:۱ ـ ۳۱۶ والبحار: ۱۹ ـ ۲۷۲ ح ۱۱ ومثله فى مجمع الزوائد:۶/۹۱).

وقال فى مجمع الزوائد:۶/۲۱:

وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله(ص)بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله(ص)! قلت: إنعت لنا رسول الله(ص). قال: بين بردين أحمرين، مربوع، كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۶/۴۰۸:

وأخرج أبونعيم فى الدلائل عن ابن عباس قال: ما كان أبولهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالات قريش حتى حصرونا فى الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقى هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه فقال: يا ابنة عتبة هل نصرتُ اللات والعزى؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة! قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة، يزعم أنها كائنة بعد الموت فما ذاك! وصنع فى يدى ثم نفخ فى يديه، ثم قال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد! فنزلت: تبت يدا أبى لهب. قال ابن عباس: فحصرونا فى الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة، حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك فينا من هلك!!

اليمين الرسمى المقدس عند قريش باللات والعزى

روى الحاكم فى المستدرك:۱/۱۶۳:

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهى تبكى فقال: يابنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالى لا أبكى وهؤلاء الملا من قريش فى الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك! فقال يا بنية إئتنى بوضوء فتوضأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: ها هوذا، فطأطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بين يديهم، فلم يرفعوا أبصارهم! فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً. هذا حديث صحيح، قد احتجا جميعاً بيحيى بن سليم. واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثيم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد: ۸/۲۲۸ وقال: رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

وروى العياشئ فى تفسيره:۲/۲۵۹:

عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، قال: ما يقولون فيها؟ قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى. قال: تباً لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه. قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قَبَايعُ سيوفهم على عواتقهم،

فیبلغ ذلک قوماً من شیعتنا لم یموتوا فیقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم، فیبلغ ذلک قوماً من أعدائنا فیقولون: یا معشر الشیعة ما أکذبکم! هذه دولتکم وأنتم تکذبون فیها، لا والله ما عاشوا ولا تعیشوا إلی یوم القیامة، فحکی الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد أیمانهم. انتهی.

المسألة...

بعض الصحابة کانوا یقسمون باللات والعزی

تدل مصادر الفقه السنی علی أن عادة القسم باللات والعزی بقیت فی أذهان القرشیین وعلی ألسنتهم حتی بعد إسلامهم! فقد روی البخاری فی صحیحه: ۶/۵۱: عن أبی هریرة قال قال رسول الله (ص): من حلف فقال فی حلفه واللات والعزی فلیقل لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامرک فلیتصدق.انتهی. (ورواه أیضاً فی: ۷/۹۷ وص۱۴۴ وص۲۲۲ و۲۲۳.

ورواه مسلم فی: ۵/۸۱ وص۸۲، ورواه ابن ماجة فی: ۱/۶۷۸، وروی بعده عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبی وقاص قال: حلفت باللات والعزی فقال رسول الله (ص) قل: لا إله إلا الله وحده لا شریک له، ثم انفث عن یسارک ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تعد). (ورواه أبو داود فی:۲/۹۰، والترمذی فی: ۳/ ۴۶ وص۵۱، والنسائی فی: ۷/۷، وأحمد: ۱/ ۱۸۳ و۱۸۶ و:۲/ ۳۰۹، والبیهقی:۱/ ۱۴۹ و:۱۰/۳۰، ومالک فی المدونة: ۲/۱۰۸).

الأسئلة

۱ ـ هذا یدلنا علی أن الصحابة کانوا حدیثی عهد بالإسلام، وأن رواسب الجاهلیة حتی عبادة الأصنام کانت ما تزال فی مشاعرهم وعلی ألسنة بعض کبارهم کسعد بن وقاص، ومن یخلف النبی صلی الله علیه وآله لابد أن یکون کرم الله وجهه عن السجود للأصنام، حتی یکون نقیاً من هذه الرواسب الجاهلیة.. فهل تعرفون هذه الصفة فی غیر علی علیه السلام؟

۲ ـ نحن نفتی بأن الیمین الشرعی لاینعقد إلا بالله تعالی، ومن حلف بغیره فلا یمین له ولا شئ علیه. وقد أفتی ابن حزم فی المحلی: ۸/۵۱، وابن قدامة فی المغنی:۱/۱۶۹ و:۱۱/۱۶۲،بأن من حلف باللات والعزی فلا شئ علیه إلا الإستغفار، وعلله ابن حزم فی:۱۱/ ۱۶۳ بقوله: (لأن الحلف بغیر الله سیئة والحسنة تمحو السیئة، وقد قال الله تعالی: إِنَّ الْحَسَنَاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئَاتِ، وقال النبی (ص): إذا عملت سیئة فأتبعها حسنة تمحها. ولأن من حلف بغیر الله فقد عظم غیر الله تعظیماً یشبه تعظیم الرب تبارک وتعالی، ولهذا سمی شرکاً لکونه أشرک غیر الله مع الله تعالی فی تعظیمه بالقسم به، فیقول لا إله إلا الله توحیداً لله تعالی وبراءة من الشرک).

فهل تفتون بأن من حلف بصنم لا یخرج عن الملة، ومن حلف بالنبی صلی الله علیه وآله أو بأحد من عترته علیهم السلام فهو مشرک یخرج من الملة؟!

اعتقاد قریش بنفع اللات والعزی و ضرهم

مناقب آل أبی طالب:۱/۱۰۲ عن امرأة یقال لها زهرة قال:

أسلمت فأصیب بصرها، فقالوا لها أصابک اللات والعزی، فرد صلی الله علیه وآله علیها بصرها فقالت قریش: لو کان ما جاء محمد خیراً ما سبقتنا إلیه زهرة! فنزل: وقال الذین کفروا للذین آمنوا لو کان خیراً ما سبقونا إلیه.

مسند أحمد:۱/۲۶۴:

عن عبدالله بن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بکر ضمام بن ثعلبة وافداً إلی رسول الله(ص)فقدم علیه وأناخ بعیره علی باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله(ص)جالس فی أصحابه، وکان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غریرتین، فأقبل حتی وقف علی رسول الله(ص)فی أصحابه فقال: أیکم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله (ص): أنا ابن عبد المطلب. قال محمد؟ قال نعم فقال: یا ابن عبد

المطلب إنی سائلک ومغلظ فی المسألة فلا تجدن فی نفسک. قال: لا أجد فی نفسی فسل عما بدا لک. قال: أنشدک الله إلهک وإله من کان قبلک وإله من هو کائن بعدک، آلله بعثک إلینا رسولاً؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشدک الله إلهک وإله من کان قبلک وإله من هو کائن بعدک آلله أمرک أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرک به شیئاً وأن نخلع هذه الأنداد التی کانت آباؤنا یعبدونها معه؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشدک الله إلهک وإله من کان قبلک وإله من هو کائن بعدک آلله أمرک أن نصلی هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال ثم جعل یذکر فرائض الإسلام فریضة فریضة الزکاة والصیام والحج وشرائع الإسلام کلها یناشده عند کل فریضة کما یناشده فی التی قبلها، حتی إذا فرغ قال: فإنی أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سیدنا محمداً رسول الله، وسأؤدی هذه الفرائض وأجتنب ما نهیتنی عنه، ثم لا أزید ولا أنقص.

قال ثم انصرف راجعاً إلی بعیره فقال رسول الله(ص)حین ولی: إن یصدق ذو العقیصتین یدخل الجنة. قال فأتی إلی بعیره فأطلق عقاله ثم خرج حتی قدم علی قومه فاجتمعوا إلیه، فکان أول ما تکلم به أن قال: بئست اللات والعزی! قالوا مه یا ضمام، إتق البرص والجذام، إتق الجنون. قال: ویلکم إنهما والله لا یضران ولا ینفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل علیه کتاباً استنقذکم به مما کنتم فیه، وإنی أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له وأن محمداً عبده ورسوله، إنی قد جئتکم من عنده بما أمرکم به ونهاکم عنه. قال فوالله ما أمسی من ذلک الیوم وفی حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً!

قال یقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم کان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قریش

کمال الدین وتمام النعمة:۱/۱۸۴:

قال بحیری: یاغلام أسألک عن ثلاث خصال بحق اللات والعزی إلا ما أخبرتنیها. فغضب رسول الله صلی الله علیه وآله عند ذکر اللات والعزی وقال: لا تسألنی بهما فوالله ما أبغضت شیئاً کبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومی! فقال بحیری: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتنی، فقال: سل عما بدا لک فإنک قد سألتنی بإلهی وإلهک الذی لیس کمثله شیء، فقال: أسألک عن نومک ویقظتک، فأخبره عن نومه ویقظته وأموره وجمیع شأنه، فوافق ذلک ما عند بحیری من صفته التی عنده، فانکب علیه بحیری فقبل رجلیه وقال: یا بنی ما أطیبک وأطیب ریحک، یا أکثر النبیین أتباعاً...

الخرائج والجرائح:۱/۷۱:

فی خبر الراهب بحیری مع النبی صلی الله علیه وآله: قال: یا غلام أتخبرنی عن أشیاء أسألک عنها قال: سل. قال: أنشدک باللات والعزی إلا أخبرتنی عما أسألک عنه، وإنما أراد أن یعرف لأنه سمعهم یحلفون بهما فذکروا أن النبی صلی الله علیه وآله قال له: لا تسألنی باللات والعزی فإنی والله لم أبغض بغضهما شیئاً قط. قال: فبالله إلا أخبرتنی عما أسألک عنه قال: فجعل یسأله عن حاله فی نومه وهیئته وأموره فجعل رسول الله صلی الله علیه وآله یخبره فکان یجدها موافقة لما عنده... فأخذه الافکل وهو الرعدة واهتز الدیرانی فقال: من أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: هو ابنی. قال: لا والله لا یکون أبوه حیاً. قال أبو طالب: إنه ابن أخی. قال: فما فعل أبوه قال: مات وهو ابن شهرین. قال صدقت!-وروی فی:۳/۱۰۸۹ تتمة قول الراهب: کأنی بک قد قدت الاجناب والخیل وقد تبعک العرب والعجم طوعاً وکرها، وکأنی باللات والعزی قد کسرتهما وقد صار البیت العتیق تضع مفاتیحه حیث تریده... معک الذبح الأکبر وهلاک الأصنام. أنت الذی لا تقوم الساعة حتی تدخل الملوک کلها فی دینک صاغِرَةً قَمِئَة.

و تمسک سدنة اللات والعزی بهما إلی آخر نفس

شرح الأخبار:۲/۱۶۳:

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله الطائف سأله أهلها أن يدع لهم اللات ـ وكانوا يعبدونها ـ لمدة ذكروها وقالوا: إنا نخشى فى هدمها سفهاءنا، فأبى عليهم.

مناقب آل أبى طالب:۱/۵۲:

ابن عباس فى قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا، قال وفد ثقيف: نبايعك على ثلاث: لا ننحنى، ولا نكسر إلهاً بأيدينا، وتمتعنا باللات سنة. فقال صلى الله عليه وآله: لا خير فى دين ليس فيه ركوع وسجود، فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية اللات فإنى غير ممتعكم بها.

و حطم النبى كل الأصنام

مناقب آل أبى طالب:۱/۳۹۹:

وحدثنى أبو الحسن على بن أحمد العاصمى، عن اسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبى بكر البيهقى بإسناده عن أبى مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إحملنى لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله! فحملنى فلو شئت أتناول السماء فعلت! وفى خبر والله لو شئت أن أنال السماء بيدى لنلتها.

وروى القاضى أبو عمرو عثمان بن أحمد، عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: قم بنا إلى الصنم فى أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبى: قم على عاتقى حتى أرفعك عليه، فأعطاه على ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ على الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة...

حلية الابرار:۲/۱۲۵:

عن على عليه السلام: أنا الذى قال فىَّ الامين جبرئيل عليه السلام: لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا على، أنا صاحب فتح مكة، أنا كاسر اللات والعزى، أنا هادم الهبل الاعلى، ومناة الثالثة الأخرى، أنا علوت على كتف النبى صلى الله عليه وآله وكسرت الأصنام، أنا الذى كسرت يغوث ويعوق ونسراً.

و اخترعت قريش قصة الغرانيق انتصارا للات والعزى

قال الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى. وَلِلهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. النجم: ۸ ـ ۳۱.

نزلت هذه الآيات فى مكة بعد مرحلة (أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) وبعد مرحلة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وإعلان النبى صلى الله عليه وآله دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين فى الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.. ومن الواضح أن الصراع فى تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإسلام والمشركين، وكان أهم ما يتسلح به المشركون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإسلام هو (أن محمداً قد سبَّ آلهتنا وسفَّه أحلامنا).

وقد كان موقف النبى صلى الله عليه وآله من آلهتهم موقفاً صريحاً قوياً لامساومة فيه ولامهادنة.. وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن، وآياتها القاطعة فى مسألة الأصنام.. ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الربانى الصريح القوى، بل هى الحسم الالهى النهائى فى المسألة، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها، وإسقاطها إلى الابد!

ومن الطبيعى أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش، وأن تثير كبرياءها وعواطفها لأصنامها، وأن تقوم بردة فعل بإشكال متعددة. وقصة الغرانيق ما هى إلا واحدة من ردات الفعل القرشية..!

لكن متى اختُرِعَتْ ومن اخترعها؟!

يغلب على الظن ماذكره الشريف المرتضى من أن المشركين عبدة هذه الأصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها فى آيات السورة حرَّفَ بعضهم الآيات، ووضع بعد أسماء الأصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فأعجب ذلك القرشيين، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لآلهتهم فى السورة!

ولكن كيف يمكن ذلك؟ وكيف ينسجم مع السياق، والسياق كله حملة شديدة على فكر الأصنام وأهلها؟!!

هكذا ولدت قصة الغرانيق على ألسنة القرشيين، ولكنها كانت هذياناً ولغواً فى القرآن من قريش المشركة لا أكثر!

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المنافقة هذا اللغو فى القرآن إلى آيات الغرانيق واتهمت بها النبى بعد وفاته صلى الله عليه وآله لإثبات أنه لم يكن معصوماً عصمة مطلقة لتكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى فى تبليغ الوحى! وفى ذلك فوائد عديدة لقريش للالتفاف على أوامر النبى صلى الله عليه وآله وتبرير أخطاء حكامها ومخالفاتهم لسنته!!

وهكذا سجلت مصادر السنيين قصة الغرانيق التى تزعم أن النبى صلى الله عليه وآله قد ارتكب خيانة والعياذ بالله فى نص القرآن، وشهد بالشفاعة لأصنام اللات والعزى ومناة، وسجد لها لكى ترضى عنه قريش!

وقد طار منافقو قريش بهذه القصة فرحاً، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغربيون!!

وقد روى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۶/۳۲ بعض روايات الغرانيق، وروى السيوطى عدداً وافراً منها فى الدر المنثور: ۴/۱۹۴ وص ۳۶۶ وبعضها صحيح السند، خلافاً لمن برّأ منها الرواة المعتمدين عند حكام قريش! قال السيوطى فى/۳۶۶:

وأخرج البزار والطبرانى وابن مردويه والضياء فى المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله(ص)قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا! فجاء جبريل فقال: إقرأ علىَّ ما جئتك به، فقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان!! فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى.. إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير... الخ!! انتهى.

وقد ورد فى بعض رواياتهم الافتراء على النبى صلى الله عليه وآله بأنه سجد للاصنام! (فقال: وإنهن لهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لهى التى ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...).

وفى بعضها (ألقى الشيطان على لسانه: وهى الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه وقال: قد آن لابن أبى كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت، فأرادوا أن يُقْبِلوا واشتد على رسول الله(ص)وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ.. الآية) انتهى.

وقد تجرأ بعض العلماء السنيين وردُّوا روايات الغرانيق ولكنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم، من أجل أن لا يطعنوا فى مؤلفى صحاحهم والموثقين من رواتهم!

قال المجلسى فى بحار الأنوار:۱۷/۵۶:

قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... قال الرازى: ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية أن الرسول لما رأى إعراض قومه عنه شق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى فى نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم فى ناد من أنديه قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شئ ينفروا عنه وتمنى ذلك! فأنزل تعالى سورة والنجم إذا هوى، فقرأها رسول الله(ص)حتى بلغ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى! فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله(ص)فى قراءته وقرأ السورة كلها، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، سوى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فلما أمسى رسول الله أتاه جبرئيل فقال: ماذا صنعت! تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك! فحزن رسول الله(ص)حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ.. الآية.

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلةٌ موضوعةٌ واحتجوا بالقرآن، والسنة، والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وثانيها: قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى.

وثالثها: قوله: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحىٌ يوحى.

فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد أظهر كذب الله تعالى فى الحال، وذلك لا يقول به مسلم.

ورابعها: قوله تعالى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، وكاد معناه قرب أن يكون لأمر كذلك مع أنه لم يحصل.

وخامسها: قوله: ولولا أن ثبتناك، وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشئ لإنتفاء غيره، فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

وسادسها: قوله: كذلك لنثبت به فؤادك.

وسابعها: قوله: سنقرئك فلا تنسى.

وأما السنة فهى أنه روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبوبكر البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وآله قرأ سورة (والنجم) وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق، وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق.

وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه(ص)كان فى نفى الأوثان.

وثانيها: أنه(ص)ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً لأذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو فى أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم.

وثالثها: أن معاداتهم للرسول صلى الله عليه وآله كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته، وذلك أن أحكام الآيات بإزالة تلقية الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تنتفى الشبهة معها، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق بين النقصان من الوحى وبين الزيادة فيه!

فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، أكثر ما فى الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد التواتر. وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة... انتهى.

ولم يلتفت هذا المفسر الكبير إلى أن الآية التى ادعوا أنها نزلت على أثر القصة مدنية، نزلت بعد النجم بنحو عشر سنوات! كما لم يلتفت إلى أن رواية البخارى وغيره التى ذكرها هى قصة الغرانيق بعينها!

البخارى و مسلم رويا فرية الغرانيق

وينبغى أن نحسن الظن بالرازى وأمثاله الذين دافعوا عن البخارى والصحاح فقالوا إنهم لم يرووا قصة الغرانيق، حيث لم يقرؤوا الصحاح جيداً، وإلا لوجدوا فيها قصة الغرانيق بأكثر من رواية! غاية الأمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبى صلى الله عليه وآله زاد فى السورة مدح أصنام المشركين، ولكنهم ذكروا دليلاً عليه وهو سجود المسلمين والمشركين وحتى سجود أبى أحيحة أو أمية بن خلف أو غيرهما على كف من تراب أو حصى!! فإن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله أى مصدر على الإطلاق فى أى رواية على الإطلاق، إلا فى رواية الغرانيق! ومضافاً إلى رواية البخارى الفظيعة التى ذكرها الرازى فقد روى البخارى أيضاً فى:۵/۷: عن عبدالله (رض) عن النبى(ص)أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه، غير أن شيخاً أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفينى هذا! قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً. انتهى. ورواه مسلم فى /۸۸.

وروى البخارى أيضاً فى:۶/۵۲:

عن الأسود بن يزيد عن عبد الله (رض) قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله(ص)وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.

وقال الحاكم فى المستدرك:۱/۲۲۱:

عن أبى إسحاق عن الاسود عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ولم يخرجاه، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبى اسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وآله قرأ والنجم فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الآخرين فإنى لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم غير قيس بن الربيع. والذى يؤدى إليه الإجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم.

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخارى ومسلم أن يرويا رواية السجود فى سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا رواية سورة النجم!!

وقال البيهقى فى سننه:۲/۳۱۴:

عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى(ص)سجد فيها، يعنى والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخارى فى الصحيح عن أبى معمر وغيره، عن عبد الوارث.

ورواها فی مجمع الزوائد:۷/۱۱۵ أیضاً وصححها، قال:

قوله تعالی (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی) عن ابن عباس فیما یحسب سعید بن جبیر أن النبی(ص)کان بمکة فقرأ سورة والنجم حتی انتهی إلی (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی) فجری علی لسانه: تلک الغرانیق العلی الشفاعة منهم ترتجی، قال فسمع بذلک مشرکو أهل مکة فسروا بذلک، فاشتد علی رسول الله(ص)فأنزل الله تبارک وتعالی (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ) رواه البزار والطبرانی وزاد إلی قوله (عَذَابُ یَوْمٍ عَقِیمٍ) یوم بدر. ورجالهما رجال الصحیح إلا أن الطبرانی قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبی(ص)، وقد تقدم حدیث مرسل فی سورة الحج أطول من هذا، ولکنه ضعیف الإسناد. انتهی.

ویقصد بالروایة الطویلة الضعیفة ما رواه فی مجمع الزوائد:۷/۷۰ وقد ورد فیها:

حین أنزل الله السورة التی یذکر فیها (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی) فقال المشرکون لو کان هذا الرجل یذکر آلهتنا بخیر أقررناه وأصحابه، فإنه لا یذکر أحداً ممن خالف دینه من الیهود والنصاری بمثل الذی یذکر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله السورة التی یذکر فیها والنجم وقرأ (أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی) ألقی الشیطان فیها عند ذلک ذکر الطواغیت فقال: وإنهم من الغرانیق العلی، وإن شفاعتهم لترتجی، وذلک من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلی دینه الأول ودین قومه، فلما بلغ رسول الله(ص)آخر السورة التی فیها النجم سجد وسجد معه کل من حضره من مسلم ومشرک غیر أن الولید بن المغیرة کان کبیراً فرفع ملء کفه تراب فسجد علیه، فعجب الفریقان کلاهما من جماعتهم فی السجود لسجود رسول الله(ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشرکین من غیر إیمان ولا یقین، ولم یکن المسلمون سمعوا الذی ألقی الشیطان علی ألسنة المشرکین، وأما المشرکون فاطمأنت أنفسهم إلی النبی(ص)، وحدثهم الشیطان أن النبی(ص)قد قرأها فی السجدة، فسجدوا لتعظیم آلهتهم، ففشت تلک الکلمة فی الناس وأظهرها الشیطان حتی بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن کان معهم من أهل مکة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الولید بن المغیرة علی التراب علی کفه، أقبلوا سراعاً! فکبر ذلک علی رسول الله(ص)، فلما أمسی أتاه جبریل علیه السلام فشکا إلیه فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبریل وقال: معاذ الله من هاتین ما أنزلهما ربی ولا أمرنی بهما ربک!! فلما رأی ذلک رسول الله(ص)شق علیه وقال: أطعت الشیطان وتکلمت بکلامه وشرکنی فی أمر الله!! فنسخ الله ما یلقی الشیطان وأنزل علیه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللَّهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ، لِیَجْعَلَ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقَاقٍ بَعِیدٍ) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشیطان وفتنته، انقلب المشرکون بضلالهم وعداوتهم، فذکر الحدیث، وقد تقدم فی الهجرة إلی الحبشة. رواه الطبرانی مرسلاً وفیه ابن لهیعة، ولا یحتمل هذا من ابن لهیعة. انتهی.

فتبین من مجموع ذلک أن سند القصة فی مصادر السنیین صحیح، ولا یصح القول بأن الواقدی تفرد بها، أو أن الصحاح لم تروها!!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البیت علی فریة الغرانیق

قال الشریف المرتضی فی تنزیه الأنبیاء/۱۰۶:

مسألة: فإن قال فما معنی قوله تعالی: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ.

أو لیس قد روی فی ذلک أن رسول الله صلی الله علیه وآله لما رأی تولی قومه عنه شق علیه ما هم علیه من المباعدة والمنافرة وتمنی فی نفسه أن یأتیه من الله تعالی ما یقارب بینه وبینهم وتمکن حب ذلک فی قلبه، فلما أنزل الله تعالی علیه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی، وتلاها

علیهم، ألقی الشیطان علی لسانه لما کان تمکن فی نفسه من محبة مقاربتهم: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی، فلما سمعت قریش ذلک سرت به وأعجبهم ما زکی به آلهتهم، حتی انتهی إلی السجدة فسجد المؤمنون وسجد أیضاً المشرکون لما سمعوا من ذکر آلهتهم بما أعجبهم، فلم یبق فی المسجد مؤمن ولا مشرک إلا سجد، إلا الولید بن المغیرة فإنه کان شیخاً کبیراً لا یستطیع السجود فأخذ بیده حفنة من البطحاء فسجد علیها، ثم تفرق الناس من المسجد وقریش مسرورة بما سمعت. وأتی جبرائیل علیه السلام إلی النبی صلی الله علیه وآله معاتباً علی ذلک فحزن له حزناً شدیداً. فأنزل الله تعالی علیه معزیاً له ومسلیاً: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ.. الآیة.

قلنا: أما الآیة فلا دلالة فی ظاهرها علی هذه الخرافة التی قَصُّوها، ولیس یقتضی الظاهر إلا أحد أمرین: إما أن یرید بالتمنی التلاوة کما قال حسان بن ثابت:

تمنی کتاب الله أول لیله وآخره لاقی حمام المقادر

أو أرید بالتمنی تمنی القلب.

فإن أراد التلاوة، کان المراد من أرسلنا قبلک من الرسل، کان إذا تلا ما یؤدیه إلی قومه حرفوا علیه وزادوا فیما یقوله ونقصوا، کما فعلت الیهود فی الکذب علی نبیهم فأضاف ذلک إلی الشیطان، لأنه یقع بوسوسته وغروره. ثم بین أن الله تعالی یزیل ذلک ویدحضه بظهور حجته وینسخه، ویحسم مادة الشبهة به.

وإنما خرجت الآیة علی هذا الوجه مخرج التسلیة له صلی الله علیه وآله لما کذب المشرکون علیه وأضافوا إلی تلاوته مدح آلهتهم ما لم یکن فیها.

وإن کان المراد تمنی القلب، فالوجه فی الآیة أن الشیطان متی تمنی النبی صلی الله علیه وآله بقلبه بعض مایتمناه من الأمور یوسوس إلیه بالباطل ویحدثه بالمعاصی ویغریه بها ویدعوه الیها، وأن الله تعالی ینسخ ذلک ویبطله بما یرشده إلیه من مخالفة الشیطان وعصیانه وترک استماع غروره.

وأما الأحادیث المرویة فی هذا الباب، فلا یلتفت إلیها من حیث تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل (علیهم السلام) عنه. هذا لو لم یکن فی أنفسها مطعونة ضعیفة عند أصحاب الحدیث بما یستغنی عن ذکره.

وکیف یجیز ذلک علی النبی صلی الله علیه وآله من یسمع الله تعالی یقول: کَذَلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ یعنی القرآن، وقوله تعالی: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِیلِ لاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْیَمِینِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِینَ، وقوله تعالی: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسَی!

علی أن من یجیز السهو علی الأنبیاء (علیهم السلام) یجب أن لا یجیز ما تضمنته هذه الروایة المنکرة لما فیها من غایة التنفیر عن النبی صلی الله علیه وآله لأن الله تعالی قد جنب نبیه من الأمور الخارجة عن باب المعاصی کالغلظة والفظاظة وقول الشعر، وغیر ذلک مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالی.

علی أنه لا یخلو صلی الله علیه وآله ـ وحوشی مما قذف به ـ من أن یکون تعمد ما حکوه وفعله قاصداً أو فعله ساهیاً. ولا حاجة بنا إلی إبطال القصد فی هذا الباب والعمد لظهوره، وإن کان فعله ساهیاً فالساهی لا یجوز أن یقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطریقها ثم لمعنی ما تقدمها من الکلام، لأنا نعلم ضرورةً أن من کان ساهیاً لو أنشد قصیدة لما جاز أن یسهو حتی یتفق منه بیت شعر فی وزنها وفی معنی البیت الذی تقدمه، وعلی الوجه الذی یقتضیه فائدته، وهو مع ذلک یظن أنه من القصیدة التی ینشدها. وهذا ظاهر فی بطلان هذه الدعوی علی النبی صلی الله علیه وآله علی أن الموحی إلیه من الله النازل بالوحی وتلاوة القرآن جبرائیل علیه السلام وکیف یجوز السهو علیه؟!

علی أن بعض أهل العلم قد قال: یمکن أن یکون وجه التباس الأمر أن رسول الله صلی الله علیه وآله لما تلا هذه السورة فی ناد غاصٍّ بأهله وکان أکثر الحاضرین من قریش المشرکین فانتهی إلی قوله تعالی: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی، وعلم فی قرب مکانه منه من قریش أنه سیورد بعدها ما یسوؤهم به فیهن قال کالمعارض له والراد علیه:

تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی، فظن کثیر ممن حضر أن ذلک من قوله صلی الله علیه وآله واشتبه علهیم الأمر، لانهم کانوا یلغطون عند قراءته صلی الله علیه وآله ویکثر کلامهم وضجاجهم طلباً لتغلیطه وإخفاء قراءته.

ویمکن أن یکون هذا أیضاً فی الصلاة لانهم کانوا یقربون منه فی حال صلاته عند الکعبة ویسمعون قراءته ویلغون فیها.

وقیل أیضاً إنه صلی الله علیه وآله کان إذا تلا القرآن علی قریش توقف فی فصول الآیات وأتی بکلام علی سبیل الحجاج لهم، فلما تلا: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَ الْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی قال: تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی؟! علی سبیل الإنکار علیهم وأن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلک. ولیس یمتنع أن یکون هذا فی الصلاة لأن الکلام فی الصلاة حینئذ کان مباحاً وإنما نسخ من بعد.

وقیل إن المراد بالغرانیق الملائکة، وقد جاء مثل ذلک فی بعض الحدیث فتوهم المشرکون أنه یرید آلهتهم.

وقیل إن ذلک کان قرآناً منزلاً فی وصف الملائکة فتلاه الرسول صلی الله علیه وآله فلما ظن المشرکون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته.

وکل هذا یطابق ما ذکرناه من تأویل قوله: إذا تمنی ألقی الشیطان فی أمنیته، لأن بغرور الشیطان ووسوسته أضیف إلی تلاوته صلی الله علیه وآله مالم یرده بها. وکل هذا واضح بحمد الله تعالی.

نهج الحق للعلامة الحلی/۱۳۹:

ذهبت الإمامیة کافة إلی أن الأنبیاء (علیهم السلام) معصومون عن الصغائر والکبائر ومنزهون عن المعاصی قبل النبوة وبعدها، علی سبیل العمد والنسیان، وعن کل رذیلة ومنقصة، وما یدل علی الخسة والضعة.

وخالفت الأشاعرة فی ذلک وجوزوا علیهم المعاصی. وبعضهم جوزوا الکفر علیهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا علیهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله صلی الله علیه وآله إلی السهو فی القرآن بما یوجب الکفر فقالوا: إنه صلی یوماً وقرأ فی سورة النجم عند قوله تعالی: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی. تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی. وهذا اعتراف منه بأن تلک الأصنام ترتجی الشفاعة منها!

نعوذ بالله من هذه المقالة التی نسب النبی إلیها، وهی توجب الشرک، فما عذرهم عند رسول الله صلی الله علیه وآله؟!

مجمع البحرین للطریحی:۴/۲۳۹:

رووا أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان فی الصلاة فقرأ سورة النجم فی المسجد الحرام وقریش یستمعون لقراءته، فلما انتهی إلی هذه الآیة: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی، أجری إبلیس علی لسانه: فإنها الغرانیق العلی وشفاعتهن لترتجی! ففرحت قریش وسجدوا وکان فی ذلک القوم الولید بن المغیرة المخزومی وهو شیخ کبیر فأخذ کفاً من حصی فسجد علیه وهو قاعد، وقالت قریش: قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزی. قال فنزل جبرئیل فقال له: قرأت ما لم أنزل به علیک! انتهی.

وقد طار أعداء الإسلام بهذه القصة کما أشرنا وشنعوا بها علی الإسلام ورسوله، محتجین بأنها وردت فی مصادر المسلمین! وکان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدی والدول التی وراءه! وقد أخذها من المستشرقین بروکلمان ومونتغمری وأمثالهما، وأخذها هؤلاء من مصادر السنیین!!

وقد نقد الباحث السودانی الدکتور عبدالله النعیم فی کتابه (الاستشراق فی السیرة النبویة) ـ المعهد العالمی للفکر الإسلامی ۱۴۱۷، استغلال المستشرقین لحدیث الغرانیق ونقل فی/۵۱، افتراء بروکلمان حیث قال عن النبی صلی الله علیه وآله (ولکنه علی ما یظهر اعترف فی السنوات الأولی من بعثته بآلهة الکعبة الثلاث اللواتی کان مواطنوه یعتبرونهن بنات الله، وقد أشار الیهن فی إحدی الآیات الموحاة الیه بقوله: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترجی... ثم مالبث أن أنکر ذلک وتبرأ منه فی الیوم التالی)!!

ونقل الدکتور النعیم فی/۹۶ زعم مونتغمری وات (تلاـ محمد الآیات الشیطانیة باعتبارها جزءاً من القرآن إذ لیس من المتصور أن تکون القصة من تألیف المسلمین أو غیر المسلمین، وأن انزعاج محمد حینما علم بأن الآیات الشیطانیة لیست جزء من القرآن یدل

على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لاتختلف عن عبادة العرب فى نخلة والطائف..ولقد كان توحيد محمد غامضاً (!) ولا شك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله) انتهى.

أما نحن فإننا تبعاً لأهل البيت (عليهم السلام) نرفض رواية الغرانيق من أصلها، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قريش الكثيرة على النبى صلى الله عليه وآله فى حياته وبعد وفاته.. ونستدل بوجودها على أن مطلب قريش كان الإعتراف بآلهتها وشفاعتهن، وأن منافقى قريش وضعوا هذه الروايات طعناً فى عصمة النبى صلى الله عليه وآله فخدموا بذلك هدف قريش المشركة، وهدف أعداء الإسلام فى كل العصور!

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعة ليتمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، ولكنا نأسف لأن مصادر إخواننا السنيين روت عدة افتراءات على النبى صلى الله عليه وآله على أنها حقائق، منها قصة الغرانيق، ومنها قصة ورقة بن نوفل فى بدء الوحى، وغيرها من الروايات المخالفة للعقل والتهذيب والاحترام الذى ينبغى لمقام النبى صلى الله عليه وآله..ثم لم يرووا ما ورد فى مصادرنا من بغض النبى لاصنام قريش منذ طفولته، ولم يرووا تكذيب أهل البيت (عليهم السلام)لرواية ورقة بن نوفل، وتأكيدهم على الأفق المبين الذى نص عليه القرآن وبدأ فيه الوحى.

وقد ذكر الدكتور النعيم فى هامش كتابه المذكور المصادر التى روت حديث الغرانيق وهى طبقات ابن سعد:۱/۲۰۵ وتاريخ الطبرى:۲/۲۲۶ وتاريخ ابن الاثير:۲/۷۷ وسيرة ابن سيد الناس:۱/۱۵۷.. وقال فى/۹۷ (يعتبر الواقدى أول من روج لهذه الفرية ثم أخذها عنه ابن سعد والطبرى وغيرهم) وقال فى/۹۸ (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً، ومهما يكن من أمر فالواقدى هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل!) انتهى.

ولكن عرفت أن أصحاب الصحاح رووها، فعلى الذى يرد سندها أن يرد جميع أسانيدها، لا سند الواقدى وحده!

ثم نقل الدكتور النعيم نقد القاضى عياض فى كتابه (الشفا) لحديث الغرانيق سنداً ومتناً، وكذلك نقد القرضاوى فى كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ونقل عنه قوله فى/۹۳ (ومعنى هذا أن تفهم السنة فى ضوء القرآن ولهذا كان حديث الغرانيق مردوداً بلا ريب، لأنه مناف للقرآن) انتهى.

وليت بقية الباحثين من إخواننا السنيين يتمسكون بدليل مخالفة القرآن ويردون به المكذوبات التى وضعها المنافقون، وروجتها الخلافة القرشية ورواتها، وما زالت إلى عصرنا صحيحة أو موثقة!!

تنبؤ عميق للنبى حول اللات والعزى

روت مصادر السنيين بأسانيد صحيحة عندهم أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر أن العرب سوف يعبدون اللات والعزى مرة أخرى!

فقد روى مسلم فى صحيحه:۸/۱۸۲:

عن أبى سلمة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله(ص)يقول: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى! فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله انتهى.

ورواه الحاكم فى مستدركه:۴/۴۴۶ وص ۵۴۹ وقال فى الموردين (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ورواه البيهقى فى سنه:۹/۱۸۱ ورواه الهندى فى كنز العمال:۱۴/۲۱۱ وقال عنه السيوطى فى الدر المنثور:۶/۶۱: وأخرج مسلم والحاكم وصححه.. وقال عن الحديث الأول فى:۳/۲۳۱ أخرج أحمد ومسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة. انتهى.

وإذا صحت هذه الأحاديث فتفسيرها أن بعض العرب سوف يكفرون فى المستقبل، ويرجعون إلى عبادة اللات والعزى!

ولكن الاقرب أن يكون مقصوده صلى الله عليه وآله أن الأمة سوف تنحرف من بعده وتطيع شخصين من دون الله تعالى، ويكون لهما

تأثير اللات والعزى.. لأن من أطاع شخصاً فى معصية الله تعالى أو من دون أمره، فقد عبده من دون الله تعالى!!
والنتيجة التى نخلص بها من هذا البحث، أن الشفاعة كانت معروفة عند مشركى العرب، وكان يهمهم أن يثبتوا هذه المنزلة لاصنامهم..وهى نقطة تنفعنا فى فهم السبب لوضع بعض الأحاديث التى تدعى توسيع شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله لتشمل كل قريش وكل المنافقين وغيرهم، وتحل محل شفاعة اللات والعزى، وتضاهى شفاعة اليهود المزعومة لقوميتهم!!

كليات الشفاعة فى القرآن

آيات الشفاعة و عناوينها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة فى الدنى

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْ‌ءٍ مُقِيتًا. النساء: ۸۵.

الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى

لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. مريم: ۸۷.
يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلا. طه: ۱۰۹.

الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لا يُغْنِى مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الدخان: ۴۰ ـ ۴۲.

عباد الله المكرمون كلهم شفعاء
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ۲۶ ـ ۲۸.

الشهداء بالحق شفعاء

وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الزخرف: ۸۶.

الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى. النجم: ۲۶

الشفيع الأكبر

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ۵

لا شفاعة من دون الله تعالى

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. الانعام: ۵۱

اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ. السجدة: ۴

لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه

اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. البقرة: ۲۵۵

إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. يونس: ۳

وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. سبأ: ۲۳

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. النجم: ۲۶

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يونس: ۱۸

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ۹۴

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ۱۳

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. يس: ۲۳

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. الزمر: ۴۳ ـ ۴۴

لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدنى

وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۴۸

وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۱۲۳

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَاتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ. البقرة: ۲۵۴

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. الأنعام: ۷۰

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ. الشعراء: ۱۰۰ ـ ۱۰۱

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ۴۸

الكفار يبحثون بحثا حثيثا عن الشفعاء

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَاوِيلَهُ يَوْمَ يَاتِى تَاوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأعراف: ۵۳

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. النبأ: ۳۸

لا شفاعة للظالمين

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ. غافر: ۱۸

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ۴۶-۴۸

شفاعة نبينا

تفسير (المقام المحمود) لنبينا

قال الله تعالى: أَقِمِ الصَّلَوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله فى المحشر

لعل أقوى نص فى متنه يبين أهمية المقام المحمود الذى وعد الله رسوله صلى الله عليه وآله بأن يكرمه به يوم القيامة، ما رواه الصدوق عن على عليه السلام، فقد بين فيه أن ليوم القيامة مراحل ومراسم قبل الحساب، وأن المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله يبدأ فى أوائل مراحل ذلك اليوم العظيم بتلك الخطبة (الفريدة) التى يفتتح بها نبينا المحشر ويلهمه الله تعالى فيها أنواع المحامد لربه تعالى نيابة عن الخلائق، ويعطى على أثرها لواء الحمد الذى هو رئاسة المحشر، وذلك قبل الحساب والشفاعة وحوض الكوثر..

قال الصدوق فى التوحيد فى حديث طويل/۲۵۵ - ۲۶۲:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثنى أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحدب الجند بنيسابور قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله بن عبيد عن أبى معمر السعدانى أن رجلاً أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال:

يا أمير المؤمنين إنى قد شككت فى كتاب الله المنزل.

قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت فى كتاب الله المنزل!

قال: لأنى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال على بن أبى طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنى وجدت الله يقول: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، وقال أيضاً: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، وقال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً....

فقال على عليه السلام: قُدُّوسٌ ربنا قدوس، تبارك وتعالى علواً كبيراً، نشهد أنه هو الدائم الذى لا يزول، ولا نشك فيه، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير، وأن الكتاب حق، والرسل حق، وأن الثواب والعقاب حق، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله إن شاء رزقك وإن شاء حرمك ذلك، ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك،

وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

أما قوله: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إنما يعنى نسوا الله فى دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم فى الآخرة أى لم يجعل لهم فى ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير

وكذلك تفسير قوله عز وجل: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، يعنى بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا فى دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب. وأما قوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذى ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد يقول العرب فى باب النسيان: قد نَسِيَنَا فلان فلا يذكرنا أى أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل؟ قال: نعم، فرجت عنى فرج الله عنك، وحللت عنى عقدة فعظم الله أجرك.

فقال عليه السلام: وأما قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا، وقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، وقوله: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وقوله: إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وقوله: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فإن ذلك فى موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة! يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ فى مواطن يتفرقون ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة فى دار الدنيا. ويلعن أهل المعاصى الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان فى دار الدنيا، الرؤساء والأتباع من المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً. والكفر فى هذه الآية: البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها فى سورة إبراهيم قول الشيطان: إنى كفرت بما أشركتمون من قبل، وقول إبراهيم خليل الرحمن: كفرنا بكم، يعنى تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الاصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معائشهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدى والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون فى هذا الموطن، فذلك قوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود فيثنى على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثنى على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد صلى الله عليه وآله، ثم يثنى على الرسل: بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يثنى على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فطوبى لمن كان له فى ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له فى ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون فى موطن آخر ويدال بعضهم من بعض، وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ فى الحساب شغل كل إنسان بما لديه. نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عنى عقدةً، فعظم الله أجرك. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۷/۱۱۹

الصحيفة السجادية:۱/۳۷:

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسو حلل الأمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الألسن فى الثناء عليك.

اللهم وابسط لسانه فی الشفاعة لامته، وأَرِ أهل الموقف من النبیین وأتباعهم تمکن منزلته، وأوهل أبصار أهل المعروف العلی بشعاع نور درجته، وقفه فی المقام المحمود الذی وعدته، واغفر ما أحدث المحدثون بعده فی أمته، مما کان اجتهادهم فیه تحریاً لمرضاتک ومرضاته، وما لم یکن تألیباً علی دینک ونقضاً لشریعته، واحفظ من قبل بالتسلیم والرضا دعوته، واجعلنا ممن تکثر به وارادیه، ولا یذاد عن حوضه إذا ورده، واسقنا منه کأساً رویاً لا نظمأ بعده.

وروی فی بحار الأنوار:۷/۳۳۵ عن تفسیر فرات الکوفی:

عن الإمام جعفر الصادق علیه السلام عن أبیه عن آبائه (علیهم السلام) قال: قال النبی صلی الله علیه وآله: إن الله تبارک وتعالی إذا جمع الناس یوم القیامة وعدنی المقام المحمود، وهو واف لی به. إذا کان یوم القیامة نصب لی منبر له ألف درجة فأصعد حتی أعلو فوقه فیأتینی جبرئیل علیه السلام بلواء الحمد فیضعه فی یدی ویقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فأقول لعلی: إصعد فیکون أسفل منی بدرجة، فأضع لواء الحمد فی یده، ثم یأتی رضوان بمفاتیح الجنة فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فیضعها فی یدی فأضعها فی حجر علی بن أبی طالب، ثم یأتی مالک خازن النار فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی هذه مفاتیح النار أدخل عدوک وعدو أمتک النار، فآخذها وأضعها فی حجر علی بن أبی طالب، فالنار والجنة یومئذ أسمع لی ولعلی من العروس لزوجها، فهی قول الله تعالی: أَلْقِیَا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفَّارٍ عَنِیدٍ. انتهی.

ویؤید هذا الحدیث أنک لا تجد تفسیراً مقنعاً لتثنیة الخطاب فی هذه الآیة، إلا هذا الحدیث!

تفسیر القمی:۲/۲۵:

وأما قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فإنه حدثنی أبی عن الحسن بن محبوب، عن زرعة، عن سماعة، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: سألته عن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة؟ فقال: یلجم الناس یوم القیامة العرق فیقولون: إنطلقوا بنا إلی آدم یشفع لنا عند ربنا فیأتون آدم فیقولون: یا آدم إشفع لنا عند ربک، فیقول: إن لی ذنباً وخطیئة فعلیکم بنوح، فیأتون نوحاً فیردهم إلی من یلیه، ویردهم کل نبی إلی من یلیه، حتی ینتهوا إلی عیسی فیقول: علیکم بمحمد رسول الله، فیعرضون أنفسهم علیه ویسألونه فیقول: إنطلقوا، فینطلق بهم إلی باب الجنة ویستقبل باب الرحمة ویخر ساجداً فیمکث ما شاء الله، فیقول الله: إرفع رأسک واشفع تشفع، واسأل تعط، وذلک هو قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. انتهی. ورواه فی تفسیر نور الثقلین: ۳/۲۰۶.

تفسیر العیاشی:۲/۳۱۴:

عن عبید بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله علیه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم فقال له رجل من القوم: هل یحتاج المؤمن إلی شفاعة محمد یومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنین خطایا وذنوباً، وما من أحد إلا ویحتاج إلی شفاعة محمد یومئذ. قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: أنا سید ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم یأخذ حلقة باب الجنة فیفتحها فیخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک إشفع تشفع، أطلب تعط، فیرفع رأسه ثم یخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک، إشفع تشفع واطلب تعط، ثم یرفع رأسه فیشفع، فیشفع ویطلب فیعطی.

روضة الواعظین/۵۰۰:

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: المقام الذی أشفع فیه لامتی.

وفی/۲۷۳: وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: إذا قمت المقام المحمود تشفعت فی أصحاب الکبائر من أمتی فیشفعنی الله فیهم، والله لا تشفعت فیمن آذی ذریتی

تفسیر التبیان:۶/۵۱۲:

وقوله: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، معناه متی فعلت ما ندبناک إلیه من التهجد یبعثک الله مقاماً محموداً، وهی الشفاعة فی قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وقال قوم: المقام المحمود: إعطاؤه لواء الحمد. وعسی من الله واجبة.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الکافی/۴۹۱:

ولرسول الله صلی الله علیه وآله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله علیه وآله فی ذلک الیوم المقام الأشرف والمحل الأعظم، له اللواء المعقود لواء الحمد، والحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلیة، والدرجة المنیعة علی جمیع النبیین وأتباعهم. وکل شئ خص به من التفضیل ورشح له من التأهیل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصیه فی أمته وخلیفته علی رعیته أمیرالمؤمنین وسید المسلمین علی بن أبی طالب بن عبد المطلب علیه السلام شریک فیه، وهو صاحب الاعراف، وقسیم الجنة والنار، بنصه الصریح وقوله الفصیح.

وأعلام الأزمنة وتراجمة الملة بعدهما صلوات الله علیهم أعوانٌ علیه ومساهمون فیه، حسب ما أخبر به وأشار بذکره.

ولشیعتهم من ذلک الحظ الأوفر والقسط الأکبر، لتحققهم بالإسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإیمان دون من سواهم.

ونختم ما اخترناه من مصادرنا بحدیث طریف ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) فی مواعظ الله تعالی لنبیه عیسی علیه السلام وشاهدنا منه الفقرة الأخیرة المتعلقة ببشارته بنبینا صلی الله علیه وآله وشفاعته، لکن نورده کاملاً لکثرة فوائده.

فقد روی الکلینی فی الکافی:۸/۱۳۱:

عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن علی بن أسباط، عنهم (علیهم السلام) فیما وعظ الله عز وجل به عیسی علیه السلام:

یا عیسی، أنا ربک ورب آبائک إسمی واحد، وأنا الاحد المتفرد بخلق کل شی، وکل شئ من صنعی، وکل إلیَّ راجع.

یا عیسی، أنت المسیح بأمری، وأنت تخلق من الطین کهیئة الطیر بإذنی، وأنت تحیی الموتی بکلامی، فکن إلیَّ راغباً ومنی راهباً، ولن تجد منی ملجأً إلا إلیَّ.

یا عیسی، أوصیک وصیة المتحنن علیک بالرحمة حتی حقت لک منی الولایة بتحرِّیک منی المسرة، فبورکت کبیراً وبورکت صغیراً حیث ما کنت، إشهد أنک عبدی ابن أمتی، أنزلنی من نفسک کهمک واجعل ذکری لمعادک، وتقرب إلی بالنوافل، وتوکل علیَّ أکفک، ولا توکل علی غیری فآخذ لک.

یا عیسی، إصبر علی البلاء وارض بالقضاء، وکن کمسرتی فیک، فإن مسرتی أن أطاع فلا أعصی.

یا عیسی، أحی ذکری بلسانک، ولیکن ودی فی قلبک.

یا عیسی، تیقظ فی ساعات الغفلة، واحکم لی لطیف الحکمة.

یا عیسی، کن راغباً راهباً، وأمت قلبک بالخشیة.

یا عیسی، راع اللیل لتحری مسرتی، واظمأ نهارک لیوم حاجتک عندی.

یا عیسی، نافس فی الخیر جهدک، تعرف بالخیر حیثما توجهت.

یا عیسی، أحکم فی عبادی بنصحی، وقم فیهم بعدلی، فقد أنزلت علیک شفاء لما فی الصدور من مرض الشیطان.

یا عیسی، لا تکن جلیساً لکل مفتون.

یا عیسی، حقاً أقول: ما آمنت بی خلیقة إلا خشعت لی، ولا خشعت لی إلا رجوت ثوابی، فاشهد أنها آمنة من عقابی ما لم تبدل أو تغیر سنتی.

یا عیسی ابن البکر البتول، إبک علی نفسک بکاء من ودع الاهل وقلی الدنیا وترکها لاهلها، وصارت رغبته فیما عند إلهه.

یا عیسی، کن مع ذلک لین الکلام وتفشئ السلام، یقظان إذا نامت عیون الابرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال یوم القیامة، حیث لا ینفع أهل ولا ولد ولا مال.

یا عیسی، أکحل عینک بمیل الحزن إذا ضحک البطالون.

یا عیسی، کن خاشعاً صابراً، فطوبی لک إن نالک ما وعد الصابرون.

یا عیسی، رح من الدنیا یوماً فیوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقاً أقول: ما أنت إلا بساعتك ویومك، فرح من الدنیا ببلغة، ولیکفك الخشن الجشب، فقد رأیت إلی ما تصیر، ومکتوب ما أخذت وکیف أتلفت.

یا عیسی، إنك مسؤول فارحم الضعیف کرحمتی إیاك، ولا تقهر الیتیم.

یا عیسی، إبك علی نفسك فی الخلوات، وانقل قدمیك إلی مواقیت الصلوات واسمعنی لذاذة نطقك بذکری، فإن صنیعی إلیك حسن.

یا عیسی، کم من أمة قد أهلکتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها.

یا عیسی، إرفق بالضعیف، وارفع طرفك الکلیل إلی السماء وادعنی، فإنی منك قریب، ولا تدعنی إلا متضرعاً إلیَّ، وهمك هماً واحداً، فإنك متی تدعنی کذلك أجبك.

یا عیسی، إنی لم أرض بالدنیا ثواباً لمن کان قبلك، ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

یا عیسی، إنك تفنی وأنا أبقی، ومنی رزقك، وعندی میقات أجلك، وإلیَّ إیابك، وعلیَّ حسابك، فسلنی ولا تسأل غیری فیحسن منك الدعاء ومنی الإجابة.

یا عیسی، ما أکثر البشر وأقل عدد من صبر، الأشجار کثیرة وطیبها قلیل، فلا یغرنك حسن شجرة حتی تذوق ثمرها.

یا عیسی، لا یغرنك المتمرد علیَّ بالعصیان، یأکل رزقی ویعبد غیری، ثم یدعونی عند الکرب فأجیبه، ثم یرجع إلی ما کان علیه، فعلیَّ یتمرد؟ أم بسخطی یتعرض! فبی حلفت لاخذنه أخذةً لیس له منها منجاً ولا دونی ملجأ، أین یهرب من سمائی وأرضی؟!

یا عیسی، قل لظلمة بنی إسرائیل: لا تدعونی والسحت تحت أحضانکم، والأصنام فی بیوتکم، فإنی آلیت أن أجیب من دعانی، وأن أجعل إجابتی إیاهم لعناً علیهم حتی یتفرقوا.

یا عیسی، کم أطیل النظر، وأحسن الطلب والقوم فی غفلة لا یرجعون، تخرج الکلمة من أفواههم لا تعیها قلوبهم، یتعرضون لمقتی ویتحببون بقربی إلی المؤمنین یا عیسی، لتکن فی السر والعلانیة واحداً، وکذلك فلیکن قلبك وبصرك، واطو قلبك ولسانك عن المحارم، وکف بصرك عما لا خیر فیه، فکم من ناظر نظرة قد زرعت فی قلبه شهوة، ووردت به موارد حیاض الهلکة.

یا عیسی، کن رحیماً مترحماً، وکن کما تشاء أن یکون العباد لك، وأکثر ذکر الموت ومفارقة الأهلین، ولا تَلْهُ فإن اللهو یفسد صاحبه، ولا تغفل فإن الغافل منی بعید، واذکرنی بالصالحات حتی أذکرك.

یا عیسی، تب إلیَّ بعد الذنب، وذکر بی الأوابین، وآمن بی وتقرب بی إلی المؤمنین، ومرهم یدعونی معك، وإیاك ودعوة المظلوم، فإنی آلیت علی نفسی أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول، وأن أجیبه ولو بعد حین.

یا عیسی، إعلم أن صاحب السوء یُعدی، وقرین السوء یردی، واعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنین.

یا عیسی، تب إلی، فإنی لا یتعاظمنی ذنب أن أغفره، وأنا أرحم الراحمین. إعمل لنفسك فی مهلة من أجلك قبل أن لا یعمل لها غیرك، واعبدنی لیوم کألف سنة مما تعدون، فیه أجزی بالحسنة أضعافها، وإن السیئة توبق صاحبها، فامهد لنفسك فی مهلة، ونافس فی العمل الصالح، فکم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

یا عیسی، إزهد فی الفانی المنقطع، وطأ رسوم منازل من کان قبلك، فادعهم وناجهم، هل تحس منهم من أحد، وخذ موعظتك منهم، واعلم أنك ستلحقهم فی اللاحقین.

یا عیسی، قل لمن تمرد علی بالعصیان وعمل بالأدهان: لیتوقع عقوبتی وینتظر إهلاکی إیاه، سیصطلم مع الهالکین.

طوبی لك یا ابن مریم ثم طوبی لك إن أخذت بأدب إلهك الذی یتحنن علیك ترحماً، وبدأ النعم منه تکرماً، وکان لك فی الشدائد. لا تعصه یا عیسی فإنه لا یحلك عصیانه. قد عهدت إلیك ما عهدت إلی من کان قبلك وأنا علی ذلك من الشاهدین.

یا عیسی، ما أکرمت خلیقة بمثل دینی، ولا أنعمت علیها بمثل رحمتی.

يا عيسى، إغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنك إليَّ راجع.

يا عيسى، أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير، وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها، لتكون من الهالكين.

يا عيسى، تزين بالدين وحب المساكين، وامش على الأرض هوناً، وصل على البقاع، فكلها طاهر.

يا عيسى، شمر فكل ما هو آت قريب، واقرأ كتابى وأنت طاهر، وأسمعنى منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى، لا خير فى لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول.

يا ابن مريم، لو رأت عينك ما أعددت لاوليائى الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار، تجاور فيها الطيبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون، وهم مما يأتى يوم القيامة من أهوالهما آمنون، دارٌ لا يتغير فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها.

يا ابن مريم، نافس فيها مع المتنافسين، فإنها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم فى جنات ونعيم، لا تبغى لها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعل بالمتقين.

يا عيسى، أهرب إلى مع من يهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبداً، قطع كقطع الليل المظلم، من ينج منها يفز، ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هى دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختار فخور.

يا عيسى، بئست الدار لمن ركن إليها، وبئس القرار دار الظالمين، إنى أحذرك نفسك فكن بى خبيراً.

يا عيسى، كن حيث ما كنت مراقباً لى، واشهد على أنى خلقتك وأنت عبدى.

يا عيسى لا يصلح لسانان فى فم واحد، ولا قلبان فى صدر واحد، وكذلك الأذهان.

يا عيسى، لا تستيقظن عاصياً، ولا تستنبهن لاهياً، وافطم نفسك عن الشهوات الموبقات، وكل شهوة تباعدك منى فاهجرها، واعلم أنك منى بمكان الرسول الأمين، فكن منى على حذو العم. إن دنياك مؤديتك إليَّ وإنى آخذك بعلمى، فكن ذليل النفس عند ذكرى، خاشع القلب حين تذكرنى، يقظاناً عند نوم الغافلين.

يا عيسى، هذه نصيحتى إياك وموعظتى لك، فخذها منى، وإنى رب العالمين.

يا عيسى، إذا صبر عبدى فى جنبى كان ثواب عمله علىَّ، وكنت عنده حين يدعونى، وكفى بى منتقماً ممن عصانى، أين يهرب منى الظالمون؟

يا عيسى، أطب الكلام، وكن حيثما كنت عالماً متعلماً.

يا عيسى، أفض بالحسنات إليَّ، حتى يكون لك ذكرها عندى، وتمسك بوصيتى فإن فيها شفاء للقلوب.

يا عيسى، لا تأمن إذا مكرت مكرى، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكرى.

يا عيسى، حاسب نفسك بالرجوع إلى، حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون، أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين.

يا عيسى، كنت خلقاً بكلامى، ولدتك مريم بأمرى المرسل إليها روحى جبرئيل، الامين من ملائكتى، حتى قمت على الأرض حياً تمشئ كل ذلك فى سابق علمى.

يا عيسى، زكريا بمنزلة أبيك وكفيل أمك، إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً، ونظيرك يحيى من خلقى، وهبته لامه بعد الكبر من غير قوة بها، أردت بذلك أن يظهر لها سلطانى وتظهر قدرتى. أحبكم إلى أطوعكم لى، وأشدكم خوفاً منى.

يا عيسى، تيقظ ولا تيأس من روحى، وسبحنى مع من يسبحنى، وبطيب الكلام فقدّسنى.

يا عيسى، كيف يكفر العباد بى ونواصيهم فى قبضتى، وتقلبهم فى أرضى، يجهلون نعمتى ويتولون عدوى، وكذلك يهلك الكافرون.

يا عيسى، إن الدنيا سجن منتن الريح، وحسن فيها ما قد ترى مما قد تذابح عليه الجبارون، وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول، وما نعيمها

إلا قليل.

يا عيسى، إبغنى عند وسادك تجدنى، وادعنى وأنت لى محب، فإنى أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دعونى.

يا عيسى، خفنى وخوف بى عبادى، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به، فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون.

يا عيسى، إرهبنى رهبتك من السبع والموت الذى أنت لاقيه، فكل هذا أنا خلقته، فإياى فارهبون.

يا عيسى، إن الملك لى وبيدى، وأنا الملك فإن تطعنى أدخلتك جنتى فى جوار الصالحين.

يا عيسى، إنى إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضى عنك، وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين.

يا عيسى، أذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى، واذكرنى فى ملاك أذكرك فى ملا خير من ملا الآدميين.

يا عيسى، أدعنى دعاء الغريق الحزين، الذى ليس له مغيث.

يا عيسى، لا تحلف بى كاذباً فيهتز عرشئ غضباً. الدنيا قصيرة العمر طويلة الامل وعندى دار خير مما تجمعون.

يا عيسى، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم، أبى تغترون أم على تجترئون؟! تطيبون بالطيب لأهل الدنيا وأجوافكم عندى بمنزلة الجيف المنتنة، كأنكم أقوام ميتون!

يا عيسى، قل لهم: قلموا أظفاركم من كسب الحرام، وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا، وأقبلوا على بقلوبكم، فإنى لست أريد صوركم.

يا عيسى، إفرح بالحسنة فإنها لى رضى، وابك على السيئة فإنها شين، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الايسر، وتقرب إلىَّ بالمودة جهدك، وأعرض عن الجاهلين.

يا عيسى، ذُلَّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها، وكن عليهم شهيداً. وقل لظلمة بنى إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: الحكمة تبكى فرقاً منى، وأنتم بالضحك تهجرون، أتتكم براءتى، أم لديكم أمان من عذابى، أم تعرضون لعقوبتى؟! فبى حلفت لاتركنكم مثلاً للغابرين.

ثم أوصيك يابن مريم البكر البتول، بسيد المرسلين وحبيبى، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحيى المتكرم، فإنه رحمة للعالمين، وسيد ولد آدم يوم يلقانى، أكرم السابقين علىَّ وأقرب المرسلين منى، العربى الامين، الديان بدينى، الصابر فى ذاتى، المجاهد المشركين بيده عن دينى، أن تخبر به بنى إسرائيل، وتأمرهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعوه، وأن ينصروه.

قال عيسى: إلهى من هو حتى أرضيه، فلك الرضا؟ قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة، أقربهم منى منزلة، وأحضرهم شفاعة، طوبى له من نبى، وطوبى لامته إن هم لقونى على سبيله، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون، طيب مطيب، خير الباقين عندى، يكون فى آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزاليها، وأخرجت الأرض زهرتها، حتى يروا البركة، وأبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الازواج، قليل الأولاد، يسكن بكة، موضع أساس إبراهيم.

يا عيسى، دينه الحنيفية، وقبلته يمانية، وهو من حزبى وأنا معه، فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر فى جنات عدن، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس، من رحيق مختوم، فيه آنية مثل نجوم السماء، وأكواب مثل مدر الأرض، عذب فيه من كل شراب، وطعم كل ثمار فى الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً، وذلك من قسمى له وتفضيلى إياه. على فترة بينك وبينه، يوافق سره علانيته، وقوله فعله، لايأمر الناس إلا بما يبدأهم به، دينه الجهاد فى عسر ويسر، تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم. على دين إبراهيم، يسمى عند الطعام، ويفشئ السلام، ويصلى والناس نيام، له كل يوم خمس صلوات

متواليات، ينادى إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار، ويفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، ويصف قدميه فى الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها، ويخشع لى قلبه ورأسه، النور فى صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيثما كان أصله. يتيمٌ ضال برهة من زمانه عما يراد به، تنام عيناه ولاينام قلبه، له الشفاعة، وعلى أمته تقوم الساعة، ويدى فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة، فمر ظلمة بنى إسرائيل ألا يدرسوا كتبه، ولا يحرفوا سنته، وأن يقرؤوه السلام، فإن له فى المقام شأناً من الشأن. انتهى.

وقد يكون حدث فى هذا النص تغيير ما من الرواة، ولكن فيه أفكاراً وأموراً مهمة يحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد فى مصادرنا عن عيسى عليه السلام بالنصوص التى تشابهها من الانجيل والتوراة، لمعرفة التفاوت والتغيير فيها.

تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا

مسند أحمد:۲/۴۴۱:

عن أبى هريرة عن النبى(ص)فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: هو المقام الذى أشفع لامتى فيه.

الدر المنثور:۴/۱۹۷:

أخرج سعيد بن منصور والبخارى وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى(ص)، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة (رض) عن النبى(ص)فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وسئل عنه قال: هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى.

وأخرج ابن جرير والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة (رض) أن رسول الله(ص)قال: المقام المحمود الشفاعة.

وأخرج ابن جرير والطبرانى وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبى وقاص (رض) قال: سئل رسول الله(ص)عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة.

الدر المنثور:۴/۱۹۸:

وأخرج ابن أبى شيبة عن سلمان (رض) قال: يقال له: سل تعطه، يعنى النبى(ص)، واشفع تشفع، وادع تجب، فيرفع رأسه فيقول: أمتى مرتين أو ثلاثاً فقال سلمان (رض): يشفع فى كل من فى قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة خردل من إيمان. قال سلمان (رض): فذلكم المقام المحمود.

الدر المنثور:۵/۹۸:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: بأبى أنت وأمى أين كنت وآدم فى الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: إنى كنت فى صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا فى صلبه، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح، وقذفت فى النار فى صلب أبى ابراهيم، لم يلتق أبواى قط على سفاح، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام هدانى وبين فى التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل شئ من صفتى فى شرق الأرض وغربها، وعلمنى كتابه، ورقى بى فى سمائه، وشق لى من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنى أن يحبونى بالحوض وأعطانى الكوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنى فى خير قرون أمتى، وأمتى الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. انتهى.

ورواه فى كنز العمال:۱۲/۴۲۷ وأضاف فيه: قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص):

من قبلها طبت فی الظلال وفی مستودع حیث یخصف الورقُ

ثم سکنت البلاد لا بشرٌ أنت ولا نطفة ولا علق

مطهر ترکب السفین وقد ألجم أهل الضلالة الغرق

تنقل من صلب إلی رحم إذا مضی عالم بدا طبق

تفسیر الطبری:۱۵/۹۷:

وقوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، عن ابن عباس قال: المقام المحمود مقام الشفاعة..

ومثله فی طبقات المحدثین بأصبهان:۱/۲۰۱ عن جابر وأبی سعید مرفوعاً وفی مختصر تاریخ دمشق لابن منظور:۱ جزء ۲/۱۶۵ عن ابن عباس.

الشفا للقاضی عیاض:۱/۱۸۸:

فصل فی تفضیله(ص)بالشفاعة والمقام المحمود، قال الله تعالی: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا... عن آدم بن علی قال سمعت ابن عمر یقول: إن الناس یصیرون یوم القیامة جثی، کل أمة تتبع نبیها یقولون یا فلان إشفع لنا یا فلان إشفع لنا، حتی تنتهی الشفاعة إلی النبی(ص)، فذلک یوم یبعثه الله المقام المحمود.

تفسیر الرازی:۱۱ جزء ۲۱/۳۱:

قال الواحدی: أجمع المفسرون علی أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعة... إن احتیاج الإنسان إلی دفع الآلام العظیمة عن النفس فوق احتیاجه إلی تحصیل المنافع الزائدة التی لا حاجة به إلی تحصیلها. وإذا ثبت هذا وجب أن یکون المراد من قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو الشفاعة فی إسقاط العقاب. انتهی. وراجع التفسیر الوسیط للنیسابوری:۳/۱۲۲.

وقال فی: ۱۶ جزء ۳۲/۱۲۷: قوله تعالی: إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ، الکوثر هو المقام المحمود الذی هو الشفاعة... شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی.

تفسیرهم الذی فیه تجسیم

صحیح البخاری:۸/۱۸۳:

فأستأذن علی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه، فإذا رأیته وقعت ساجداً، فیدعنی ما شاء الله أن یدعنی فیقول: إرفع یا محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، ثم أشفع فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته أیضاً یقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن علی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه فإذا رأیته وقعت ساجداً، فیدعنی ماشاء الله أن یدعنی ثم یقول: إرفع محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، قال ثم أشفع، فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته یقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن إلی ربی فی داره! فیؤذن لی علیه فإذا رأیته وقعت ساجداً فیدعنی ماشاء الله أن یدعنی، ثم یقول إرفع محمد وقل یسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسی فأثنی علی ربی بثناء وتحمید یعلمنیه، قال ثم أشفع فیحد لی حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته یقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتی ما یبقی فی النار إلا من حبسه القرآن، أی وجب علیه الخلود.قال: ثم تلا الآیة: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، قال وهذا المقام المحمود الذی وعده نبیکم(ص). ونحوه فی صحیح مسلم:۱/۱۲۳ ومسند أحمد: ۳/۲۴۴ وشبیهه فی مسند أحمد:۱/۳۹۸ وسنن الترمذی:۴/۳۷۰ ومستدرک الحاکم:۴/۴۹۶ والدر المنثور:۳/۸۷ عن الطبری.

وفی الدر المنثور:۶/۲۵۷ فی قصة الدجال:

عن ابن أبی شیبة وعبد بن حمید وابن أبی حاتم والطبرانی والحاکم وصححه والبیهقی فی البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذکر عنده الدجال فقال... إلی آخر الروایة. وستأتی بتمامها فی بحث الخلود فی الجنة والنار وفی بعض نصوصها تجسیم صریح وفی بعضها رائحة التجسیم.

وکذلک ما رواه البخاری فی تسعة مواضع من صحیحه:۲ جزء ۴/۱۰۵ وج ۳ جزء ۵/۱۴۶ وص ۲۲۵ وص ۲۲۸ وج ۷/۲۰۳ وج ۸/۱۷۲ وص ۱۸۳ وص ۲۰۰ وص ۲۰۳ من حدیث الشدة التی تکون علی الناس فی المحشر حتی یلجؤون (کذا) إلی آدم وغیره من الأنبیاء فیحولونهم علی نبینا صلی الله علیه وآله فیشفع إلی الله تعالی فیشفعه. وروی ذلک فی کنز العمال:۲/۲۶ وغیره.

سنن الدارمی:۲/۳۲۵:

عن ابن مسعود عن النبی(ص)قال قیل له: ما المقام المحمود؟ قال: ذاک یوم ینزل الله تعالی علی کرسیه یئط کما یئط الرحل الجدید من تضایقه به، وهو کسعة ما بین السماء والأرض، ویجاء بکم حفاة عراة غرلاً، فیکون أول من یکسی إبراهیم، یقول الله تعالی إکسوا خلیلی فیؤتی بریطتین بیضاوین من رباط الجنة، ثم أکسی علی أثره، ثم أقوم عن یمین الله مقاماً یغبطنی الأولون والآخرون. انتهی.

ورواه الحاکم فی:۲/۳۶۴ والبغوی فی مصابیحه:۳/۵۵۲ والهندی فی کنز العمال:۱۴/۴۱۲ والسیوطی فی الدر المنثور:۳/۸۴ وروی نحوه فی الدر المنثور:۱/۳۴ وص ۳۲۸ وص ۳۲۴ قال: وأخرج ابن المنذر وأبوالشیخ عن ابن مسعود قال قال رجل: یا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال...

وأخرج ابن جریر عن الضحاک قال کان الحسن یقول: الکرسی هو العرش..فقال رسول الله(ص)... وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فهی تئط من عظمته وجلاله کما یئط الرحل الجدید! انتهی. ورواه فی کنز العمال: ۱۴/۶۳۶.

وفی فردوس الأخبار:۳/۸۵:

عن ابن عمر: عسی الله أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، یجلسنی معه علی السریر.

وفی:۴/۲۹۸ عن أنس بن مالک: من کرامتی علی ربی عز وجل قعودی علی العرش.

مجمع الزوائد:۷/۵۱:

وعن ابن عباس أنه قال فی قول الله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، یجلسه بینه وبین جبریل ویشفع لأمته، فذلک المقام المحمود. ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۴/۱۹۸.

وروی البیهقی فی دلائل النبوة:۵/۴۸۱:

یأتی رسول الله (ص) یوم القیامة إلی الله وهو جالس علی کرسیه.

وقال الشوکانی فی فتح القدیر:۳/۳۱۶:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه یجلس محمداً معه علی کرسیه حکاه ابن جریر... وقد ورد فی ذلک حدیث.

وفی تاریخ بغداد:۳/۲۲ عن لیث بن مجاهد فی قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا قال: یقعده معه علی العرش..

وفی تاریخ بغداد:۸/۵۲:

عن عبدالله بن خلیفة قال قال رسول الله (ص): الکرسی الذی یجلس علیه الرب عز وجل وما یفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطیطاً کأطیط الرحل الجدید!

قال أبوبکر المروذی قال لی أبو علی الحسین بن شبیب قال لی أبوبکر بن سلم العابد حین قدمنا إلی بغداد: أخرج ذلک الحدیث الذی کتبناه عن أبی حمزة، فکتبه أبوبکر بن سلم بخطه وسمعناه جمیعاً، وقال أبوبکر بن سلم: إن الموضع الذی یفضل لمحمد(ص)لیجلسه علیه! قال أبوبکر الصیدلانی: من رد هذا فإنما أراد الطعن علی أبی بکر المروزی، وعلی أبی بکر بن سلم العابد!!

القعود علی العرش فکرة یهودیة مسیحیة

قال جولد تسيهر فى مذاهب التفسير الإسلامى/۱۲۲:

سجلت فتنة ببغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ۷۹ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذى يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبى معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء فى انجيل مرقص ۱۶ - ۱۹، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود... هو مرتبة الشفاعة التى يرفع إليها النبى. انتهى.

وقد أوردنا فى المجلد الثانى من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها فى الثقافة الإسلامية، وأضاف اليها هؤلاء المقلدة إجلاس نبيهم إلى جنب الله تعالى! بينما روى اليهود إجلاس موسى وداود إلى جنبه! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه!! وقد تقدم ذلك فى الشفاعة عند اليهود والنصارى.

ونلاحظ أن ابن سلام اليهودى الذى أسلم يقول عن نبينا صلى الله عليه وآله إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسيٌّ فى جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه!

قال البيهقى فى دلائل النبوة:۵/۴۸۶: عن عبد الله بن سلام: وينجو النبى (ص) والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهى إلى الله عز وجل فيلقى له كرسى. انتهى.

وسوف تعرف فى بحث الشفيع الأول أن مصادر السنيين تأثرت بالاسرائيليات وصححت رواياتها وجعلت شفاعة أنبياء بنى إسرائيل قبل نبينا صلى الله عليه وآله وجعلته الشفيع الرابع.

قال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۹۸: وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: يأذن الله تعالى فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى (عليهم السلام) ثم يقوم نبيكم(ص)رابعاً ليشفع... ورواه الحاكم فى المستدرك: ۴/۴۹۶ بسند صحيح على شرط الشيخين!!

أما الفتنة التى ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأثير فى تاريخه:۵/۱۲۱ فقال: (فى سنة ۳۱۷ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروزى الحنبلى وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أصحاب المروزى قالوا فى تفسير قوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو أن الله سبحانه يقعد النبى (ص) معه على العرش! وقالت طائفة إنما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة. انتهى.

وذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام: ۲۳/۳۸۴ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود، حيث قالت الحنابلة إنها تعنى أن الله يقعده على عرشه كما قال مجاهد. وقال غيرهم: بل هى الشفاعة العظمى.

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش

قال السقاف فى صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ۱/۵۷۰:

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: والشفاعة التى ادخرها لهم حق كما روى فى الأخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنّطهم.

الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً فى القرآن الكريم وخاصة للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم)ومن تلك الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ۳ وقال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹ وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت فى الصحيحين وغيرهما [۱].

وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا.طه: ۱۰۹. وقال تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ.

يونس: ۳.

وفى شفاعة الملائكة قوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ.. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ۷۸.

وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۱۷۰:

وهذا الخلال يقول فى سنته/۲۳۲ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا فى عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذى [۲] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال يقعده على العرش [۳] فهو عندنا جهمى يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الآلبانى ينكر هذا، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتى، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول فى هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ۱۹: إسناده ضعيف! فهل هؤلاء جهمية! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء فى أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبى (صلى الله عليه وآله) والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/۲۳۷: (وقال أبو على إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذى عندنا مبتدع جهمى، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله(ص)، ومن رد فضيلة الرسول(ص)فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام!!) وقال/۲۳۴ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذى أنه جهمى خبيث)! انتهى.

[۱] أنظر البخارى ۳ – ۳۳۸ و ۸ – ۳۹۹ و ۱۳ – ۴۲۲ ومسلم ۱ – ۱۷۹. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت فى الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال فى كتابه السنة ۱ – ۲۰۹ بنصرة التفسير المخطئ المستبشع، وقد نطق بما هو مستنشع عند جميع العقلاء!.

[۲] مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذى. ; ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية الزهرانى حاول أن ينفى أن كون الترمذى المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/۲۲۴ فى الهامش تعليق رقم ۴ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك/۲۳۲ فقال فى الهامش التعليق رقم ۸ (كنت أظنه جهم، ولكن اتضح من الروايات أنه يقصد رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته) فيا للعجب!!.

[۳] وهذا القعود الذى يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله تعالى على العرش! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! والدليل عليه قول الخلال هناك/۲۴۴: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد قال: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: يجلسه معه على العرش قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره، وكان عندنا فى وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية.

تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الله تعالى: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ۱ – ۵.

والعطاء فى الآية مطلق شامل لانواع ما يعطيه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ومن الطبيعى أن يكون عطاء عظيماً متناسباً مع كرم الله تعالى على حبيبه أشرف الخلق وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله.. ولم تنص الآية على أنه الشفاعة ولكن بعض الأحاديث نصت على ذلك، وبعضها نص على أنها الشفاعة فى أهل بيته وبنى هاشم وعبد المطلب، وبعضها نص على أنه العطاء فى الجنة، وبعضها

أطلق..وبعضها قال إنها الشفاعة فی أهل بیته وأمته..وجعلها بعضهم الشفاعة فی جمیع أمته صلی الله علیه وآله بحیث لا یدخل أحد منها النار أبداً! ولکن ذلک لا یصح لأنه مخالف لما ثبت عنه صلی الله علیه وآله من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإلهی، کما ستعرف.

تفسیر الآیة بالعطاء الالهی الاعم من الشفاعة

تفسیر القمی:۲/۴۲۷:

حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسی بن الحسن بن علی بن أبی حمزة، عن أبیه، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله: وللآخرة خیر لک من الأولی، قال: یعنی الکرة هی الآخرة للنبی صلی الله علیه وآله. قلت قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یعطیک من الجنة فترضی. ورواه فی مختصر بصائر الدرجات/۴۷ وفی بحار الأنوار:۵۳/۵۹ وفی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۴.

تفسیر التبیان:۱۰/۳۶۹:

قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وعد من الله له أن یعطیه من النعیم والثواب وفنون النعم ما یرضی النبی صلی الله علیه وآله به ویؤثره.

تأویل الآیات:۲/۸۱۰:

قوله تعالی: وَلَلْأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. تأویله ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن أبی داود، عن بکار، عن عبد الرحمان، عن إسماعیل بن عبدالله، عن علی بن عبد الله بن العباس قال: عرض علی رسول الله صلی الله علیه وآله ما هو مفتوح علی أمته من بعده کفراً کفراً فسرَّ بذلک فأنزل الله عز وجل: وَلَلْأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: فأعطاه الله عز وجل ألف قصر فی الجنة ترابه المسک، وفی کل قصر ما ینبغی له من الأزواج والخدم. وقوله: کفراً کفراً أی قریة، والقریة تسمی کفراً. انتهی.

ورواه فی الدر المنثور:۶/۳۶۱:

عن ابن أبی حاتم وعبد بن حمید وابن جریر والطبرانی والحاکم وصححه والبیهقی وابن مردویه وأبو نعیم کلاهما فی الدلائل عن ابن عباس قال... الخ.

وقال: أخرج الطبرانی فی الأوسط والبیهقی فی الدلائل عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله (ص): عرض علیَّ ما هو مفتوح لأمتی بعدی فسرنی، فأنزل الله: وَلَلْأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولَی.

بحار الأنوار:۱۶/۱۳۶:

وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، أی من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الکرامة، أو فی الدنیا أیضاً من إعلاء الدین وقمع الکافرین.

سیرة ابن هشام:۱/۲۷۸:

قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحی عن رسول الله(ص)فترةً من ذلک حتی شق ذلک علیه فأحزنه، فجاءه جبریل بسورة الضحی یقسم له ربه وهو الذی أکرمه بما أکرمه به: ما ودَّعه وماقلاه، فقال تعالی: وَالضُّحَی وَاللَّیْلِ إِذَا سَجَی، مَا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَمَا قَلَی، یقول: ما صرمک فترکک، وما أبغضک منذ أحبک. وللآخرة خیر لک من الأولی، أی لَمَا عندی من مرجعک إلیَّ خیرٌ لک مما عجلت لک من الکرامة فی الدنیا. ولسوف یعطیک ربک فترضی، من الفلج فی الدنیا والثواب فی الآخرة.

تفسیرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا

تفسیر فرات الکوفی/۵۷۰:

فرات قال: حدثنی محمد بن القاسم بن عبید معنعناً: عن حرب بن شریح البصری قال: قلت لمحمد بن علی (علیهما السلام): أی آیة فی کتاب الله أرجی؟ قال: مایقول فیها قومک قال قلت یقولون: یا عبادی الذین أسرفوا علی أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: لکنا أهل البیت لا نقول ذلک. قال قلت: فأیش تقولون فیها؟ قال نقول: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، الشفاعة والله، الشفاعة والله الشفاعة. ورواه فی بحار الأنوار:۸/۵۷.

وقال فی هامش تفسیر فرات:

وأخرج الحسکانی فی شواهد التنزیل عن الحسین بن محمد الثقفی عن الحسین بن محمد بن حبیش المقری، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلی، عن محمد بن أحمد المرادی، عن حرب بن شریح البزاز، عن محمد بن علی الباقر، عن ابن الحنفیة، عن علی بن أبی طالب قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أشفع لامتی حتی ینادی ربی: رضیت یا محمد؟ فأقول: رب رضیت. ثم قال الباقر: إنکم معشر أهل العراق تقولون إن أرجی آیة فی القرآن: یا عبادی الذین أسرفوا.. قلت: إنا لنقول ذلک. قال: ولکنا أهل البیت نقول: إن أرجی آیة فی کتاب الله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وهی الشفاعة.

وفی الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن المنذر وابن مردویه وأبو نعیم فی الحلیة من طریق حرب بن شریح (رض) قال قلت: لابی جعفر محمد بن علی بن الحسین: أرأیت هذه الشفاعة التی یتحدث بها أهل العراق أحق هی؟ قال: إی والله، حدثنی عمی محمد بن الحنفیة، عن علی أن رسول.. (بما یشبه روایة الحسکانی). انتهی.

وقال أیضاً:

وأخرج ابن أبی حاتم عن الحسن (رض) أنه سئل عن قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی؟ قال: هی الشفاعة. انتهی. وروی الأول منهما فی کنز العمال:۱۴/۶۳۶ عن مسند علی، ورواه الواحدی النیسابوری فی تفسیره:۴/۵۱۰ والکاندهلوی فی حیاة الصحابة:۳/۴۶ والشوکانی فی فتح القدیر:۵/۵۶۸.

مناقب آل أبی طالب:۱/۱۹۰، قال حسان:

لئن کلم الله موسی علی شریف من الطور یوم الند

فإن النبی أبا قاسم حبی بالرسالة فوق السم

وقد صار بالقرب من ربه علی قاب قوسین لما دن

وإن فجَّر الماء موسی لهم عیوناً من الصخر ضرب العص

فمن کفِّ أحمد قد فجرت عیونٌ من الماء یوم الظم

وإن کان هارون من بعده حبی بالوزارة یوم المل

فإن الوزارة قد نالها علی بلا شک یوم الفد

وقال کعب بن مالک الأنصاری:

فإن یک موسی کلم الله جهرةً علی جبل الطور المنیف المعظم

فقد کلم الله النبی محمداً علی الموضع الاعلی الرفیع المسوم

داود علیه السلام کان له سلسلة الحکومة لیمیز الحق من الباطل، ولمحمد القرآن: ما فرطنا فی الکتاب من شئ، ولیست السلسلة کالکتاب، والسلسلة قد فنیت والقرآن بقی إلی آخر الدهر. وکان له النغمة، ولمحمد الحلاوة: وإذا سمعوا ماأنزل إلی الرسول... قال حسان:

وإن كان داود قد أوبت جبال لديه وطير الهو

ففى كف أحمد قد سبحت بتقديس ربى صغار الحصى

... وسليمان كان يصفدهم لعصيانهم، ونبينا أتوه طائعين راغبين. وسأل سليمان ملك دنيا: رب هب لى ملكاً... وعرض مفاتيح خزائن الدنيا على محمد فردها، فشتان بين من يسأل وبين من يعطى فلا يقبل، فأعطاه الله الكوثر والشفاعة والمقام المحمود: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وقال لسليمان: أمنن أو امسك بغير حساب، وقال لنبينا: ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. قال حسان بن ثابت:

وإن كانت الجن قد ساسها سليمان والريح تجرى رخ

فشهر غدوٌّ به رابياً وشهر رواحٌ به إن يش

فإن النبى سرى ليلةً من المسجدين إلى المرتقى

وقال كعب بن مالك:

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذى ليس بالعمى

فهذا نبى الله أحمدُ سبحت صغار الحصى فى كفه بالترنم

ورواه فى بحار الأنوار:۱۶/۴۱۵.

مناقب آل ابى طالب:۳/۱۰۳:

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم لعشرة أشياء فآمنه الله منها وبشره بها:

لفراقه وطنه فأنزل الله: إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ.

ولتبديل القرآن بعده كما فعل بسائر الكتب، فنزل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

ولامته من العذاب، فنزل: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ.

ولظهور الدين، فنزل: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وللمؤمنين بعده، فنزل: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخرة.

ولخصمائهم، فنزل: يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا.

وللشفاعة، فنزل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وللفتنة بعده على وصيه، فنزل: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ.يعنى بعلى.

ولثبات الخلافة فى أولاده، فنزل: لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ.

ولابنته حال الهجرة، فنزل: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا... الآيات. انتهى.

وقال الفخر الرازى فى تفسيره:۱۶ جزء ۳۱/۲۱۳:

قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، فالمروى عن على بن أبى طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة فى الأمة... واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه تعالى أمره (ص) فى الدنيا بالاستغفار... عن جعفر الصادق أنه قال: رضا جدى أن لا يدخل النار موحد، وعن الباقر: أهل العراق يقولون: أرجى آية قوله (يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ)... الخ.

تفسيرها بشفاعة النبى لأهل بيته خاصة

تفسير فرات الكوفى/۵۷۰:

قال حدثنى جعفر بن محمد الفزارى قال: حدثنا عباد، عن نصر، عن محمد بن مروان، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن

عباس(رض) فی قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: يدخل الله ذريته الجنة.

تأويل الآيات:۲/۸۱۰:

وروى أيضاً عن محمد بن أحمد بن الحكم، عن محمد بن يونس، عن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه صلى الله عليهما، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من جلَّة الإبل فلما نظر إليها بكى وقال لها: يا فاطمة تعجلى مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله عليه: وَلَلْأخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد النوفلى، عن أحمد بن محمد الكاتب، عن عيسى بن مهران بإسناده إلى زيد بن على عليه السلام فى قول الله عز وجل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: إن رضى رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته وشيعتهم الجنة، وكيف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأعدائهم. فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

مناقب آل أبى طالب:۳/۱۲۰:

تفسير الثعلبى عن جعفر بن محمد عليه السلام وتفسير القشيرى عن جابر الأنصارى أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من جلة الإبل... الخ.

ورواه فى تفسير نور الثقلين:۵/۵۹۴ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبى، وفى بحار الأنوار: ۳۹/۸۵ عن تفسير الثعلبى وعن تفسير القشيرى عن جابر الأنصارى.

ورواه فى الدر المنثور:۶/۳۶۱ قال: وأخرج العسكرى فى المواعظ وابن مردويه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله (ص)على فاطمة وهى تطحن بالرحى... الخ.

مناقب أمير المؤمنين:۱/۱۵۳:

محمد بن سليمان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: وحدثنى محمد بن الصباح الدولابى قال: حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدى فى قوله تعالى: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، قال: المودة فى آل الرسول. وفى قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: يدخل أهل بيته الجنة.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبى العوام، حدثنا محمد بن الصباح الدولابى، حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدى فى قوله عز وجل: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا، قال: المودة فى آل الرسول صلى الله عليه وآله. وفى قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، فقال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة. انتهى.

وقال فى هامشه: أقول: وقريباً منه رواه الحافظ الحسكانى فى تفسير الآية ۲۳ من سورة الشورى والآية ۵ من سورة الضحى فى كتاب شواهد التنزيل: ۲/۱۴۷ و ۳۴۴.

مناقب آل أبى طالب:۲/۱۵:

تفسير وكيع، قال ابن عباس فى قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، يعنى ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة فى جميع أهل بيتك فتدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار: ۸/۴۳.

بحار الأنوار:۲۴/۴۸:

وروى عن ابن المغازلى أيضاً بإسناده عن السدى مثله، وزاد فى آخره: وقال فى قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن جرير من طريق السدى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن مسعود (رض) قال قال رسول الله (ص): إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى..

تفسيرها بشفاعة النبى لجميع أمته

شعب الإيمان للبيهقى:۲/۱۶۴:

عن ابن عباس من قوله عز وجل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.، قال: رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم.

وأخرج الخطيب فى تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: لا يرضى محمد واحد من أمته فى النار.

وأخرج مسلم عن ابن عمرو (رض) أن النبى(ص) تلا قول الله فى إبراهيم: فمن تبعنى فإنه منى، وقول عيسى: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ.. الآية، فرفع يديه وقال: اللهم أمتى أمتى وبكى، فقال الله: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى أمتك، ولا نسوؤك.

تفسير نور الثقلين:۵/۵۹۵:

فى مجمع البيان عن الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبصرها فقال: يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله على: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وقال الصادق عليه السلام: رضا جدى أن لا يبقى فى النار موحد.

وروى حريث بن شريح، عن محمد بن على بن الحنفية أنه قال: يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية فى كتاب الله عز وجل: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.. الآية، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية فى كتاب الله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وهى والله الشفاعة ليعطاها فى أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رب رضيت.

مجمع البحرين:۱/۱۱۵:

وفى حديث النبى صلى الله عليه وآله: كساه الله من حلل الأمان. قال بعض الشارحين: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالى قال له: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.، وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته إلى النار، كما ورد فى الحديث.

مجمع البحرين:۲/۱۸۶:

قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال المفسرون: اللام فى (ولسوف) لام الإبتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف، والتقدير: ولانت سوف يعطيك، وليست بلام قسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد. وفى الرواية: إن أرجى آية فى كتاب الله هذه الآية، لأنه لا يرضى بدخول أحد من أمته النار.

بحار الأنوار:۷۹/۹۱:

(المكسو حلل الأمان) قال الشيخ البهائى رحمه الله: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالى قال له: ولسوف يعطيك ربك فترضى،

وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته فى النار، كما ورد فى الحديث، وحلل الأمان استعارة.

ملاحظتان

الأولى: قد يشكل على بعض هذه الأحاديث بأن سورة الضحى مكية فكيف نزلت فى المدينة بعد ما قاله النبى للزهراء صلى الله عليه وعليها؟ أو بعد أن سب بعض القرشيين بنى هاشم وقال (إنما مثل محمد فيهم كمثل شجرة فى كبا) كما ذكرت بعض الروايات؟.

والجواب: أنه لا مانع من القول بنزول بعض الآيات مرتين أو مرات، كما قرر ذلك علماء التفسير فى أسباب النزول، فيكون النزول الثانى مؤكداً، أو مبيناً لمصاديق الآية، أو تأويلاً لها.. ومن الواضح أن هذه الآية من النوع الذى يصح نزوله فى أكثر من مناسبة لتطمين النبى صلى الله عليه وآله وتذكيره بنعم الله تعالى الآتية، ليتحمل أحقاد المشركين ومؤامراتهم، ومتاعب الأمة وأذاياها، ومصاعب الدنيا ومراراتها.

ويؤيد نزولها مرة ثانية ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۶/۳۶۱: وأخرج ابن مردويه عن عكرمة (رض) قال: لما نزلت وللاخرة خير لك من الأولى، قال العباس بن عبد المطلب: لا يدع الله نبيه فيكم إلا قليلاً لما هو خير له. انتهى.

ويؤيده أيضاً ما رواه المجلسى فى بحار الأنوار:۲۲/۵۳۳: عن أبى جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبى الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه على عليه السلام فقال: حاجتك؟ قال: أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال على عليه السلام: لست تصل إليه فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنه لابد من الدخول عليه، فدخل على فاستأذن النبى (عليهما السلام) فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال: يا نبى الله إنى رسول الله إليك، قال: وأى رسل الله أنت قال: أنا ملك الموت، أرسلنى إليك يخيَّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبى صلى الله عليه وآله: فأمهلنى حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربى خير لى، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربى وأهبط... الخ. انتهى.

على أنا نلاحظ فى بعض رواياتها أن النبى صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله على: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.) وهو يدل على أن النبى ذكَّر فاطمة بنزول الآية، لا أنها نزلت فى ذلك الوقت.

الثانية: نلاحظ فى تفسير هذه الآية ملامح الاتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين، مؤمنهم ومنافقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحرفى الدين والمفسدين فى أمور البلاد والعباد! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً: من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يكن فى رقبته ظلم للعباد.. ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه.. ولكنها وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم، ومهما انحرفوا عن فى سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله! بل مهما حرَّفوا الإسلام وأعملوا معاولهم فى هدم أصوله وتغيير فروعه..! فما داموا مسلمين بالاسم منتمين إلى أمة النبى فإن النبى صلى الله عليه وآله لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر!!

وهذه نفس مقولة اليهود (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ولا يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأحاديث التى اتفق الجميع على صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله.. مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض، ويؤمر بهم إلى النار.. كما سيأتى فى محاولات توسيع الشفاعة، إن شاء الله تعالى، وستعرف أن عدداً من الآيات والأحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين، حتى لو كانوا من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته، وحتى لو كان عندهم بعض الأعمال الحسنة، لأن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الالهى.

ولذلك فإن مقولة (أن النبى لا يرضى مادام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولةٌ باطلة لا تصح نسبتها إلى النبى وآله صلى

الله علیه وعلیهم، لأن الآیات والأحادیث القطعیة تعارضها، ویعارضها حکم العقل أیضاً، لأنها تساوی بین المحسنین والفجار، بل تبطل القانون الالهی فی العقاب!

وبسبب ذلک نستظهر أن أصل الحدیث شفاعته صلی الله علیه وآله لأهل بیته فجعلوه لأمته، کما حرفوا غیره من الأحادیث والمناقب الخاصة ببنی هاشم أو بالعترة وجعلوه لکل قریش أو لکل الأمة، ومن ذلک حدیث (الأئمة من بعدی اثنا عشر من أهل بیتی) فجعلوه من قریش! ولا یتسع المجال للتفصیل.

نعم یمکن القول بشمول شفاعته صلی الله علیه وآله لکل أمته إذا حددنا مفهوم أمته صلی الله علیه وآله بمن یقبلهم ویرتضیهم بسبب صحة عقیدتهم وصحة خطهم العام، فتشمل شفاعته خیار الموحدین الذین خلطوا عملاً صالحاً وآخر سیئاً، فهؤلاء قد یصح القول فیهم ان النبی صلی الله علیه وآله لا یرضی أن یدخلوا النار.

وقد ورد معنی قریب مما ذکرنا فی دعاء فی بحار الأنوار: ۹۴/۱۱۹ یقول: اللهم إنک قلت لنبیک صلی الله علیه وآله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. اللهم إن نبیک ورسولک وحبیبک وخیرتک من خلقک لا یرضی بأن تعذب أحداً من أمته دانک بموالاته وموالاة الأئمة من أهل بیته وإن کان مذنباً خاطئاً فی نار جهنم، فأجرنی یا رب من جهنم وعذابها، وهبنی لمحمد وآل محمد، یا أرحم الراحمین. انتهی.

حدود الشفاعة

من الطبیعی للباحث فی مسائل الآخرة والحساب والشفاعة والجنة والنار، أن یتذکر دائماً أن مصدر معلوماته عن ذلک العالم وکل عوالم الغیب إنما هو النصوص الشریفة من القرآن والسنة، وأن بحثه فی مسائله یعنی الاهتداء بالعقل والفکر فی إطار هذه النصوص لا خارجها.. ولذلک یحتاج فی کثیر من التفاصیل وأحیاناً فی أمر أساسی، إلی التوقف عند القدر المتیقن من النصوص، حتی لا یقول فی دین الله تعالی بغیر علم.

ومن الملاحظ فی آیات الجنة والنار والشفاعة أن أحادیثها التی تصنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة، لا تستوعب کل أصناف الناس، بل تبقی أصناف کثیرة خارجة عن القدر المتیقن من الطرفین.. وکذلک الأمر فی الشفاعة حیث نجد فی القرآن الکریم شروطاً للشفعاء وللمشفوع لهم، ونجد فی السنة تفصیلات لها وذکراً لأصناف من الناس تشملهم الشفاعة، أو لا تشملهم.. وتبقی أصناف أخری من الناس لا تذکرها النصوص ولا تشملها.

والحل فی مثل هذه الحالة التوقف وعدم التورط فی تصنیف عباد الله فی الجنة أو النار، أو داخل الشفاعة أو خارجها، بالظنون والاحتمالات، کما یفعل البعض!

المذاهب فی حدود الشفاعة (من ارتضی)

هذا البحث من أهم بحوث الشفاعة من ناحیة نظریة، کما أنه بحث حساس من ناحیة تطبیقیة، لأنه یصنِّف المسلمین إلی مرضیین عند الله ورسوله وغیر مرضیین..ولذلک اختلفت فیه آراء المذاهب والفئات، وکثر فی تاریخ المسلمین وکتبهم البحث فی الذین تشملهم شفاعة النبی صلی الله علیه وآله والذین لا تشملهم..

وأهم الأقوال أو المذاهب فی المسألة أربعة:

القول الأول: قول أهل البیت (علیهم السلام) الذی یشترط للشفاعة: الإسلام، وعدم الشرک، وعدم الظلم، وإطاعة النبی صلی الله علیه وآله فی مودة أهل بیته (علیهم السلام).

القول الثانی: القول بتوسیع الشفاعة، وهو قول أکثر المذاهب السنیة التی توسعها إلی جمیع المسلمین، بل إلی غیرهم من الیهود

والنصارى.. وستعرف أن فيه عدة آراء بل مذاهب.

القول الثالث: إنكار شفاعة النبى صلى الله عليه وآله أصلاً، وهو قول قدماء الخوارج، وقد رد عليهم أهل البيت (عليهم السلام) وبقية المذاهب. وقد ولد هذا الرأى ردةَ فعل على مذهب توسعة الشفاعة الذى تبنته الدولة وأفرطت فيه.

القول الرابع: قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذى يرتكب المعاصى الكبائر لأنه يستحق النار، بل تختص بالمسلم الذى يرتكب المحرمات الصغائر المعفو عنها، وفائدتها رفع درجته فى الجنة.

وسوف نستعرض هذه المذاهب فى الفقرات التالية إن شاء الله تعالى.

حدود الشفاعة عند أهل البيت

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

التوحيد للصدوق/۴۰۷:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانى (رض) قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبى عمير قال: سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: لا يخلد الله فى النار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك. ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا.

قال فقلت له: يابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟

قال: حدثنى أبى عن آبائه عن على (عليهم السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

قال ابن أبى عمير فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ؟ ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى!

فقال: يا أبا أحمد مامن مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة.

وقال صلى الله عليه وآله: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصى وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً، والمصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. وأما قول الله عز وجل: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته فى القيامة. انتهى.

ورواه فى وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۶، وفى تفسير نور الثقلين:۴/۵۱۷.

الإعتقادات للصدوق/۴۴:

إعتقادنا فى الشفاعة: أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة.

قال النبى صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى.

وقال صلى الله عليه وآله: لا شفيع أنجح من التوبة.

والشفاعة للأنبياء والاوصياء (عليهم السلام)، وفى المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين من يشفع ثلاثين ألفاً.

والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد.

من لا يحضره الفقيه:۳/۵۷۴:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى.

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. ورواهما فى وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۴.

روضة الواعظين/۵۰۱:

قيل للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله تعالى: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ما خلا الشرك والظلم.

الاختصاص للمفيد/۳۳: باب فيه مسائل اليهودى التى ألقاها على النبى صلى الله عليه وآله

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن مهران قال: حدثنى الحسين بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أنت الذى تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رسول الله إلى الناس كافة.

فقال: إنى أسألك عن عشر كلمات أعطاها موسى فى البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلا نبىٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب.

فقال النبى صلى الله عليه وآله: سل عما بدا لك.

فقال: يا محمد أخبرنى عن الكلمات التى اختارها الله لابراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله: نعم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فقال: يا محمد لأى شئ بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً؟

قال: لأن الكلمات أربعة.

قال: فلاى شئ سميت الكعبة كعبة؟

قال: لأنها وسط الدنيا.

قال: فأخبرنى عن تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله: علم الله أن ابن آدم والجن يكذبون على الله تعالى فقال: سبحان الله، يعنى برى مما يقولون.

وأما قوله: الحمد لله، علم الله أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه عز وجل قبل أن يحمده الخلائق، وهى أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمة.

وأما قوله: لا إله إلا الله، وهى وحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا به، ولا يدخل الجنة أحد إلا به، وهى كلمة التقوى سميت التقوى لما تثقل بالميزان يوم القيامة.

وأما قوله: الله أكبر، فهى كلمة ليس أعلاها كلام وأحبها إلى الله، يعنى ليس أكبر منه، لأنه يستفتح الصلوات به لكرامته على الله، وهو اسم من أسماء الله الأكبر.

فقال: صدقت يا محمد ما جزاء قائلها؟

قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبح كل شئ معه مادون العرش، فيعطى قائلها عشر أمثالها. وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، والكلام ينقطع فى الدنيا ما خلا الحمد، وذلك قولهم:

تحیتهم فیها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمین.

وأما ثواب: لا إله إلا الله فالجنة، وذلک قوله: هل جزاء الاحسان إلا الاحسان. وأما قوله: الله أکبر، فهی أکبر درجات فی الجنة وأعلاها منزلة عند الله. فقال الیهودی: صدقت یا محمد، أدیت واحدة، تأذن لی أن أسألک الثانیة؟ فقال: النبی صلی الله علیه وآله: سلنی ما شئت ـ وجبرئیل عن یمین النبی صلی الله علیه وآله ومیکائیل عن یساره یلقنانه ـ فقال الیهودی: لأی شئ سمیت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشیراً ونذیراً وداعیا؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: أما محمد فإنی محمود فی السماء، وأما أحمد فإنی محمود فی الأرض، وأما أبو القاسم فإن الله تبارک وتعالی یقسم یوم القیامة قسمة النار بمن کفر بی أو یکذبنی من الأولین والآخرین، وأما الداعی فإنی أدعو الناس إلی دین ربی إلی الإسلام، وأما النذیر فإنی أنذر بالنار من عصانی، وأما البشیر فإنی أبشر بالجنة من أطاعنی.

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن الثالثة لأی شئ وقت الله هذه الصلوات الخمس فی خمس مواقیت علی أمتک، فی ساعات اللیل والنهار....

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن العاشرة: تسعة خصال أعطاک الله من بین النبیین، وأعطی أمتک من بین الأمم؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: فاتحة الکتاب، والأذان، والإقامة، والجماعة فی مساجد المسلمین، ویوم الجمعة، والأجهار فی ثلاث صلوات، والرخصة لأمتی عند الأمراض والسفر، والصلاة علی الجنائز، والشفاعة فی أصحاب الکبائر من أمتی... وأما شفاعتی فی أصحاب الکبائر من أمتی ما خلا الشرک والمظالم. قال: صدقت یا محمد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنک خاتم النبیین، وإمام المتقین، ورسول رب العالمین.

ثم أخرج ورقاً أبیض من کمه مکتوب علیه جمیع ما قال النبی صلی الله علیه وآله حقاً، فقال... یا محمد فقد کنت أمحی إسمک فی التوراة أربعین سنة، فکلما محوت وجدت إسمک مکتوباً فیها! وقد قرأت فی التوراة هذه المسائل لا یخرجها غیرک، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل یکون جبرئیل عن یمینک ومیکائیل عن یسارک. فقال النبی صلی الله علیه وآله: جبرئیل عن یمینی ومیکائیل عن یساری!

الخصال للصدوق/۳۵۵:

حدثنا محمد بن علی ماجیلویه، عن عمه محمد بن أبی القاسم، عن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن أبی الحسن علی بن الحسین البرقی، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علی بن أبی طالب علیهم السلام فی حدیث طویل قال: جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فسأله أعلمهم عن أشیاء فکان فیما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاک الله من بین النبیین وأعطی أمتک من بین الأمم... الخ. وهو شبیه بما تقدم عن الاختصاص، ولعل السبع تصحیف للتسع ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۱/۷۷ وبعضه فی مستدرک الوسائل:۱۱/۳۶۴.

بشارة المصطفی/۲۰:

قال الصادق جعفر بن محمد علیه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلی الله علیه وآله فی علی بن أبی طالب یوم مشربة أم إبراهیم، کما أغفلوا قوله فیه یوم غدیر خم! إن رسول الله صلی الله علیه وآله کان فی مشربة أم إبراهیم وعنده أصحابه إذ جاءه علی علیه السلام فلم یفرجوا له، فلما رآهم لم یفرجوا له قال لهم: یا معاشر الناس هذا علی من أهل بیتی، وتستَخِفُّونَ بهم وأنا حیٌّ بین ظهرانیکم! أما والله لئن غبت عنکم فإن الله لا یغیب عنکم، إن الرَّوْحَ والراحة والبشر والبشارة لمن ائتم بعلی وتولاه، وسلم له وللأوصیاء من ولده. إن حقاً علیَّ أن أدخلهم فی شفاعتی لأنهم أتباعی فمن تبعنی فإنه منی، سنة جرت فیَّ من إبراهیم لانی من إبراهیم وإبراهیم منی، وفضلی فضله وفضله فضلی، وأنا أفضل منه، تصدیق قول ربی: ذریة بعضها من بعض والله سمیع علیم.

التبیان فی تفسیر القرآن:۱۰/۱۸۷:

فقال الله تعالى لهم: فما تنفعهم شفاعة الشافعين، الذين يشفعون لهم، لأن عذاب الكفر لا يسقطه الله بالشفاعة بالإجماع.

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت فی مصادر الفريقين أحاديث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغيرهم، أو حذرتهم من الحرمان منها عقاباً على أعمالهم، ونذكر منها نماذج من مصادرنا، ومن مصادر السنيين فی محلها:

من قضى لأخيه المؤمن حاجة

وسائل الشيعة:۱۱/۵۸۸:

فی ثواب الأعمال، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن على بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن شرحبيل بن سعد الأنصارى، عن أشيد بن حضيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من هم وكربة وورطة، كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۵:

عوالى اللآلى: عن النبى صلى الله عليه وآله قال: من قضى حاجة لأخيه كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۷:

وعن إبراهيم التيمى قال: كنت فی الطواف إذ أخذ أبو عبد الله عليه السلام بعضدى فسلم علىَّ ثم قال: ألا أخبرک بفضل الطواف حول هذا البيت؟ قلت: بلى قال: أيما مسلم طاف حول هذاالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعة، ثم قال: ألا أخبرک بأفضل من ذلک؟ قلت: بلى قال: قضاء حاجة امرئ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع، حتى بلغ عشرة.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۹:

وعن أبى عبد الله عليه السلام: من مشى فی حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات.

من سعى فی حوائج ذرية النبى

الكافی:۴/۶۰:

وعنه، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبى عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتى، ورجل بذل ماله لذريتى عند المضيق، ورجل أحب ذريتى باللسان وبالقلب، ورجل يسعى فی حوائج ذريتى إذا طردوا أو شردوا. ورواه فی من لا يحضره الفقيه:۲/۶۵ وفی تهذيب الأحكام: ۴/۱۱۱ وفی تأويل الآيات:۲/۱۰۹ وفی وسائل الشيعة:۱۱/۵۵۶ وفی مستدرک الوسائل:۱۲/۳۸۲.

من زار قبر النبى

الكافی:۴/۵۴۸:

على بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمى، عن أبى حجر الاسلمى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتانى زائراً وجبت له

شفاعتی، ومن وجبت له شفاعتی وجبت له الجنة، ومن مات فی أحد الحرمین مکة والمدینة لم یعرض ولم یحاسب، ومن مات مهاجراً إلی الله عز وجل، حشر یوم القیامة مع أصحاب بدر.

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالی

الکافی:۲/۱۷۸:

محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن إسماعیل بن بزیع، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفی، عن أبی جعفر علیه السلام قال: إن المؤمن لیخرج إلی أخیه یزوره فیوکل الله عز وجل به ملکاً فیضع جناحاً فی الأرض وجناحاً فی السماء یظلّه، فإذا دخل إلی منزله نادی الجبار تبارک وتعالی: أیهاالعبد المعظم لحقی المتبع لآثار نبیی، حقّ علی إعظامک، سلنی أعطک، أدعنی أجبک، أسکت أبتدئک، فإذا انصرف شیعه الملک یظله بجناحه حتی یدخل إلی منزله، ثم یناديه تبارک و تعالی: أیها العبد المعظم لحقی حق علی إکرامک، قد أوجبت لک جنتی، وشفعتک فی عبادی.

الکافی:۲/۱۷۶:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: حدثنی جبرئیل علیه السلام أن الله عزوجل أهبط إلی الأرض ملکاً فأقبل ذلک الملک یمشئ حتی وقع إلی باب علیه رجل یستأذن علی رب الدار، فقال له الملک ما حاجتک إلی رب هذه الدار؟ قال: أخ لی مسلم زرته فی الله تبارک وتعالی، قال له الملک: ما جاء بک إلاـ ذاک؟ فقال: ما جاء بی إلا ذاک، فقال: إنی رسول الله إلیک وهو یقرؤک السلام ویقول: وجبت لک الجنة. وقال الملک: إن الله عز وجل یقول: أیما مسلم زار مسلماً، فلیس إیاه زار، إیای زار وثوابه علیَّ الجنة.

من یدعو للمؤمنین

الکافی:۲/۵۰۷:

علی بن محمد، عن محمد بن سلیمان، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن جعفر بن محمد التمیمی، عن حسین بن علوان، عن أبی عبد الله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنین والمؤمنات إلا رد الله عز وجل علیه مثل الذی دعا لهم به من کل مؤمن ومؤمنة مضی من أول الدهر أو هو آت إلی یوم القیامة. إن العبد لیؤمر به إلی النار یوم القیامة فیسحب فیقول المؤمنون والمؤمنات: یا رب هذا الذی کان یدعو لنا فشفعنا فیه، فیشفعهم الله عز وجل فیه، فینجو من النار برحمة الله عزوجل. ورواه فی وسائل الشیعة:۴/۵۴۱ وفی مستدرک الوسائل:۵/۲۴۲ عن أمالی الشیخ الطوسی.

شفاعة الملائکة لأهل مجلس الدعاء

الکافی:۲/۱۸۷:

الحسین بن محمد ومحمد بن یحیی جمیعاً، عن علی بن محمد بن سعد، عن محمد بن مسلم، عن أحمد بن زکریا، عن محمد بن خالد بن میمون، عن عبد الله بن سنان، عن غیاث بن إبراهیم، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنین فصاعداً إلا حضر من الملائکة مثلهم فإن دعوا بخیر أمَّنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله لیصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلی الله وسألوه قضاها. وما اجتمع ثلاثة من الجاحدین إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشیاطین. ورواه فی وسائل الشیعة:۱۱/۵۶۸.

من شیع جنازة مسلم

الکافی:۳/۱۷۳:

أبو علی الأشعری، عن محمد بن عبدالجبار، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن میسر قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: من تبع جنازة مسلم أعطی یوم القیامة أربع شفاعات ولم یقل شیئاً إلا- وقال الملک: ولک مثل ذلک. ورواه فی من لا- یحضره الفقیه:۱/۱۶۱ وفی تهذیب الأحکام:۱/۴۵۵.

من حفظ علی أمتی أربعین حدیثا

وسائل الشیعة:۱۸/۶۷:

وعن طاهر بن محمد، عن حیاة الفقیه، عن محمد بن عثمان الهروی، عن جعفر بن محمد بن سوار، عن علی بن حجر السعدی، عن سعید بن نجیح، عن ابن جریح، عن عطاء عن ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وآله قال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من السنة کنت له شفیعاً یوم القیامة.

وسائل الشیعة:۱۸/۷۰:

محمد بن علی الفارسی فی روضة الواعظین قال قال النبی صلی الله علیه وآله: من حفظ من أمتی أربعین حدیثاً من السنة کنت له شفیعاً یوم القیامة. ورواه فی العمدة/۱۷ بلفظ (من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من سنتی أدخلته یوم القیامة فی شفاعتی).

من عاهد أخاه المؤمن علی الشفاعة

مستدرک الوسائل:۶/۲۷۸:

قال فی ضمن أعمال هذا الیوم المبارک (یوم الغدیر): وینبغی عقد الأخوة فی هذا الیوم مع الأخوان بأن یضع یده الیمنی علی یمنی أخیه المؤمن ویقول: واخیتک فی الله وصافیتک فی الله وصافحتک فی الله، وعاهدت الله وملائکته وکتبه ورسله وأنبیاءه والأئمة المعصومین (علیهم السلام) علی أنی إن کنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لی بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معی. فیقول الأخ المؤمن: قبلت، فیقول: أسقطت عنک جمیع حقوق الأخوة ما خلا الشفاعة، والدعاء، والزیارة.

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ألا ومن مشی إلی مسجد یطلب فیه الجماعة کان له بکل خطوة سبعون ألف حسنة، ویرفع له من الدرجات مثل ذلک، فإن مات وهو علی ذلک وکل الله عز وجل به سبعین ألف ملک یعودونه فی قبره ویبشرونه ویؤنسونه فی وحدته ویستغفرون له حتی یبعث.

ألا- ومن أذن محتسباً یرید بذلک وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعین ألف شهید وأربعین ألف صدیق، ویدخل فی شفاعته أربعون ألف مسی من أمتی إلی الجنة.

ألا- وإن المؤذن إذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) صلی علیه سبعون ألف ملک ویستغفرون له وکان یوم القیامة فی ظل العرش حتی یفرغ الله من حساب الخلائق ویکتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملک.

هذا، وتوجد أحادیث کثیرة ضمنت الجنة لبعض أصناف الناس علی أعمالهم الحسنة، وهی تصلح بنحو للإستدلال علی شمول الشفاعة لهم، لأن الوعد من النبی صلی الله علیه وآله قد یکون بسبب شمولهم لشفاعته، ونذکر منهم:

۱ ـ من شفع لاخیه المؤمن فی حاجة

وسائل الشیعة:۱۱/۵۶۲:

عن النبی صلی الله علیه وآله قال: ومن شفع لاخیه شفاعة طلبها، نظر الله إلیه فکان حقاً علی الله أن لا یعذبه أبداً، فإن هو شفع لاخیه شفاعة من غیر أن یطلبها، کان له أجر سبعین شهیداً.

۲ ـ من قام بخدمة لمجتمع المسلمین

الکافی:۲/۱۶۴:

عنه عن علی بن الحکم، عن مثنی بن الولید الحناط، عن فطر بن خلیفة، عن عمر بن علی بن الحسین، عن أبیه صلوات الله علیهما قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله من رد عن قوم من المسلمین عادیة ماء أو نار، وجبت له الجنة.

۳ ـ من ربّی بنتاً أو أکثر

الکافی:۶/۶:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن هشام بن الحکم، عن عمر بن یزید، عن أبی عبدالله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنة فقیل: یا رسول الله واثنتین؟ فقال: واثنتین، فقیل: یا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة.

۴ ـ من احترم نعمة الله تعالی

من لا یحضره الفقیه:۱/۲۷:

ودخل أبو جعفر الباقر علیه السلام الخلاء فوجد لقمة خبز فی القذر فأخذها وغسلها ودفعها إلی مملوک کان معه فقال: تکون معک لاکلها إذا خرجت، فلما خرج علیه السلام قال للمملوک: أین اللقمة؟ قال أکلتها یا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت فی جوف أحد إلا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حر، فإنی أکره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة.

۵ ـ أصناف أخری موعودون بالجنة

من لا یحضره الفقیه:۱/۱۴۰:

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة، ورجل خرج یعود مریضاً فمات فله الجنة، ورجل خرج مجاهداً فی سبیل الله فمات فله الجنة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة، ورجل خرج إلی الجمعة فمات فله الجنة، ورجل خرج فی جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ألا ومن تصدق بصدقة، فله بوزن کل درهم مثل جبل أحد من نعیم الجنة، ومن مشی بصدقه إلی محتاج، کان له کأجر صاحبها من غیر أن ینقص من أجره شی، ومن صلی علی میت صلی علیه سبعون ألف ملک وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن أقام حتی یدفن ویحثی علیه التراب، کان له بکل قدم نقلها قیراط من الأجر، والقیراط مثل جبل أحد.

ألا ـ ومن ذرفت عیناه من خشیة الله عز وجل کان له بکل قطرة قطرت من دموعه قصر فی الجنة مکللاً بالدر والجوهر، فیه ما لا عینٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علی قلب بشر.

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

قرب الاسناد/۶۴:

وعنه، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثنی جعفر بن محمد، عن أبیه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: صنفان لا تنالهما شفاعتی:

سلطان غشوم عسوف، وغال فی الدین مارق منه، غیر تائب ولا نازع.

الخصال/۶۳:

حدثنا محمد بن الحسن (رض) قال: حدثنا محمد بن یحیی العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده یرفعه إلی رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال: رجلان لا تنالهما شفاعتی: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال فی الدین مارق. ورواه فی مناقب أمیرالمؤمنین:۲/۳۳۰ ونحوه فی مستدرک الوسائل:۱۲/۹۹.

تاریخ الیعقوبی:۲/۹۶:

أربع من فعلهن فقد خرج من الإسلام: من رفع لواء ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشی معه وهو یعلم أنه ظالم، ومن اخترم بذمة.

ورجلان لا تنالهما شفاعتی یوم القیامة: أمیر ظلوم، ورجل غال فی الدین مارق منه. والأمیر العادل لا ترد دعوته.

المنان والبخیل والنمام

من لا یحضره الفقیه:۴/۱۷:

ثم قال علیه السلام: یقول الله عزوجل: حرَّمت الجنة علی المنان والبخیل والقتات، وهو النمام. انتهی.

ولا نطیل فی تعداد هذه الأصناف، وهی فی مصادرنا مشابهة لما یأتی فی مصادر إخواننا السنیین، مع تأکیدها علی عدم شمول الشفاعة لمن عصی النبی صلی الله علیه وآله فی مودة أهل بیته وولایتهم وإطاعتهم.

الذین یخرجون من النار بالشفاعة یکونون أدنی درجة

تفردت مصادر أهل البیت (علیهم السلام) ببیان أن الموحدین الذین یخرجون من النار دخلون جنة أخری أدنی درجةً، وهی غیر الجنة التی یسکنها أولیاء الله تعالی.

ففی بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

ین: فضالة، عن عمر بن أبان، عن آدم أخی أیوب، عن حمران قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: إنهم یقولون ألا تعجبون من قوم یزعمون أن الله یخرج قوماً من النار فیجعلهم من أصحاب الجنة مع أولیائه؟ فقال: أما یقرؤون قول الله تبارک وتعالی: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، إنها جنة دون جنة، ونار دون نار، إنهم لا یساکنون أولیاء الله! وقال: بینهما والله منزلة، ولکن لا أستطیع أن أتکلم، إن أمرهم لاضیق من الحلقة، إن القائم لو قام لبدأ بهؤلاء.

رأی السنیین القریب من رأی أهل البیت

وهو الرأی القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصین من المسلمین ولیس کلهم.

ویدل علیه من مصادرهم:

أولاً: أحادیث کثیرة صحیحة السند عندهم، لکن دلالتها ضاعت، لأنها مخلوطة بأحادیث توسیع الشفاعة وشمولها لکل العاصین والمنافقین!

ونکتفی منها بالأحادیث التی نصت علی أن عدداً من صحابة النبی صلی الله علیه وآله سیغیرون ویبدلون بعده، فلایشفع لهم یوم القیامة، فیؤمر بهم إلی النار. فقد روی البخاری فی صحیحه:۷/۲۰۸ عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: بینا أنا قائم فإذا زمرة حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال هلم، فقلت أین؟ قال إلی النار والله! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم

القهقری! ثم إذا زمرة حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال هلم، قلت أین؟ قال إلی النار والله! قلت ماشأنهم؟! قال إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری!! فلا أراه یخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم. انتهی.

وروی شبیهاً به فی:۷/۱۹۵ وص ۲۰۷-۲۱۰ وفی نفس المجلد أیضاً /۸۴ و۸۷ وج ۸/۸۶ و۸۷، وروی نحوه مسلم فی:۱/۱۵۰ وج ۷/۶۶ وابن ماجة:۲/۱۴۴۰ وأحمد فی:۲/۲۵ وص ۴۰۸ وج ۳/۲۸ وج ۵/۲۱ وص ۲۴ وص ۵۰ وج ۶/۱۶، ورواه البیهقی فی سننه:۴/۱۴، ونقل روایاته المتعددة فی کنز العمال فی:۱۳/۱۵۷ وج ۱۴/۴۸ و:۱۵/۶۴۷ وقال رواه (مالک والشافعی حم م ن ـ عن أبی هریرة) انتهی.

فلو کانت الشفاعة تشمل کل الخلق أو کل الموحدین أو کل المسلمین، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفین! فلابد من القول بأن شفاعته صلی الله علیه وآله مشروطة بشروط من أولها الإسلام وعدم الانحراف الکبیر الذی ارتکبه هؤلاء الصحابة المطرودون!

ثانیاً: أحادیث اشترطت شروطاً أخری فوق الشهادتین للشفاعة، کالذی رواه البخاری: ۸/۱۳۹: عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: کل أمتی یدخلون الجنة إلاـ من أبی! قالوا یا رسول الله ومن یأبی؟ قال من أطاعنی دخل الجنة ومن عصانی فقد أبی. انتهی. وفیه تصریح أن المستثنی هم الذین عصوا الرسول صلی الله علیه وآله من أمته وأنهم لا یدخلون الجنة! ورواه الحاکم أیضاً بلفظ قریب منه فی:۱/۵۵ وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

والذی رواه النسائی فی سننه: ۷ من/۸۸ عن أبی أیوب الأنصاری أن رسول الله(ص)قال: من جاء یعبد الله ولا یشرک به شیئاً ویقیم الصلاة ویؤتی الزکاة ویجتنب الکبائر، کان له الجنة. فسألوه عن الکبائر فقال: الإشراک بالله وقتل النفس المسلمة، والفرار یوم الزحف.

والذی رواه أحمد فی:۲/۱۷۶ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلی النبی(ص)فقال: یا رسول الله ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا صدق العبد برَّ، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة.

قال یا رسول الله ما عمل النار؟

قال: الکذب، إذا کذب فجر، وإذا فجر کفر، وإذا کفر دخل.. یعنی النار. انتهی.

فهذه الأحادیث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخری غیر التوحید، فلو کان التوحید وحده کافیاً لما کان لهذه الشروط معنی.

ثالثاً: أحادیث نصت علی أن الشفاعة تشمل أصنافاً معینین من الناس، نذکر منها:

۱ - من قضی لاخیه حاجة

الدر المنثور:۳/۷۱:

وأخرج أبو نعیم عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من قضی لأخیه حاجة کنت واقفاً عند میزانه، فإن رجح، وإلا شفعت له.

الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا کان یوم القیامة جمع الله الأولین والآخرین ثم أمر منادیاً ینادی: ألا لیقم أهل المعروف فی الدنیا فیقومون حتی یقفوا بین یدی الله فیقول الله أنتم أهل المعروف فی الدنیا، فیقولون نعم فیقول: وأنتم أهل المعروف فی الآخرة فقوموا مع الأنبیاء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة، حتی تدخلوا علیهم المعروف فی الآخرة کما أدخلتم علیهم المعروف فی الدنیا.

۲ - من صلی علی النبی

فی مسند أحمد:۴/۱۰۸:

من صلی علی محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندک یوم القیامة، وجبت له شفاعتی. ورواه فی فردوس الأخبار:۴/۲۱ ح ۵۵۵۵

وفی فردوس الأخبار فی:۴/۶۱ ح ۵۶۸۰:

أبو الدرداء: من صلی (علیَّ) حین یصبح عشراً وحین یمسی عشراً، أدرکته شفاعتی یوم القیامة. ورواه فی مجمع الزوائد:۱۰/۱۲۰

و۱۶۳.

۳ – من زار قبر النبی

وفی الدر المنثور:۱/۲۳۷:

وأخرج الحکیم الترمذی والبزار وابن خزیمة وابن عدی والدارقطنی والبیهقی عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من زار قبری وجبت له شفاعتی. (ورواه فی سنن الدار قطنی:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴ والذهبی فی تاریخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنی بعد موتی وجبت شفاعتی).

وأخرج الطبرانی عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی کان حقاً علی أن أکون له شفیعاً یوم القیامة.

وأخرج الطیالسی والبیهقی فی الشعب عن عمر سمعت رسول الله(ص) یقول: من زار قبری کنت له شفیعاً أو شهیداً، ومن مات فی أحد الحرمین بعثه الله فی الآمنین یوم القیامة.

مختصر تاریخ دمشق:۱ جزء ۲/۴۰۶:

وعن علی بن أبی طالب قال: من سأل لرسول الله(ص)الدرجة الوسیلة حلت له شفاعته یوم القیامة ومن زار قبر رسول الله(ص)کان فی جوار رسول الله (ص).

هامش طبقات المحدثین بإصبهان:۲/۴۲۰، ۱۶۷:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی کان حقاً علی الله أن أکون له شفیعاً یوم القیامة.

وشبیهه فی:۱/۵۵.

وراجع أیضاً مجمع الزوائد:۴/۲ وکنز العمال:۱۵/۳۸۳ وص ۶۵۱.

وقد اقتصرنا من أحادیث زیارة قبره صلی الله علیه وآله علی ماورد فیه ذکرالشفاعة وسنورد بقیة أحادیثها فی محلها إن شاء الله تعالی مع جواب شبهة الوهابیین فی تحریمهم زیارة القبور وخیرها وأشرفها قبر سید المرسلین صلی الله علیه وآله!

۴ ـ من دعا للنبی صلی الله علیه وآله بالوسیلة

روی البخاری:۵/۲۲۸:

من قال حین یسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسیلة والفضیلة، وابعثه مقاماً محموداً الذی وعدته، حلَّت له شفاعتی یوم القیامة.

ورواه أیضاً فی:۱ جزء ۱/۱۵۲ ورواه البیهقی فی سننه:۱/۴۰۹ ومجمع الزوائد: ۱/۳۳۳ والنویری فی نهایة الارب:۳ جزء ۵/۳۰۸.

۵ ـ من حفظ من أحادیث النبی صلی الله علیه وآله أربعین حدیثاً

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۹۱ ح ۵۷۷۸:

عن ابن عباس: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من أمر دینها، فهو من العلماء وکنت له شفیعاً یوم القیامة. ونحوه فی کنز العمال:۱۰/۱۵۸.

وفی کتاب المجروحین لابن حبان:۲/۱۳۳:

عن أبی الدرداء قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: یا رسول الله ما حد العلم الذی إذا بلغه الرجل کان فقیهاً؟ فقال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً فی أمر دینها بعثه الله فقیهاً، وکنت له شافعاً وشهیداً.

۶ ـ من حفظ أسماء الله الحسنی

صحیح البخاری:۸/۱۶۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: إن لله تسعة وتسعین إسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة.

ونحوه فی:۷/۱۶۹ ونحوه فی مستدرک الحاکم:۱/۱۶.

۷ ـ من قرأ بعض سور القرآن

روی فی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم شفع فی سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والدیه وإن کانا مشرکین. وفی/۳۴ ح ۵۵۹۸: ابن عباس: من قرأ سورة الأعراف جعل الله بینه وبین إبلیس ستراً وکان آدم شفیعاً له یوم القیامة. انتهی.

فهذه المجموعة من الأحادیث تدل علی أن بعض المسلمین من أصحاب الأعمال الحسنة یستحقون الدخول فی شفاعة النبی صلی الله علیه وآله. ولو کانت الشفاعة تشمل کل المسلمین لما صح جعلها میزة لاصناف معینة من أصحاب الأعمال الحسنة، کما نصت هذه المجموعة.

ولا یضر بالإستدلال بها أن یکون بعضها ضعیفاً أو مکذوباً، لأن الإستدلال بمجموعها، بل حتی لو کانت کلها موضوعة فهی تدل علی أن المرتکز فی أذهان المسلمین أن الشفاعة مخصوصة بأصناف من المسلمین ولیست عامة.

رابعاً: أحادیث نصت علی أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس، أو دلت علی أنهم لا یدخلون الجنة، بسبب سوء أعمالهم، نذکر منها:

۱ ـ السلطان الظلوم الغشوم

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۵۵۸ ح ۳۵۹۸:

أبو أمامة: صنفان من أمتی لن تنالهما شفاعتی ولن أشفع لهما ولن یدخلا شفاعتی: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق من الدین. انتهی. ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۱ ص۳۵۲ عن الطبرانی وفی کنز العمال: ۶/۲۱ وص ۳۰ وفی مجمع الزوائد: ۵/۲۳۵ وص ۲۳۶.

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص): إن أشد أهل النار عذاباً یوم القیامة من قتل نبیاً، أو قتله نبی، أو إمام جائر. قلت: فی الصحیح بعضه، رواه الطبرانی وفیه لیث بن أبی سلیم وهو مدلس وبقیة رجاله ثقات. ورواه البزار إلا أنه قال: وإمام ضلالة، ورجاله ثقات، وکذلک رواه أحمد.

۲ ـ الذی یکذب علی النبی صلی الله علیه وآله

روی البخاری فی:۱/۳۵:

عن سلمة بن الأکوع قال سمعت النبی(ص)یقول: من یقل علیَّ ما لم أقل فلیتبوأ مقعده من النار.

وروی نحوه أیضاً فی:۱ من/۳۶ وج ۲/۸۱ وج ۴/۱۴۵ وص ۱۵۶ و: ۶/۸۴ وص ۱۱۸ ورواه مسلم فی:۱/۷ و۸ وص ۵۷ وج ۷ ورواه غیرهما من مصادر السنة والشیعة.

۳ ـ الذی یبغض ذریة النبی صلی الله علیه وآله أو یظلمهم

لسان المیزان:۳/۲۷۶:

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحبنی فلیحب علیاً، ومن أبغض أحداً من أهل بیتی حرم شفاعتی.. الحدیث.

کنز العمال:۱۲/۱۰۳:

عن الطبرانی والرافعی عن ابن عباس: من سره أن یحیا حیاتی ویموت مماتی ویسکن جنة عدن التی غرسها ربی فلیوال علیاً من بعدی، ولیوال ولیه ولیقتد بأهل بیتی من بعدی، فإنهم عترتی خلقوا من طینتی ورزقوا فهمی وعلمی، فویل للمکذبین بفضلهم من أمتی، القاطعین فیهم صلتی، لا أنالهم الله شفاعتی. انتهی.

والأحادیث فی ذلک کثیرة، سنوردها فی مسائل الإمامة إن شاء الله.

۴ ـ أصحاب البدع المخالفین للسنة

قال الشاطبی فی الاعتصام:۱/۱۲۰:

(البدعة) مانعة من شفاعة محمد، لما روی أنه(ص)قال: (حلت شفاعتی لأمتی إلا صاحب بدعة).

قال السبکی فی طبقات الشافعیة:۶/۲۹۱:

حدیث: إن لله ملکاً ینادی کل یوم: من خالف السنة لم تنله الشفاعة (ورد فی إحیاء الغزالی).

۵ ـ من طلب العلم للدنیا أو طلب الدنیا بعمل الآخرة

فی مجمع الزوائد:۱/۱۸۴:

عن معاذ بن جبل عن رسول الله(ص)قال: من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء فی المجالس، لم یرح رائحة الجنة. ورواه فی کنز العمال:۱۰/۲۰۱-۲۰۳.

وفی کنز العمال:۳/۴۷۴ عن الدیلمی عن ابن عباس: ریح الجنة توجد من مسیرة خمسمائة عام، ولا یجدها من طلب الدنیا بعمل الآخرة.

۶ ـ من یؤذی جیرانه

صحیح مسلم:۱/۴۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: لا یدخل الجنة من لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مستدرک الحاکم:۱/۱۱:

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده، والمهاجر من هجر السوء، والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة عبد لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مسند أحمد:۲/۴۴۰:

عن أبی هریرة قال قال رجل: یا رسول الله إن فلانة یذکر من کثرة صلاتها وصیامها وصدقتها، غیر أنها تؤذی جیرانها بلسانها! قال: هی فی النار. قال یا رسول الله فإن فلانة یذکر من قلة صیامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأثوار من الاقط، ولا تؤذی جیرانها بلسانها، قال: هی فی الجنة.

۷ ـ الذی یسی إدارة من تحت یده

روی البخاری فی:۸/۱۰۷ بروایتین: عن معقل: سمعت النبی(ص)یقول: ما من عبد استرعاه الله رعیة فلم یحطها بنصیحة إلا لم یجد رائحة الجنة. ونحوه فی کنز العمال:۴/۵۶۷ عن ابن سعد وابن عساکر، وفی: ۶/۲۰ وص ۳۵ (عق ش م حم طب وابن عساکر عن معقل بن یسار).

وفی سنن الترمذی:۳/۲۲۵:

عن أبی بکر الصدیق عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة سی الملکة. انتهی. ورواه أحمد فی مسنده:۱/۷ وص ۱۲ وج ۵/۲۲ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۱۱.

وفی کنز العمال:۶/۳۹:

من ولی ذا قرابة محاباةً وهو یجد خیراً منه، لم یجد رائحة الجنة.

۸ ـ المتکبر ولو مثقال حبة خردل

روی مسلم فی صحیحه:۱/۶۵:

عن عبد الله عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر. انتهی. ورواه ابن ماجة فی:۲/۱۳۹۷ وأحمد:۱/۴۱۲ وص ۴۱۶ وص ۴۵۱ و ج۲/۱۶۴ وص ۲۴۸ والحاکم فی:۳/۴۱۶.

وفی مجمع الزوائد:۶/۲۵۵:

وعن نافع مولی رسول الله(ص)أن رسول الله(ص)قال: لا یدخل الجنة مسکین مستکبر، ولا شیخ زان، ولا منان علی الله تعالی بعمله. رواه الطبرانی وتابعه الصباح بن خالد بن أبی أمیة لم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۱۱۶:

وأخرج البیهقی عن جابر قال کنا مع النبی(ص)فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا علیه، فقال النبی(ص)قال: إنی لأری علی وجهه سفعة من النار، فلما جاء وجلس قال: أنشدک بالله أجئت وأنت تری أنک أفضل القوم؟ قال نعم. انتهی.

وقد ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) أن التکبر المانع من دخول الجنة هو التکبر عن قبول الحق ولیس التکبر العادی وإن کان معصیة کبیرة.

ویؤیده ما رواه الحاکم فی المستدرک:۱/۲۶: عن عبد الله بن مسعود (رض)عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: لا یدخل الجنة من کان فی قلبه حبة من کبر، فقال رجل: یا رسول الله إنه لیعجبنی أن یکون ثوبی جدیداً ورأسی دهیناً وشراک نعلی جدیداً، قال وذکر أشیاء حتی ذکر علاقة سوطه، فقال: ذاک جمال، والله جمیل یحب الجمال، ولکن الکبر من بطر الحق وازدری الناس. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه وقد احتجا جمیعاً برواته.

۹ ـ من قتل نفسه

مسند أحمد:۲/۴۳۵:

عن أبی هریرة عن النبی(ص): الذی یطعن نفسه إنما یطعنها فی النار، والذی یتقحم فیها یتقحم فیها فی النار، والذی یخنق نفسه یخنقها فی النار.

۱۰ ـ من نبت لحمه من سحت

روی أحمد فی:۳/۳۲۱:

قول النبی صلی الله علیه وآله لکعب بن عجرة: یا کعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفی الخطیئة، والصلاة قربان أو قال برهان. یا کعب بن عجرة إنه لا یدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولی به.

ورواه فی:۳/۳۹۹ وفی مجمع الزوائد:۱۰/۲۳۰ وص ۲۹۳.

۱۱ ـ من زنی بذات محرم

فی مجمع الزوائد:۶/۲۶۹:

وعن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا یدخل الجنة من أتی ذات محرم. رواه الطبرانی ورجاله رجال الصحیح، غیر یحیی بن حسان الکوفی وهو ثقة.

۱۲ ـ من نسب نفسه إلی غیر أبیه

روی ابن ماجة فی:۲/۸۷۰:

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (ص): من ادعی إلی غیر أبیه لم یرح رائحة الجنة، وإن ریحها لیوجد من مسیرة خمسمائة عام. انتهی. ورواه أحمد فی:۲/۷۱ وفیه (وإن ریحها لیوجد من قدر سبعین عاماً) ورواه فی:۲/۱۷۱ وص ۱۹۴ وفی مجمع الزوائد:۱/۹۸ وص ۱۴۸ وکنز العمال:۶/۱۹۵ وج ۱۶/۳۲.

۱۳ ـ مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسی القلب... الخ.

مسند أحمد:۴/۳۹۹:

من حدیث أبی موسی أن النبی(ص)قال: ثلاثة لا یدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر.

وفی:۲/۶۹: ثلاثة قد حرم الله علیهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدیوث الذی یقر فی أهله الخبث.

ونحوه فی:۲/۱۶۴ وص ۲۰۱ و۲۰۳ وفی سنن البیهقی:۸/۲۸۸.

وفی:۸/۱۶۶: عن إبراهیم عن همام قال: کنت جالساً عند حذیفة فمر رجل فقالوا: هذا یرفع الحدیث إلی السلطان، فقال حذیفة قال رسول الله(ص): لا یدخل الجنة قتات. قال الاعمش: والقتات النمام.أخرجه مسلم فی الصحیح.

مسند أحمد:۲/۱۳۴:

قال عبد الله (رض) قال رسول الله (ص): ثلاثة لا یدخلون الجنة ولا ینظر الله إلیهم یوم القیامة: العاق والدیه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والدیوث. وثلاثة لا ینظر الله الیهم یوم القیامة: العاق بوالدیه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطی. وروی نحوه فی:۲/۶۹ وص ۱۳۴ والحاکم: ۱/۷۲.

وفی مسند أحمد:۱/۱۹۰:

عن سعید بن زید عن النبی(ص)أنه قال: من أربی الربا الإستطالة فی عرض مسلم بغیر حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله علیه الجنة.

وفی مسند أحمد:۳/۱۴:

عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): لا یدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا کاهن، ولا منان. ونحوه مسند أحمد:۳/۲۸.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۴۹ ونحوه فی:۵/۱۲۵:

فإن ریح الجنة یوجد من مسیرة ألف عام، والله لا یجده عاق، ولا قاطع رحم، والباغی فإنه لیس من عقوبة أسرع من عقوبة بغی، ولا قاطع رحم، ولا شیخ زان، ولا جارٌّ إزاره خیلاء.

وفی مجمع الزوائد:۶/۲۵۷ ونحوه فی:۸/۱۴۸:

وعن عبدالله بن عمرو عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنیة. قلت: رواه النسائی غیر قوله ولا ولد زنیة. رواه أحمد والطبرانی وفیه جابان وثقه ابن حبان وبقیةرجاله رجال الصحیح.

سنن الترمذی:۳/۲۳۲:

عن أبی بکر الصدیق، عن النبی (ص): لا یدخل الجنة خب، ولا بخیل، ولا منان. هذا حدیث حسن غریب.ونحوه فی کنز العمال:۳/۵۴۶.

وفی مجمع الزوائد:۱۰/۲۴۳:

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلًا یقول: الشحیح أعذر من الظالم، فقال ابن عمر: کذبت، سمعت رسول الله(ص)یقول: الشحیح لا یدخل الجنة.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۵۵:

عن ابن عمر عن النبی(ص)قال: إن لکل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد، إن الله لا یرحم من لا یرحم ولده. والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة إلا رحیم. قلنا یا رسول الله: کلنا یرحم، قال: لیس رحمته أن یرحم أحدکم صاحبه، إنما الرحمة أن یرحم الناس.

وفی کنز العمال:۱۶/۵۳:

لا یدخل الجنة ولد زنی، ولا مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان (ابن جریر ع ـ عن أبی سعید).

۱۴ ـ الذی یقتل أحداً من أهل الذمة

فی صحیح البخاری:۴/۶۵:

عن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما عن النبی(ص)قال: من قتل معاهداً لم یرح رائحة الجنة، وإن ریحها یوجد من مسیرة أربعین عاماً. ونحوه فی:۸ /۴۷ وابن ماجة: ۲/۸۹۶ والترمذی: ۲/۴۲۹ والحاکم فی: ۲/۱۲۶ والبیهقی فی سننه:۸/۱۳۳ وج ۹/۲۰۵ والنسائی:۸/۲۴ وفیه (وإن ریحها لیوجد من مسیرة سبعین عاماً) ورواه فی مسند أحمد:۲/۱۸۶ وج ۴/۶۱ وص ۲۳۷ وج ۵/۴۶ و۵۰ و۵۱ و۳۶۹ و۳۷۴ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۶/۲۹۳.

ونعم ما علق به الفخر الرازی علی هذا الموضوع حیث قال فی تفسیره ج۲ جزء۳ ص۱۵۱: عن الحسن، عن أبی بکرة، قال علیه السلام: من قتل نفساً معاهداً لم یرح رائحة الجنة. وإذا کان فی قتل الکفار هکذا، فما ظنک بقتل أولاد رسول الله(ص)؟!

۱۵-الذی یغش العرب

فی مسند أحمد:۱/۷۲:

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله (ص): من غش العرب لم یدخل فی شفاعتی ولم تنله مودتی. انتهی. ورواه البغوی فی مصابیح السنة:۴/۱۴۲ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۱۸۰ ح ۶۰۷۵ وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۶۴۰.

۱۶ ـ اللعان الفحاش

صحیح مسلم:۸/۲۴:

حدثنی سوید بن سعید، حدثنی حفص بن میسرة، عن زید بن أسلم أن عبد الملک بن مروان بعث إلی أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن کان ذات لیلة قام عبد الملک من اللیل فدعا خادمه فکأنه أبطأ علیه فلعنه، فلما صبح قالت له أم الدرداء: سمعتک اللیلة لعنت خادمک حین دعوته! فقالت سمعت أبا الدرداء یقول قال رسول الله (ص): لا یکون اللعَّانون شفعاء ولا شهداء یوم القیامة. انتهی. ورواه أبو داود فی:۲/۴۵۸ والحاکم:۱/۴۸ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۱۱ ح ۸۰۰۹ وفی کنز العمال: ۳/۶۱۵ والسیوطی فی الدر المنثور:۱/۱۴۶ وقال: وأخرج مسلم وأبو داود والحکیم الترمذی عن أبی الدرداء..

وقال البخاری فی تاریخه:۶/۲۲:

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضی الله عنها قالت لعبد الملک بن مروان: سمعت أبا الدرداء (رض) یقول سمعت النبی(ص)یقول: لا یکون الحلیم لعَّاناً، ولا یؤذن فی الشفاعة للعَّان.

وفی کنز العمال:۳/۳۵۳:

عن الدیلمی عن عائشة: رحم الله امرأ کف لسانه عن أعراض المسلمین، لا تحل شفاعتی لطعان ولا لعان. انتهی.

ولا بد أن یکون المراد باللعان فی هذه الأحادیث بذی اللسان الفحاش الذی یسب المسلمین ویلعنهم، وإلا فإن لعن الذین لعنهم الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفیه ثوابٌ، لأنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءٌ علیهم باستمرار طردهم من رحمة الله تعالی.

۱۷ ـ ورووا أن أکثر النساء فی النار

صحیح البخاری:۷/۲۰۰:

عن عمران بن الحصین عن النبی(ص)قال: اطلعت فی الجنة فرأیت أکثر أهلها الفقراء، واطلعت فی النار فرأیت أکثر أهلها النساء...

عن أسامة عن النبی(ص)قال: قمت علی باب الجنة فکان عامة من دخلها المساکین وأصحاب الجد محبوسون، غیر أن أصحاب النار قد أمر بهم إلی النار. وقمت علی باب النار فإذا عامة من دخلها النساء!. انتهی.

ورواه أحمد فی مسنده:۲/۲۹۷.

وفی مجمع الزوائد:۴/۲۷۴:

قال کنا مع عمرو بن العاص فی حج أو عمرة فلما کنا بمر الظهران إذ امرأة فی هودجها واضعةً یدها علی هودجها، فلما نزل دخل

الشعب ودخلنا معه، قال كنا مع رسول الله(ص)فى هذا المكان فإذا نحن بغربان كثير وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال: لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر الغراب فى هذه الغربان، قال أبو عمر: الأعصم الأحمر. رواه الطبرانى واللفظ له، وأحمد ورجال أحمد ثقات. انتهى.

۱۸ ـ ورووا فى من أطال إزاره أو ثوبه

سنن النسائى:۸/۲۰۷:

عن أبى هريرة قال رسول الله (ص): ما تحت الكعبين من الإزار ففى النار. وفى رواية: ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار. انتهى.

فهذه الأحاديث تدل على أن بعض المسلمين لا يدخلون الجنة.. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لم يكن لهذه الإستثناءات معنى، بل للزم من إحدى المجموعتين كذب المجموعة الأخرى!

ولا ـ يضر بالإستدلال بمجموع أحاديث الاستثناء من الجنة، أو الحكم باستحقاقها أن بعضها ضعيف أو مكذوب كما ذكرنا، لأن المكذوب أيضاً يدل على أن المرتكز فى أذهان المسلمين اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمين، لا بجميعهم.

شرط الشفاعة فى المظالم الشخصية

روت مصادر الفريقين أحاديث تدل على إمكانية أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصية، بشرط أن يعفو صاحب المظلمة عن ظالمه.

ففى تفسير الإمام العسكرى عليه السلام /۲۰۴:

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: يا معشر شيعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً، وإن لم تكونوا بالله كافرين، فتوقوها بتوقى ظلم إخوانكم المؤمنين، فإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له فى موالاتنا، إلا ـ ثقَّل الله فى تلك النار سلاسله وأغلاله ولم يفكه منها إلا شفاعتنا، ولن نشفع إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له إلى أخيه المؤمن، فإن عفا عنه شفعنا له، وإلا طال فى النار مكثه.انتهى.

ورواه فى مستدرك الوسائل:۱۲/۱۰۱.

وفى الإعتقادات للصدوق/۲۹:

قيل لامير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إما بشارةٌ بنعيم الأبد، وإما بشارةٌ بعذاب الأبد، وإما تخويفٌ وتهويلٌ وأمرٌ مبهمٌ لا يدرى من أى الفرق هو؟ فأما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الابد، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذى لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدرى ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا، ولكن يخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة.

وفى مسند أحمد:۳/۱۳:

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة. فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا. ورواه فى:۳/۶۳ وص ۷۴.

نتيجة

النتيجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفقٌ عليه بين السنة والشيعة، على أصوله وخطوطه العامة أيضاً، وهى أنه يشمل من

مات على الشهادتين، ولم يكن ظالماً، ولم يكن عاصياً للنبى فى أهل بيته صلى الله عليه وآله.

ومنه نعرف أن كل ما خالف هذه الأصول فهو نشاز عن ثقافة الإسلام، جاء إلى أصحابه من خلل الرأى، أو من التلقى والتأثر بثقافة اليهود، والنصارى، والمجوس وغيرهم!

توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه

فى مصادر السنيين اتجاه يقول بتوسيع الشفاعة أكثر من القدر المتفق عليه بين الجميع، وهو اتجاه خطير، لأنه يلغى قانون العقوبة الإلهية جزئياً أو كلياً! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذكرها حسب توسيعها لدائرة الشفاعة:

الرأى الأول: أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين!

الرأى الثانى: أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى، حتى لو كفر برسول الله صلى الله عليه وآله!

الرأى الثالث: أن الشفاعة تشمل كل الخلق!

الرأى الرابع: أن العقاب فى الآخرة ينتهى كلياً، وأن جهنم تفنى أوتبقى، ولكن ينقل أهلها كلهم إلى الجنة!

ونذكر هنا ملاحظات كلية على هذه المذاهب أو الاقوال:

الملاحظة الأولى: أن هذه التوسيعات فى الشفاعة أو فى دخول الجنة زادت على توسيع اليهود لها، لأن اليهود حصروا الشفاعة والجنة بقوميتهم اليهودية، وهذه التوسعات عممتها إلى العقائد المختلفة والقوميات المختلفة، وإن كانت احتفظت بميزة لكل قبائل قريش.

كما زادت على عقيدة الفداء النصرانية، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسيح وشفاعته الدخول فى النصرانية.. بينما أكثر هذه التوسيعات لا تشترط الدخول فى الإسلام!

الثانية: أن لكعب الأحبار وتلاميذه دوراً أساسياً فى توسيع الشفاعة، بل كان كعب مرجعاً فى الشفاعة بحيث أن الخليفة عمر يستفتيه فيها ويؤيد آراءه، ويعمل على نشرها، كما سترى.

الثالثة: أن هذه التوسيعات لا تشمل أحداً ممن اعترض على الخلفاء أو خالفهم فى الرأى، أو امتنع عن بيعتهم، كما لا تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب أسرة النبى وآباءه صلى الله عليه وآله وخاصة أبا طالب والد على عليه السلام! وسترى هذه الغرائب وغيرها فى نصوص الشفاعة فى مصادر إخواننا السنيين!

الرابعة: أن هذه الأفكار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة، جرَّت على الأمة مصائب ثقافية وسياسية، مثل مذهب المرجئة والقدرية وغيرهما.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين

روى البخارى فى صحيحه:۱/۴۱:

قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله(ص)ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل، قال لبيك يا رسول الله وسعديك. قال يا معاذ، قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً! قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذاً يتكلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً! انتهى.

وروى البخارى فى تاريخه:۸/۴۱:

عن عوف بن مالك قال: كنا مع النبى(ص)فى بعض مغازيه فقال: إن ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة والشفاعة، فاخترت الشفاعة. ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار:۲/۳۰۴ ح ۲۷۷۴.

وروى البخارى فى تاريخه:۱/۱۸۴:

عن عوف بن مالك سمع النبى(ص)يقول: الشفاعة لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً.

وروى مسلم فى:۱/۱۲۲:

أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال:... فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون ننظر ربنا! فيقول أنا ربكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك! قال فينطلق بهم ويتبعونه! ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء، ثم كذلك.

ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا- إله إلا- الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشئ فى السيل ويذهب حراقه. ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها!!

وروى أبو داود فى:۱/۶۳۲:

عن عامر بن سعد عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله(ص)من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريباً من عزوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خر ساجداً ذكره أحمد ثلاثاً، قال: إنى سألت ربى وشفعت لأمتى فأعطانى ثلث أمتى، فخررت ساجداً لربى شكراً ثم رفعت رأسى فسألت ربى لامتى فأعطانى ثلث أمتى، فخررت ساجداً لربى شكراً ثم رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى فأعطانى الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربى.

ورواه البيهقى فى سننه:۲/۳۷۰.

وروى أحمد فى مسنده:۵/۱۴۹:

عن أبى ذر قال صلى رسول الله(ص)ليلةً، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال: إنى سألت ربى عز وجل الشفاعة لأمتى فأعطانيها وهى نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه:۷/۴۳۲ ح ۱۰۴ عن أبى جعفر الباقر عليه السلام. وفى الدر المنثور:۳/۲۰۴ عن أحمد.

وروى أحمد فى:۵/۳۲۵:

عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبى(ص)ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيرهم! فإذا هم بخيال النبى(ص)فكبروا حين رأوه وقالوا: يا رسول أشفقنا أن يكون الله تبارك وتعالى اختار لك أصحاباً غيرنا! فقال رسول الله (ص): لا بل أنتم أصحابى فى الدنيا والآخرة، إن الله تعالى أيقظنى فقال يا محمد إنى لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سألنى مسألة أعطيتها إياه فاسأل يا محمد تعط، فقلت: مسألتى الشفاعة لأمتى يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله وما الشفاعة؟ قال أقول: يا رب شفاعتى التى اختبأت عندك، فيقول الرب تبارك وتعالى: نعم، فيخرج ربى تبارك وتعالى بقية أمتى من النار، فينبذهم فى الجنة.

وقال فى مجمع الزوائد:۱۰/۳۶۹:

عن عوف بن مالك الأشجعى قال: سافرنا مع رسول الله(ص)سفراً حتى إذا كان الليل أرقت عيناى فلم يأتنى النوم، فقمت فإذا ليس فى العسكر دابة إلا واضعة خدها إلى الأرض، وأرى وقع كل شئ فى نفسى، فقلت لاتين رسول الله(ص)فلاكلا به الليلة حتى أصبح، فخرجت أتخلل الرحال حتى دفعت إلى رحل رسول الله(ص)فإذا هو ليس فى رحله، فخرجت أتخلل الرحال حتى خرجت من العسكر فإذا أنا بسواد، فتيممت ذلك السواد فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لى: ما الذى أخرجك؟ فقلت: الذى أخرجكما،

فإذا نحن بغيطة منا غير بعيد فمشينا إلى الغيطة فإذا نحن نسمع فيها كدوى النحل وتخفيق الرياح، فقال رسول الله (ص): هاهنا أبو عبيدة بن الجراح؟ قلنا نعم، قال ومعاذ بن جبل؟ قلنا نعم، قال وعوف بن مالك؟ قلنا نعم، فخرج إلينا رسول الله(ص)لا نسأله عن شئ ولا يسألنا عن شئ حتى رجع إلى رحله فقال: ألا أخبركم بما خيرنى ربى آنفاً؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: خيرنى بين أن يدخل ثلثى أمتى الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبين الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ما الذى اخترت؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جميعاً: يا رسول الله إجعلنا من أهل شفاعتك قال: إن شفاعتى لكل مسلم.

وفى رواية عن عوف أيضاً قال: نزلنا مع رسول الله(ص)منزلاً ـ فاستيقظت من الليل فإذا أنا لا أرى فى العسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل! قد لصق كل إنسان وبعيره بالأرض، فقمت أتخلل حتى جفلت إلى مضجع رسول الله (ص)فإذا هو ليس فيه! فوضعت يدى على الفراش فإذا هو بارد، فقمت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فذكر نحوه إلا أنه قال: خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة. وفى رواية جعل مكان أبى عبيدة أبا موسى. قلت: روى الترمذى وابن ماجة طرفاً منه، رواه الطبرانى بأسانيد ورجال بعضها ثقات.

وعن أبى كعب صاحب الحرير قال سألت النضر بن أنس فقلت: حدثنى بحديث ينفعنى الله عز وجل به، فقال نعم أحدثك بحديث كتب إلينا به من المدينة فقال أنس: إحفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا رسول الله (ص)فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سليم وفلان وفلان أربعة، فتوسد النبى(ص)يد راحلته ثم نام ونام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبى(ص)عند راحلته، فذهبوا يلتمسون رسول الله (ص)فلقوه مقبلاً فقالوا: جعلنا الله فداك أين كنت فإنا قد فزعنا لك إذ لم نرك؟ قال النبى (ص): كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت فى نومى دوياً كدوى الرحا أو هزيز الرحى ففزعت فى منامى فوثبت فمضيت! فاستقبلنى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله بعثنى إليك الساعة لاخيرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة، فاخترت الشفاعة لامتى. فقال النفر الأربعة: يا رسول الله إجعلنا ممن تشفع لهم، فقال: وجبت لكم. ثم أقبل النبى(ص)والنفر الأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا: أين نبينا نبى الرحمة؟ قال نحدثهم بالذى حدث القوم فقالوا: جعلنا الله فداءك إجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة، فقال: وجبت لكم. فجاؤا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا فى الناس: هذا نبينا نبى الرحمة، فحدثهم بالذى حدث القوم، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداءك جعلنا الله ممن تشفع لهم، فنادى ثلاثاً: إنى أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتى لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه على بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. ورواه فى المعجم الكبير أيضاً:۱۸/۱۰۷.

وفى مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۷:

وعن أبى أمامة عن النبى(ص)قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتى، فقال له رجل من جلساه: كيف أنت يا رسول الله لخيارهم؟ قال: أما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم. ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار:۵/۹ ح ۷۰۰۴.

وقال فى الدر المنثور:۲/۱۱۵:

وأخرج البيهقى عن ابن عابد قال خرج رسول الله(ص)فى جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله(ص)إلى الناس وقال: هل آراه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة فى سبيل الله، فصلى عليه رسول الله(ص)وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة! وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة!!

وفى أسد الغابة:۱/۱۵۶:

عن أنيس الأنصارى أن النبى(ص)قال: إنى لاشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الأرض من حجر ومدر.

وفى تفسير الرازى:۱۰ جزء ۱۹/۱۹۲:

فثبت أن (إن المتقين فی جنات وعيون) يتناول جميع القائلين بلا إله إلا الله محمـد رسول الله قولاً واعتقاداً، سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية! انتهى.

وهـذا غريب من الرازى الـذى هو حريص على العقلانيـة، ولكن كثرة أحاديث أصـحابه غلبته وجعلته من المرجئة الذين ينتقدهم! فقد حكم بأن المسلم يدخل الجنة بالعقيدة فقط بدون عمل، بل حتى لو كانت حياته سلسلة من المعاصى والطغيان والاجرام!

ولم يزد عليه فی ذلك إلا الديلمى حيث روى أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله إنما جعلت من أجل جبابرة هذه الأمة وفراعنتها! قال فی فردوس الأخبار: ۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۷: أنس بن مالك: شفاعتى للجبابرة من أمتى!!

وقـد نقـل السـيوطى مجموعـة كبيرة من الروايات مفادها أن الله تعالى يحاسب المسـلمين على أعمالهم ويـدخل قسـماً منهم إلى الجنة وقسـماً آخر إلى النـار، ولكن الكفـار يعيرون المسـلمين فی جهنم بأنهم لم ينفعهم إسـلامهم، فيأنف الله تعالى ويغضب وتأخـذه الغيرة للمسـلمين لتوحيدهم، فينقلهم جميعاً حتى جبابرتهم ومجرميهم وشـياطينهم إلى الجنة، فعندئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين، واستدل هو وغيره بذلك على أن جميع المسلمين يدخلون الجنة!

وقـد ورد شبيه هـذا المعنى فی أحاديثنا من طريق أهل البيت (عليهم السـلام) ولكنه بالنسـبة إلى بعض أصـناف الموحدين وليس لكل المسلمين كما تذكر هذه الروايات!

قال السيوطى فی الدر المنثور:۴/۹۲ ـ ۹۴ فی تفسير قوله تعالى: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ:

وأخرج ابن المبارك فی الزهـد وابن أبی شـيبة وابن جرير وابن المنـذر والبيهقی فی البعث عن ابن عباس وأنس (رض) أنهما تـذاكرا هـذه الآيـة: رُبَمَـا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَـانُوا مُسْـلِمِينَ، فقالا: هـذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسـلمين والمشـركين فی النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته.

وأخرج سـعيد بن منصور وهناد والبيهقی عن مجاهـد (رض) فی قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْـلِمِينَ، قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله.

وأخرج الطبرانی فی الأوسط وابن مردويه بسـند صحيح عن جابر بن عبد الله (رض)قال قال رسول الله (ص): إن ناساً من أمتى يعذبون بذنوبهم فيكونون فی النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشـرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار. ثم قرأ رسول الله (ص): رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج ابن أبی عاصم فی السـنة وابن جرير وابن أبی حاتم والطبرانی والحاكم وصـححه وابن مردويه والبيهقی فی البعث والنشور عن أبی موسـى الأشـعرى (رض) قـال قـال رسول الله (ص): إذا اجتمع أهـل النـار فی النـار ومعهم من شـاء الله من أهل القبلـة، قال الكفار للمسـلمين: ألم تكونوا مسـلمين؟ قالوا بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسـلام وقـد صـرتم معنا فی النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسـمع الله ماقـالوا فـأمر بكـل من كـان فی النـار من أهل القبلـة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسـلمين فنخرج كمـا خرجوا، ثم قرأ رسول الله (ص): أعوذ بـالله من الشـيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: الرَ تِلْـكَ آيَـاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج إسـحق بن راهويه وابن حبان والطبرانی وابن مردويه عن أبی سـعيد الخـدرى أنه سـئل هل عندك من رسول الله(ص)فی هذه الآيـة شـی: رُبَمَـا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْـلِمِينَ؟ قال نعم سـمعته يقول: يخرج الله أناساً من المؤمنين من النار بعـد ما يأخـذ نقمته منهم، لمـا أدخلهم الله النار مع المشـركين قال لهم المشـركون: ألسـتم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله فی الـدنيا فما بالكم معنا فی النار! فإذا سـمع الله ذلك منهم أذن فی الشـفاعة لهم فيشـفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشـفاعة فنخرج معهم، فذلك قول الله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْـلِمِينَ، قال فيسـمون فی الجنة الجهنميين من أجل سواد فی وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هـذا الاسم، فيأمرهم فيغتسـلون فی نهر الجنـة فيـذهب ذلك الاسـم

عنهم.

وأخرج هناد بن السرى والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم عن أنس (رض) قال قال رسول الله(ص): إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا فى النار! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين.

وأخرج الحاكم فى الكنى عن حماد (رض) قال سألت إبراهيم عن هذه الآية: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون، حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: هذا فى الجهنميين، إذا رأوهم يخرجون من النار. انتهى.

وفى نفس الوقت روى السيوطى روايات تدل على أن تمنى الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل فى يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار.. قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث عن ابن عباس (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قال: ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال: موحدين.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى فى الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس (رض) قال: ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ. انتهى.

والإشكالات على هذا الرأى كثيرة يكفى منها ما تقدم من أدلة الرأى الأول ويكفى منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلهية، كما فعل اليهود من قبلهم!

وينبغى التذكير هنا بأن القرآن الكريم والأحاديث الثابتة المتفق عليها هى الميزان فى قبول الأحاديث الأخرى أو ردها.. وبهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين برد الأحاديث التى تكتفى بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة، وتسقط كل الشروط العملية! لأنها تناقض عشرات الآيات والأحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع!

على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الأحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التى نصت عليها الآيات والأحاديث الأخرى، لأنها شرط ضمنى فيها، فتكون النتيجة إخضاع هذه الأحاديث لمفاد أحاديث القول الأول، وهو المطلوب.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوة النبى صلى الله عليه وآله!

والمستفيد الأول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأنصار، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإيمان بالنبى فى حياته صلى الله عليه وآله، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها، ومن أوضحها بغض على بن أبى طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدى الإسلام للكفر والنفاق، وباعتباره أول عترة النبى ووصيه صلى الله عليه وآله.. فكان حب على وبغضه فى حياة رسول الله وبنصه صلى الله عليه وآله ميزاناً للايمان والنفاق! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها، منها ما رواه أحمد فى مسنده:۱/۹۵ وص ۱۲۸ وص ۲۹۲ عن زر بن حبيش عن على (رض) قال عهد إلىَّ النبى(ص)أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذى فى سننه:۵/۳۰۶.

وقال الترمذى فى سننه:۵/۲۹۸:

عن أبی سعید الخدری قال: إن کنا لنعرف المنافقین نحن معشر الأنصار ببغضهم علی بن أبی طالب. هذا حدیث غریب. وقد تکلم شعبة فی أبی هارون العبدی، وقد روی هذا عن الاعمش عن أبی صالح، عن أبی سعید.

وروی الحاکم فی المستدرک:۳/۱۲۸:

عن ابن عباس (رض) قال نظر النبی صلی الله علیه وآله إلی علی فقال: یا علی أنت سید فی الدنیا سید فی الآخرة، حبیبک حبیبی وحبیبی حبیب الله، وعدوک عدوی وعدوی عدو الله، والویل لمن أبغضک بعدی!! صحیح علی شرط الشیخین، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحدیث فهو علی أصلهم صحیح.

وروی الحاکم فی:۳/۱۳۵ سمعت عمار بن یاسر (رض) یقول سمعت رسول الله (صلی الله علیه وآله) یقول لعلی: یا علی طوبی لمن أحبک وصدق فیک، وویل لمن أبغضک وکذب فیک. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

وروی الحاکم فی:۳/۱۴۲ أن النبی صلی الله علیه وآله أخبر علیاً بأن الأمة ستغدر به من بعده، قال: عن حیان الأسدی سمعت علیاً یقول قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: إن الأمة ستغدر بک بعدی، وأنت تعیش علی ملتی وتقتل علی سنتی، من أحبک أحبنی ومن أبغضک أبغضنی، وإن هذه ستخضب من هذا، یعنی لحیته من رأسه. صحیح. انتهی.

أما بعد وفاة النبی صلی الله علیه وآله فصار بغض علی علیه السلام جهاراً نهاراً، ولم یعد علامةً علی النفاق بل صار علامةً علی (الإیمان) والتقوی والإخلاص للإسلام وتأیید السلطة الجدیدة التی یعارضها علی وشیعته! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنین! فقد روی البخاری:۸/۱۰۰ عن حذیفة بن الیمان قوله (إن المنافقین الیوم شرٌّ منهم علی عهد النبی(ص)! کانوا یومئذ یسرون، والیوم یجهرون)!

هذه الحقیقة الثابتة تنفعنا فی فهم أحادیث هذا الرأی التی ترید شمول المنافقین بالشفاعة والجنة! وهی کثیرة نورد عدداً منها ثم نذکر الملاحظات علیها:

روی مسلم فی صحیحه:۱/۴۴:

عن أبی هریرة قال: کنا قعوداً حول رسول الله(ص)معنا أبو بکر وعمر فی نفر، فقام رسول الله(ص)من بین أظهرنا، فأبطأ علینا وخشینا أن یقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا فکنت أول من فزع، فخرجت أبتغی رسول الله(ص)حتی أتیت حائطاً للأنصار لبنی النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربیع یدخل فی جوف حائط من بئر خارجة ـ والربیع الجدول ـ فاحتفرت فدخلت علی رسول الله(ص)، فقال: أبو هریرة؟ فقلت نعم یا رسول الله، قال: ما شأنک؟ قلت کنت بین أظهرنا فقمت فأبطأت علینا فخشینا أن تقتطع دوننا ففزعنا فکنت أول من فزع، فأتیت هذا الحائط فاحتفرت کما یحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائی!

فقال: یا أبا هریرة وأعطانی نعلیه قال: إذهب بنعلیَّ هاتین فمن لقیت من وراء هذا الحائط یشهد أن لا إله إلا الله مستیقناً بها قلبه فبشره بالجنة! فکان أول من لقیت عمر فقال: ماهاتان النعلان یا أبا هریرة؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله(ص)بعثنی بهما من لقیت یشهد أن لا إله إلاـ الله مستیقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بیده بین ثدییَّ فخررت لاستی! فقال: إرجع یا أبا هریرة، فرجعت إلی رسول الله(ص)فأجهشت بکاءً، ورکبنی عمر فإذا هو علی أثری، فقال رسول الله (ص): مالک یا أبا هریرة؟! قلت: لقیت عمر فأخبرته بالذی بعثتنی به فضرب بین ثدیی ضربةً خررت لاستی قال إرجع!

قال رسول الله (ص): یا عمر ما حملک علی ما فعلت؟ قال: یا رسول الله بأبی أنت وأمی أبعثت أبا هریرة بنعلیک من لقی یشهد أن إله إلاـ الله مستیقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم. قال فلا تفعل! فإنی أخشی أن یتکل الناس علیها فخلهم یعملون! قال رسول الله (ص): فخلهم!!

وروی البخاری فی:۱/۴۱:

عن أنس: قال ذکر لی أن النبی(ص)قال لمعاذ: من لقی الله لاـ یشرک به شیئاً دخل الجنة. قال ألا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن یتکلوا.

وروى البخارى فى:۱/۱۰۹:

قال أخبرنى محمود بن الربيع الأنصارى أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله(ص)ممن شهد بدراً من الأنصار، أنه أتى رسول الله (ص)فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصرى وأنا أصلى لقومى، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى وبينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مصلى.

قال فقال له رسول الله (ص): سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا رسول الله(ص)وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله(ص)فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلى من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله(ص)فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له قال فثاب فى البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ص): لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين! قال رسول الله (ص): فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله!! ورواه فى كنز العمال:۱/۳۰۲.

وروى البخارى:۲/۵۵ وج ۶/۲۰۲:

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله.

وروى شبيهه فى:۱/۳۳، ورواه أحمد فى مسنده:۴/۴۴.

وروى البخارى فى:۷/۱۷۲:

عن أحد بنى سالم قال غدا على رسول الله(ص)فقال: لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغى به وجه الله إلا حرم الله عليه النار.

وروى البخارى فى:۲/۶۹:

عن أبى ذر (رض) قال قال رسول الله (ص): أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق... عن عبدالله (رض) قال قال رسول الله (ص): من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة!!

وروى البخارى فى:۷/۴۳:

أن أبا ذر حدثه قال: أتيت النبى(ص)وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق! قلت وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبى ذر!! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبى ذر!! قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله. انتهى.

وأبو عبدالله هو البخارى نفسه، وهو يريد بقوله هذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شرط للتوحيد المذكور فيه، بأنه المسلم المجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إله إلا الله) قبل موته أو عند موته. ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط!

وروى النسائى فى:۸/۱۱۲:

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): ما مجادلة أحدكم فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار! قال فيقول: إذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول أخرجوا من كان فى قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان فى قلبه وزن ذرة! قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ إلى عَظِيمًا.

وروی أحمد فی مسنده:۴/۴۳:

ذکروا المنافقین وما یلقون من أذاهم وشرهم حتی صیروا أمرهم إلی رجل منهم یقال له مالک بن الدخشم، وقالوا: من حاله، ومن حاله، ورسول الله (ص)ساکت، فلما أکثروا قال رسول الله (ص): أ لیس یشهد أن لا إله إلا الله؟! فلما کان فی الثالثة قالوا: إنه لیقوله. قال: والذی بعثنی بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأکله النار أبداً! قالوا فما فرحوا بشئ قط کفرحهم بما قال!! انتهی.

وابن الدخشن هذا، أو الدخشم، أو الدخیشن، هو الذی ذکره البخاری وهو رئیس المنافقین الرسمی بعد ابن سلول! ویمکنک أن تفکر فیما یزعمه هذا الحدیث من أن أکبر فرحة للمسلمین کانت فی ذلک الیوم، أی یوم ساوی النبی صلی الله علیه وآله بین المسلمین والمنافقین الذین قال الله تعالی فیهم ما قال!!

ولعمری إنها فرحة السلطة وأتباعها الذین أرادوا حل مشکلة المنافقین لتأییدهم لهم، فألصقوا ذلک بالنبی صلی الله علیه وآله!!

وروی أحمد فی مسنده:۴/۴۱۱:

عن أبی بکر بن أبی موسی (الأشعری) عن أبیه أن رسول الله(ص)قال: أبشروا وبشّروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة، فخرجوا یبشرون الناس، فلقیهم عمر (رض) فبشروه فردهم، فقال رسول الله (ص): من ردکم؟ قالوا عمر، قال: لم رددتهم یا عمر؟ قال إذاً یتکل الناس یا رسول الله! انتهی. وقال عنه فی مجمع الزوائد:۱/۱۶ رجاله ثقات.

وروی أحمد:۱/۴۶۴:

عن عبد الله قال قال رسول الله(ص)کلمة وأنا أقول أخری! من مات وهو یجعل لله ندا أدخله الله النار. قال وقال عبد الله: وأنا أقول: من مات وهو لا یجعل لله ندا أدخله الله الجنة!!. انتهی.

ولکن أحمد روی فی:۲/۱۷۰ أن عبد الله بن عمرو بن العاص نسب الکلمتین إلی النبی صلی الله علیه وآله! قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: من لقی الله وهو لایشرک به شیئاً دخل الجنة ولم تضره معه خطیئة، کما لو لقیه وهو مشرک به دخل النار ولم ینفعه معه حسنة.انتهی.

ولکن أحمد روی هذا الحدیث أیضاً عن عبد الله بن مسعود ولیس عبد الله بن عمرو! قال فی:۱/۳۷۴: قال ابن مسعود: خصلتان یعنی إحداهما سمعتها من رسول الله(ص)، والأخری من نفسی: من مات وهو یجعل لله ندا دخل النار. وأنا أقول من مات... الخ.

وروی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۱/۲۳:

عن عقبة بن عامر (رض) قال جئت فی اثنی عشر راکباً حتی حللنا برسول الله(ص)فقال أصحابی: من یرعی إبلنا وننطلق فنقتبس من رسول الله(ص)، فإذا راح اقتبسناه ما سمعنا من رسول الله(ص)؟ فقلت: أنا، ثم قلت فی نفسی: لعلی مغبون، یسمع أصحابی ما لا أسمع من نبی الله(ص)، فحضرت یوماً فسمعت رجلاً قال قال رسول الله (ص): من توضأ وضوء کاملاً ثم قام إلی صلاة کان من خطیئته کیوم ولدته أمه، فتعجبت من ذلک، فقال عمر بن الخطاب: فکیف لو سمعت الکلام الآخر کنت أشد عجباً! فقلت: أردد علیَّ جعلنی الله فداءک، فقال عمر بن الخطاب: إن نبی الله(ص)قال: من مات لا یشرک بالله شیئاً فتحت له أبواب الجنة یدخل من أیها شاء، ولها ثمانیة أبواب! فخرج علینا رسول الله(ص)فجلست مستقبله فصرف وجهه عنی، فقمت فاستقبلته ففعل ذلک ثلاث مرات فلما کانت الرابعة، قلت یا نبی الله بأبی أنت وأمی لم تصرف وجهک عنی؟! فأقبل علی فقال: أواحد أحب الیک أم اثنا عشر؟ مرتین أو ثلاثاً! فلما رأیت ذلک رجعت إلی أصحابی!

وفی مجمع الزوائد:۱/۳۲:

عن عمر بن الخطاب (رض) أنه سمع النبی(ص)یقول: من مات یؤمن بالله والیوم الآخر، قیل له أدخل من أی أبواب الجنة الثمانیة شئت. رواه أحمد وفی إسناده شهر بن حوشب وقد وثق. وأورده أیضاً فی/۴۹.

وفی مجمع الزوائد:۱/۲۲:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) قال: جئت ورسول الله(ص)قاعد فی أناس من أصحابه فیهم عمر بن الخطاب (رض) وأدرکت آخر الحدیث ورسول الله(ص)یقول: من صلی أربع رکعات قبل العصر لم تمسه النار! فقلت بیدی هکذا یحرک بیده إن هذا حدیث جید، فقال عمر بن الخطاب: لما فاتک من صدر الحدیث أجود وأجود! قلت یا ابن الخطاب فهات، فقال عمر بن الخطاب: حدثنا رسول الله(ص)أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة!!

وفی مجمع الزوائد:۱/۱۶:

عن أبی الدرداء (رض) قال قال رسول الله (ص): من قال لا إله إلا الله وحده لا شریک له دخل الجنة. قال قلت: وإن زنی وإن سرق؟ قال: وإن زنی وإن سرق! قلت: وإن زنی وإن سرق؟! قال: وإن زنی وإن سرق! قلت: وإن زنی وإن سرق؟! قال: وإن زنی وإن سرق علی رغم أنف أبی الدرداء! قال فخرجت لانادی بها فی الناس فلقینی عمر فقال إرجع فإن الناس إن علموا بهذه اتکلوا علیها! قال: فرجعت فأخبرته(ص)فقال: صدق عمر.

رواه أحمد والبزار والطبرانی فی الکبیر والأوسط وإسناد أحمد أصح، وفیه ابن لهیعة وقد احتج به غیر واحد. ورواه فی الدر المنثور:۲/۱۷۰.

وروی أحمد:۵/۱۷۰:

حدثتنی جسرة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهت إلی الربذة فسمعت أباذر یقول: قام النبی(ص)لیلة من اللیالی فی صلاة العشاء فصلی بالقوم ثم تخلف أصحاب له یصلون، فلما رأی قیامهم وتخلفهم انصرف إلی رحله، فلما رأی القوم قد أخلوا المکان رجع إلی مکانه فصلی، فجئت فقمت خلفه فأومأ إلیَّ بیمینه فقمت عن یمینه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفی وخلفه، فأومأ إلیه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا، یصلی کل رجل منا بنفسه ویتلو من القرآن ما شاء الله أن یتلو، فقام بآیة من القرآن یرددها حتی صلی الغداة، فبعد أن أصبحنا أومأت إلی عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلی ما صنع البارحة؟ فقال ابن مسعود بیده لا أسأله عن شئ حتی یحدث إلی، فقلت: بأبی أنت وأمی قمت بآیة من القرآن ومعک القرآن؟! لو فعل هذا بعضنا وجدنا علیه، قال: دعوت لأمتی، قال: فماذا أجبت أو ماذا علیک؟ قال: أجبت بالذی لو اطلع علیه کثیر منهم طلعةً ترکوا الصلاة! قال: أفلا أبشر الناس؟ قال بلی، فانطلقت معنقاً قریباً من قذفة بحجر، فقال عمر: یا رسول الله إنک إن تبعث إلی الناس بهذا نکلوا عن العبادة، فنادی أن ارجع، فرجع.

وروی أحمد فی مسنده:۲/۳۰۷ وفی/۵۱۸:

عن أبی هریرة أنه سمعه یقول: سألت رسول الله (ص): ماذا رد إلیک ربک فی الشفاعة؟ فقال: والذی نفس محمد بیده لقد ظننت أنک أول من یسألنی عن ذلک من أمتی لما رأیت من حرصک علی العلم! والذی نفس محمد بیده ما یهمنی من انقصافهم علی أبواب الجنة أهم عندی من تمام شفاعتی، وشفاعتی لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً یصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۱۹۷ ح ۳۳۹۵.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۳۲۴:

وأخرج ابن مردویه عن أبی سعید قال: لما نزلت: فبشر عبادی الذین یستمعون القول فیتبعون أحسنه، أرسل رسول الله(ص)منادیاً فنادی: من مات لا یشرک بالله شیئاً دخل الجنة، فاستقبل عمر الرسول فرده، فقال: یا رسول الله خشیت أن یتکل الناس فلا یعملون، فقال رسول الله (ص): لو یعلم الناس قدر رحمة الله لا تکلوا ولو یعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم!

الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن أبی حاتم وابن شاهین فی السنة عن علی بن أبی طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الکبائر من موحدی الأمم کلها الذین ماتوا علی کبائرهم غیر نادمین ولا تائبین، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعینهم ولا تسود وجوههم، ولا یقرنون بالشیاطین ولا یغلون بالسلاسل، ولا یجرعون الحمیم ولا یلبسون القطران، حرم الله أجسادهم علی الخلود من أجل التوحید، وصورهم

على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم. ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى.

فإذا أراد الله ان يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء، فغضب الله غضبا لم يغضبه لشئ فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط فينبتون فيها نبات الطراثيث فى حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب فى جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون فى الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وقال ابن باز فى فتاويه:۱/۱۷۹:

روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه. انتهى.

ملاحظات على روايات هذا الرأى

أولاً: نلاحظ فى أحاديث هذا الرأى بل هذا المذهب، اضطرابها وتعارضها إلى حد التناقض! ولعل أصلها رواية مسلم التى ضرب فيها عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبى صلى الله عليه وآله قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة، وأنه لا يحتاج الأمر إلى الإيمان بنبوته ولا شفاعته صلى الله عليه وآله!

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذى قال ذلك هو النبى نفسه صلى الله عليه وآله وليس عمر! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك، وقد ردَّ أبا هريرة من الطريق وضربه، واعترض على النبى مرات ومرات، وقد أطاعه النبى صلى الله عليه وآله فى بعض المرات، ثم أصرَّ النبى على هذا القول فهو الذى يتحمل مسؤوليته، وليس عمر، ولا أبو موسى، ولا أبو هريرة، ولا كعب الأحبار!!

ثانياً: أن هذا المذهب يلغى حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلاً!! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إله إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم، فلا يبقى معنى للشفاعة!!

ثالثاً: أنه يلغى الحاجة إلى أصل الإسلام ونبوة نبينا صلى الله عليه وآله! لأن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده، حتى لو كفر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله! فلا يبقى مبرر لجهاد النبى صلى الله عليه وآله وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته! ولا يبقى معنىً لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ) وكيف يجرأ مسلم على قبول رأى من رواة أو خليفة، يستلزم إبطال دينه من أصله؟!!

رابعاً: تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبى صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ فى تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه! على أنه توجد رواية أخرى فى تهذيب الكمال:۴ ص۳۱ وفى مجمع الزوائد:۱ ص۱۶ تقول إن النبى لم يقتنع وأصرَّ على رأيه، وقال لعمر: دعهم يتكلوا! وتوجد رواية أخرى فى مجمع الزوائد وفى مسند أحمد:۴/۴۰۲ تقول إن النبى سكت!.. الخ.

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبى صلى الله عليه وآله وتعطى لعمر دور الناظر على أعمال النبى صلى الله عليه وآله والولاية عليه لتصحيح أخطائه! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله صلى الله عليه وآله فى كل كلمة يتفوه بها، فيقول (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْىٌ يُوحَى)!

خامساً: تقدمت رواية أن عمر هو الذى بشر الناس، ولعله اقترح على النبى أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبى صلى الله عليه وآله!! وقد روى الهيثمى رواية فيها تصريح بأن الذى أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة، قال (وعن جابر (رض) قال: قال رسول الله

(ص): ناد یا عمر فی الناس إنه من مات یعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرم علی النار! قال فقال عمر: یا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا، لا، یتکلوا. انتهی.

فأول الروایة یقول: إن النبی أمر عمر بالنداء، وآخرها یقول إن عمر اقترح النداء فلم یقبل به النبی صلی الله علیه وآله ونهاه عنه!

وهذا یؤید أن یکون أصل القضیة کلها محاولة من عمر لتبشیر الناس بعدم اشتراط العمل للجنة، فنهاه النبی صلی الله علیه وآله.

سادساً: إن روایات (ضیاع النبی!) فی غزوة من غزواته أو فی المدینة، قد حملت من التناقض واللامعقول ما یوجب علی الباحث بل علی القارئ الشک فیها من أصلها!

فحدیث مسلم یقول: إنهم (أضاعوا) النبی صلی الله علیه وآله فی المدینة حتی وجده أبوهریرة فی بستان فی المدینة لبنی النجار! وروایتا الطبرانی المتقدمتان عن عوف بن مالک والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبی فی إحدی الغزوات! أو خرج مبهوتاً فی وسط اللیل! وبعض روایاتها تقول إن النبی صلی الله علیه وآله لم یضع بل کان فی بیته أو فی مسجده وأمر أبا موسی ونفراً من قومه أن یبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقیهم عمر... الخ. وقد رواها أحمد:۴ ص۴۰۲ وص۴۱۱ و قال عنها مجمع الزوائد ج۱ص ۱۶ (رواه أحمد والطبرانی فی الکبیر ورجاله ثقات).

ثم إن روایة مسلم تقول: إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هریرة وأن عمر ضربه! بینما تقول روایات أخری إن المأمور بالنداء أبو موسی الأشعری ونفر من الأشعریین وأن عمر رده ولم یضربه! وأخری تقول: إن المأمور هو أبو الدرداء، وأخری تقول: إنه أبوذر، وأخری تقول: إنه عمر.. إلخ. وروایة أبی سعید تذکر مأموراً بدون تسمیة!

أما روایات الطبرانی فتذکر بطلین آخرین للحادثة هما عوف والنضر، وفی روایة أخری فی مجمع الزوائد ج۱ ص۲۳ إنه عقبة بن عامر! وتوجد روایة فی مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحید هو عمر، ولا یوجد غیره قال الهیثمی فی مجمع الزوائد ج۱ ص۱۶ وعن عمر (رض) أن رسول الله(ص)أمره أن یؤذن فی الناس أنه: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له مخلصاً دخل الجنة، فقال عمر: یا رسول الله إذا یتکلوا فقال: دعهم. رواه أبو یعلی والبزار إلا أن عمر قال یا رسول الله إذا یتکلوا! قال دعهم یتکلوا. انتهی.

أما روایة البخاری فتذکر أن بطل الروایة معاذ فقط، وأنه اقترح تبشیر الناس بذلک فنهاه النبی صلی الله علیه وآله، وروایة أحمد تذکر أن بطلها عبادة بن الصامت.. وقد تقدمت الروایتان فی الرأی الثانی لأنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة!!

ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضیاع النبی المزعوم، والنداء المزعوم، لوجدنا فیها تناقضات أخری توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحیة لإثبات حکم شرعی عادی، فکیف تصلح لاثبات عقیدة خطیرة، أخطر من مذهب المرجئة؟! لأن المرجئة یشترطون لدخول الجنة الشهادتین، وهذه القصة تلغی الشهادة الثانیة!!

سابعاً: توجد روایات تناقض هذا الرأی عن الخلیفة عمر نفسه وتقول إن الذی یسرق عباءة من الغنائم یحرم من دخول الجنة، حتی لو کان السارق مسلماً واستشهد فی سبیل الله تعالی! وتقول إن النبی صلی الله علیه وآله قد أمر عمر أن ینادی بنداء مضاد لما ذکرته قصة ضیاع النبی صلی الله علیه وآله ونداء النعلین!!

فقد روی أحمد فی مسنده:۱/۳۰ وص ۴۷ عن عمر بن الخطاب (رض) قال لما کان یوم خیبر أقبل نفر من أصحاب النبی(ص)فقالوا: فلان شهید فلان شهید، حتی مروا علی رجل فقالوا فلان شهید، فقال رسول الله (ص): کلا إنی رأیته فی النار فی بردة غلها أو عباءة! ثم قال رسول الله (ص): یابن الخطاب إذهب فناد فی الناس إنه لا یدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فنادیت: ألا إنه لا یدخل الجنة إلا المؤمنون. انتهی.

فإذا کانت سرقة عباءة تمنع صاحبها (الشهید) من دخول الجنة، فکیف تکون شهادة (لا إله إلا الله) وحدها بدون عمل کافیة لدخول الجنة؟!

وإذا کان النبی صلی الله علیه وآله قد أمر عمر بهذا النداء، فکیف أمر عمر نفسه أو غیره بنداء مناقض له؟! وکیف لم یعترض علیه عمر

وهو المعروف بكثرة اعتراضاته؟!

ثم إن قصة سارق العباءة والنداء بشرط الإيمان والعمل الصالح، كانتا فى خيبر، وهذه ظاهرة تحديد فى الرواية توجب نوعاً من الثقة، ولكنك لا تجد فى قصة ضياع النبى صلى الله عليه وآله والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد، لا اسم الغزوة، ولا اسم البستان، بل لا تجد إلا مجملاً فى مجمل، وتناقضاً بعد تناقض!

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك فى ذكر دور عمر ومناقشته للنبى صلى الله عليه وآله ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس، يترجح فى الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذى بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة، وقد يكون اقترح على النبى صلى الله عليه وآله أن يأمره بذلك فلم يقبل، وأن النبى صلى الله عليه وآله ما ضاع لا فى غزوتين ولا فى غزوة،ولا خرج مذعوراً فى الليل من كلام جبرئيل، ولا ضاع فى المدينة، ولا اختبأ فى بستان، ولا أعطى نعليه لابى هريرة علامةً للناس بأنه مبعوث من النبى صلى الله عليه وآله، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! فعندما تتناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها.. فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الإحتمال الأخير.

ثامناً ثبت عند الجميع أن النبى صلى الله عليه وآله قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لإبلاغ سورة براءة، وأمره أن ينادى فى الناس بعدة أمور، منها (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)! وقد روى ذلك أحمد: ۱/۴۷ وص ۷۹ والنسائى: ۵/۲۳۴ والدارمى: ۲/۲۳۰ وغيرهم، وفى أحمد: ۵/۴۳۸: نفس مسلمة).

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم!

ثم إن هذا النداء كان بعد فتح مكة، فلا بد للقائل بصحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء، وأن يثبت صحة قصته وأنها كانت بعد نداء مكة.. ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد!

أما الأحاديث الأخرى التى استدلوا بها على هذا المذهب، فليست أحسن حالاً من حديث (ضياع النبى صلى الله عليه وآله واختفائه واختبائه ونداء النعلين) فى تضاربها وتعارضها مع غيرها..ويكفى لردها الروايات التى تقدمت فى الرأى الأول.

وأخيراً، فقد آن لاخواننا فقهاء السنة أن ينظروا بجدية إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإسلام، ويعيدوا النظر فى مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية!

ذلك أن صريح العقل هو الأصل الذى وصلنا به إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ثم وصلنا به إلى قطعيات الشرع الشريف. وحبُّنا للصحاح وأصحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصلنا إلى التنازل عن قطعيات الشرع والعقل، لأن إبطال الأصل يستلزم إبطال الفرع الذى نحبه، وبالنتيجة خسارة كل شئ!!

احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه

بمقتضى أحاديثهم فى استحقاق الموحد لدخول الجنة، فلا يحتاج الأمر إلى شفاعة، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين!

ولكن أصحاب هذا الرأى احتاطوا فى أمر أصحابهم فشملوهم بالشفاعة! واختلفت رواياتهم فى من يشفع فيهم! فقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله هو الذى يشفع فى الموحدين، وقال بعضها إن إسحاق هو شفيع الموحدين، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشيخين، كما سيأتى فى مسألة الذبيح! وقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً، لانهم شهدوا بتوحيده!!

قال فى كنز العمال:۱/۵۶:

ما زلت أشفع إلى ربى فيشفعنى حتى أقول: شفعنى فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ليست هذه لك يا محمد! إنما هى لى! أنا وعزتى وحلمى ورحمتى لا أدع فى النار أحداً قال لا إله إلا الله-ع عن أنس. انتهى. وأورده الرازى فى تفسيره: ۱۱ جزء ۲۲/۱۰. وفى كنز

العمال:۱/۶۴ فیقال: لیست هذه لک ولا لاحد، هذا إلیَّ، فلا یبقی أحد قال لا إله إلا الله إلا أخرج منها ـ الدیلمی عن أنس.

طبقات الحنابلة لأبی یعلی:۱/۳۱۲:

قال أحمد بن حنبل: إذا لم یبق لاحد شفاعة قال الله تعالی: أنا أرحم الراحمین، فیدخل کفه فی جهنم فیخرج منها ما لا یحصیه غیره.

وروی البیهقی فی سننه:۱۰/۴۲:

عن معبد بن هلال العنزی قال: أتیت أنس بن مالک (رض) فی رهط من أهل البصرة وسماهم لنا، نسأله عن حدیث الشفاعة، فذکر الحدیث بطوله فی سؤاله وجوابه وخروجهم من عنده ودخولهم عن الحسن بن أبی الحسن البصری، قال الحسن حدثنی کما حدثکم، قال ثم قال یعنی النبی (ص): فأجئ فی الرابعة فأحمد بتلک المحامد ثم أخر له ساجداً فیقال لی یا محمد إرفع رأسک قل یسمع لک وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول یا رب إئذن لی فیمن قال لا إله إلا الله فیقول لیس ذلک إلیک ولکنی وعزتی وکبریائی وعظمتی لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله. رواه البخاری فی الصحیح عن سلیمان بن حرب عن حماد بن زید زاد فیه (وجلالی) ورواه مسلم عن سعید بن منصور وغیره.

ولکن الدیلمی روی فی فردوس الأخبار:۳/۲۷۶ ح ۴۶۹۵:

أن الله تعالی یتنازل ویعطی الشفاعة فیهم لرسوله صلی الله علیه وآله! قال عمرو بن العاص: قلت یا ربی شفعنی فیمن قال لا إله إلا الله، قال: لک ذلک! انتهی.

وقال الثعالبی فی الجواهر الحسان:۱/۳۵۱ فی تفسیر الآیة ۴۰ من سورة النساء:

فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکة وشفع النبیون وشفع المؤمنون ولم یبق إلا أرحم الراحمین فیقبض قبضة من النار فیخرج منها قوماً لم یعملوا خیراً قط!

وقال فی:۲/۳۶۰:

وأحادیث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعة أرحم الراحمین ففی صحیح مسلم من حدیث أبی سعید الخدری قال: فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکة وشفع النبیون وشفع المؤمنون... الخ.

ورواه البغوی فی مصابیح السنة:۳/۵۴۲.

وقد أوردنا روایات هذه (الشفاعة) من مصادر السنیین فی المجلد الثانی فی ادعائهم رؤیة الله تعالی بالعین فی الآخرة! ومعناها أن الله تعالی یتوسط عند نفسه، وهو معنی عامی للشفاعة! والظاهر أن أصلها الحدیث المروی فی مصادرنا عن الإمام محمد الباقر علیه السلام الذی رواه فی بحار الأنوار:۸/۳۶۱ عن حمران قال سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: إن الکفار والمشرکین یرون أهل التوحید فی النار فیقولون مانری توحیدکم أغنی عنکم شیئاً، وما أنتم ونحن إلاـ سواء! قال: فیأنف لهم الرب عز وجل فیقول للملائکة: إشفعوا فیشفعون لمن شاء الله، ویقول للمؤمنین مثل ذلک، حتی إذا لم یبق أحدٌ تبلغه الشفاعة، قال تبارک وتعالی: أنا أرحم الراحمین، أخرجوا برحمتی، فیخرجون کما یخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر علیه السلام: ثم مدت العُمُد وأعمدت علیهم، وکان والله الخلود. انتهی.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۲۳ عن مجمع البیان عن العیاشی.

والمقصود بأهل التوحید الذین تشملهم الشفاعة فی هذه الروایة، المسلمون الذین ارتضی الله دینهم وأماتهم علی التوحید.. فقد ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) أن بعض أصحاب المعاصی والانحرافات الکبیرة، یسلب منهم التوحید قبل موتهم، والعیاذ بالله!!

ان الشفاعة تشمل جمیع الخلق

مجموعة الرسائل لابن تیمیة:۱/۱۰:

أجمع المسلمون على أن النبى(ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله فى الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأهل الكبائر ويشفع أيضاً لعموم الخلق... أما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هى للؤمنين خاصة... ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً... ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع فى أهل الكبائر ولا يخلد أحد فى النار.

ولكن ابن باز لم يأخذ بفتوى إمامه ابن تيمية فقال فى فتاويه:۴/۳۶۸:

إن المشرك إذا مات على شركه فهو مخلد فى النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلك مثل الذى يعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الكواكب... أو يعبد الأموات ومن يسمونهم بالأولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، مثل قول بعضهم: يا سيدى فلان المدد المدد، يا سيدى البدوى المدد المدد... أو يا سيدى رسول الله المدد المدد الغوث الغوث، أو يا سيدى الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب، أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون... وهذا كله من الشرك الأكبر، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار. انتهى.

فإن عجبت فاعجب لإبن تيمية إمام الوهابيين حيث يحكم بدخول إبليس وقابيل وفرعون ونمرود الجنة لأنهم من عموم الخلق! ولإمامهم المعاصر ابن باز حيث يحكم بأن ملايين المسلمين الذين يدعون الله تعالى ويطلبون من أوليائه مدداً مما أعطاهم الله تعالى كلهم (مشركون) مخلدون فى النار أبد الآباد!!

مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۹:

وعن أنيس الأنصارى قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إنى لاشفع يوم القيامة فى كل شئ مما على وجه الأرض من حجر ومدر. رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أحمد بن عمرو صاحب على بن المدينى ويعرف بالقلورى ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم. انتهى. ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب:۱/۱۱۴ والديلمى فى فردوس الأخبار:۱/۹۳ ح ۱۷۴ عن بريدة الاسلمى وفيه (لاكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر).

الدر المنثور:۶/۲۸۵:

وأخرج ابن مردويه عن عبدالرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنى إلى ما تنتهى شفاعة محمد يوم القيامة؟! فقال كعب: قد أخبرك الله فى القرآن أن الله يقول (ما سلككم فى سقر إلى قوله اليقين) قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ويطعم مسكيناً قط ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خيراً) انتهى.

وإذا أراد كعب بقوله (حتى يبلغ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبى يشفع حتى يبلغ هؤلاء فيشفع لهم أيضاً، فلم يبق أحد فى النار! وإن أراد أنه يبلغهم ويقف عندهم، فمعناه أن كعباً لا يشترط لشمول الشفاعة إلا الإيمان بيوم الدين، وعملاً واحداً من الأعمال المذكورة!

كنز العمال:۱۴/۵۱۱ عن ابن عساكر:

عن أنس أن رسول الله(ص)قال: والذى نفسى بيده! إنى لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وإن بيدى لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا فخر، ينادى الله يومئذ آدم فيقول: يا آدم، فيقول لبيك رب وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أكرمك الله وخلقك بيده، ونفخ فيك وروحه وأسكنك جنته، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار، فيقول آدم: ليس ذلك إلىّ اليوم، ولكن سأرشدكم، عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إشفع لذرية آدم فيقول: ليس ذلك إلىّ اليوم ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته وصنع على عينه وألقى عليه محبة منه موسى وأنا معكم، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه وصنعت على عينه وألقى عليك محبة منه إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلىّ اليوم عليكم بروح الله وكلمته عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت روح الله وكلمته إشفع لذرية آدم لا

تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إليَّ اليوم ولكن سأرشدكم عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم، فيأتون أحمد فيقولون: يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فأقول: نعم أنا صاحبها فآتى حتى آخذ بحلقة باب الجنة فيقال: من هذا أحمد؟ فيفتح لى فإذا نظرت إلى الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً، ثم يفتح لى من التحميد والثناء على الرب شيئاً لا يفتح لاحد من الخلق ثم يقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه!

ثم يعودون إليَّ فيقولون: ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فآتى حتى آخذ بحلقة الجنة فيقال: من هذا؟ فأقول أحمد، فيفتح لى فإذا نظرت الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً مثل سجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء على الرب والتحميد مثل ما فتح لى أول مرة، فيقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه!

ثم آتى حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله خررت ساجداً فأسجد كسجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء والتحميد مثل ذلك ثم يقال: إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر. ثم يؤذن لادم فى الشفاعة فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لاكثر من ربيعة ومضر. انتهى.

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التى صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق!

وإذا كان هذا الرأى يحتاج إلى رد، فإن ما تقدم فى أدلة الرأى الموافق لمذهبنا، وما تقدم فى نقد الآراء التوسيعية السابقة كاف لرده.

ان العقاب فى الآخرة ينتهى كليا و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة فى كثير من رواياتها.

وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية. ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا، ماعدا ابن تيمية وبعض تلاميذه، كما سترى!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۳/۳۵۰:

وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر (رض) قال: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. انتهى. ورواه الشوكانى فى فتح القدير:۲/۶۵۸ وغيره، وعالج: منطقة رملية فى بين صحراء نجد والبحرين.

آراء المسلمين فى آيات الخلود و أحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابى يحبونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً، وكأن واحدهم متحيرٌ يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويخه لكى يقبل التناقض الذى يريد إقناعه به!

وموضوعنا هذاواحدٌ من هذه الموضوعات التى اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة.

وتفادياً لذلك نقدم رأى أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء مذهبهم فى المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الأخرى، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادرهم فى تفسير آيات الله تعالى، وتفسير أقوال النبى صلى الله عليه وآله، فإن

الميزان الشرعى لكل الاراء والأحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة..ويضاف اليه عندنا ماثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبى صلى الله عليه وآله الذين هم عترته بصريح قوله صلى الله عليه وآله (إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع.

اجمع المسلمون على خلود الكفار فى جهنم

الإعتقادات للصدوق/۵۳:

باب الإعتقاد فى الجنة والنار: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا فى الجنة: أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موتٌ فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر. وأنها دار الغنى ودار السعادة، ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. وأنها دارٌ أهلها جيران الله تعالى وأولياؤه وأحباؤه وأهل كرامته.

وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره فى جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابى ولباس السندس، كلٌّ منهم إنما يتلذذ بما يشتهى ويريد، على حسب ما تعلقت همته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه، فتلك عبادة الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهم الامناء، وذلك قوله عز وجل: وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.

واعتقادنا فى النار: أنها دار الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك.

الإعتقادات/۸۱:

واعتقادنا فى قتلة الأنبياء (عليهم السلام) وقتلة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أنهم كفار مشركون مخلدون فى أسفل درك من النار. ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه، فليس عندنا من دين الله فى شئ.

تفسير الإمام العسكرى عليه السلام /۵۷۸:

قال الله تعالى: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ، كان عذابهم سرمداً دائماً، وكانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبى ولا وصى، ولا خيِّر من خيار شيعتهم.

التبيان فى تفسير القرآن:۲/۵۲۴:

الخلود فى اللغة هو طول المكث، ولذلك يقال: خلده فى السجن وخلد الكتاب فى الديوان. وقيل للأثافى: خوالد مادامت فى موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد.

والفرق بين الخلود والدوام: أن الخلود يقتضى (فى) كقولك خلد فى الحبس ولا يقتضى ذلك الدوام، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة... ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد. والإجماع بخلافه.

الطهارة للشيخ الأنصارى/۳۸۸:

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأخبار على عدم قبول توبته، مثل قوله عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على

محمد صلی الله علیه وآله فلا توبة له وقد وجبت علیه وبانت منه امرأته، ویقسم ما ترک علی ولده. هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ینافی الإسلام، ودعوی المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود فی النار وهو ینافی الإسلام، مدفوع بأنه لا إجماع علی خلود الکافر فی النار مطلقاً حتی مثل هذا بعد التوبة.

هذا مضافاً إلی معارضتها مع عمومات قبول التوبة، حیث أن ظاهرها القبول فیما یتعلق بأمر الآخرة من العقاب، فتدل بظاهرها علی أن المرتد تقبل توبته ولا یخلد فی النار بعد التوبة، بل یدخل الجنة فیکون مسلماً، للإجماع علی خلود الکافر فی النار.

فکما یمکن تقیید هذه بغیر المرتد الفطری کذلک یمکن تقیید مثل الروایة والأخبار المستفیضة بعدم قبول التوبة فی دفع ما یحکم علیه بحدث الکفر من مفارقة المال والزوجةوالحیاة. وبعد التعارض یجب الرجوع إلی الأصل.

هذا مضافاً إلی قول الباقر علیه السلام المروی فی باب إعادة الحج: من کان مؤمناً فحج وعمل فی إیمانه خیراً ثم أصابته فتنة فکفر ثم تاب وآمن؟ قال: یحسب له کل عمل صالح عمله فی إیمانه ولا یبطل منه شئ.

هذا کله مع أن لنا أن نکتفی بالأصل، ونستدل علی طهارته بما دل علی طهارة المسلمین.

الروایات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنیین

صحیح البخاری:۷/۲۰۳:

عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص): یجمع الله الناس یوم القیامة فیقولون لو استشفعنا علی ربنا حتی یریحنا من مکاننا؟ فیأتون آدم فیقولون أنت الذی خلقک الله بیده ونفخ فیک من روحه وأمر الملائکة فسجدوا لک فاشفع لنا عند ربنا، فیقول: لست هناکم ویذکر خطیئته ویقول: إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فیأتونه فیقول: لست هناکم، ویذکر خطیئته، إئتوا إبراهیم الذی اتخذه الله خلیلاً، فیأتونه فیقول:لست هناکم، ویذکر خطیئته، ائتوا موسی الذی کلمه الله فیأتونه فیقول: لست هناکم، فیذکر خطیئته، إئتوا عیسی فیأتونه فیقول: لست هناکم، إئتوا محمداً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فیأتونی فأستأذن علی ربی فإذا رأیته وقعت ساجداً فیدعنی ما شاء الله ثم یقال: إرفع رأسک، سل تعطه، قل یسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسی فأحمد ربی بتحمید یعلمنی ثم أشفع فیحد لی حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فی الثالثة أو الرابعة حتی ما بقی فی النار إلا من حبسه القرآن. وکان قتادة یقول عند هذا: أی وجب علیه الخلود. انتهی.

وقد روت مصادر السنیین عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها روایاتهم ومفسروهم بالتأبید..

وممن رواها البخاری فی:۸/۱۸۳ کما تقدم

ورواها أیضاً فی:۵/۱۴۷ وفیه (إلا ـ من حبسه القرآن ووجب علیه الخلود. ثم قال البخاری: إلا ـ من حبسه القرآن یعنی قول الله تعالی: خَالِدِینَ فِیهَا).

وقال فی:۷/۲۰۳ (إلا من حبسه القرآن، وکان قتادة یقول عند هذا: أی وجب علیه الخلود).ورواها فی:۸ من/۱۷۳ (إلا من حبسه القرآن ووجب علیه الخلود).

وفی:۸/۱۸۴: إلا من حبسه القرآن، أی وجب علیه الخلود. انتهی.

ورواها مسلم فی:۱/۱۲۴ وص ۱۲۵ وأحمد:۳/۱۱۶ وص ۲۴۴ مثل روایة البخاری الاخیرة.ورواها ابن ماجة:۲/۱۴۴۳، وکنز العمال:۱۴/۳۹۷ عن أحمد والبیهقی والترمذی وغیرهم.

سنن الترمذی:۴/۹۵:

باب ما جاء فی خلود أهل الجنة وأهل النار: عن أبی هریرة أن رسول الله (ص)قال: یجمع الله الناس یوم القیامة فی صعید واحد ثم یطلع علیهم رب العالمین فیقول ألا یتبع کل إنسان ما کانوا یعبدون...

فإذا أدخل الله تعالى أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة ولاهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت. هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد فى:۲/۳۶۸.

مستدرک الحاکم:۴/۴۹۶:

فإذا أراد الله عز وجل أن لا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم، قال فيجى الرجل فينظر ولا يعرف أحداً فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك، فعند ذلك يقول: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول عند ذلك: إخسؤوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الدر المنثور:۱/۱۶۶:

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله: وما هم بخارجين من النار قال: أولئك أهلها الذين هم أهلها.

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق الأوزاعى قال سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت: وما هم بخارجين من النار.

الدر المنثور:۲/۱۶۳:

وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قوله: وإن تك حسنة، وزن ذرة زادت على سيآته يضاعفها، فأما المشرك فيخفف به عنه العذاب ولا يخرج من النار أبداً.

الدر المنثور:۶/۲۵۷:

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال: يفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها منابت الشيح، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام... وما يترك فيها أحداً فيه خير، فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم، فيجى الرجل من المؤمنين فيشفع فيقال له من عرف أحداً فيخرجه فيجى الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول الرجل للرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فيقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول إخسؤوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۹۵:

باب الخلود لأهل النار فى النار وأهل الإيمان فى الجنة. عن أنس قال قال رسول الله (ص): يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا، قال فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت، فيذبح كما يذبح الكبش، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء. رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحى وهو ثقة.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله(ص)بعثه إلى اليمن فلما قدم عليه قال: يا أيها الناس إنى رسول رسول الله(ص)إليكم يخبركم أن المرد إلى الله، وإلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن.

الدر المنثور:۳/۳۵۰:

وأخرج البيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس فى قوله: إلا ما شاء ربك، قال فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء فى النار، وأن يخلد هؤلاء فى الجنة.

وأخرج أبو الشيخ عن السدى فى قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا... الآية، قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدينة: إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا.. إلى آخر الآية، فذهب الرجاء لأهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الابد. وقوله وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا.. الآية قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فأنزل بالمدينة: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ..إلى قوله ظلاً ظليلاً، فأوجب لهم خلود الأبد.

الأحكام فى الحلال والحرام:۱/۳۵:

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما، صار إليها وحل بفعله فيها أبد الأبد، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفى ذلك ما يقول رب العالمين: خالدين فيها أبداً، ويقول عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. ففى كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها، غير خارج منها من بعد مصيره إليها، فنعوذ بالله من الجهل والعمى.

سبب خلود أهل النار فيه

الكافى:۲/۸۵:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقرى، عن أحمد بن يونس، عن أبى هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار فى النار، لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة فى الجنة لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، قال على نيته. ورواه الصدوق فى الهداية/۱۲ وفى علل الشرائع:۲/۵۲۳ والعياشئ فى تفسيره:۲/۳۱۶ والبرقى فى المحاسن:۲/۳۶.

آيات الخلود فى الجنة والنار

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۳۹.

بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۱-۸۲.

خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ. البقرة-۱۶۲.

وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۱۷.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ البقرة: ۲۵۷.

الَّذِينَ يَاكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إلى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۷۵.

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ۸۷ ـ ۸۹.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. آل عمران-۱۱۶.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ. النساء: ۱۴.

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا. النساء: ۹۳.

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. الأنعام: ۱۲۸.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. الأعراف: ۳۶.

أُولَئِکَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَ فِی النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. التوبة: ۱۷.

أَلَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِیهَا ذَلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ. التوبة: ۶۳.

وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِینَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْکُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا هِیَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِیمٌ. التوبة: ۶۸.

وَالَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئَاتِ جَزَاءُ سَیِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ کَأَنَّمَا أُغْشِیَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّیْلِ مُظْلِمًا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. یونس: ۲۷.

ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا بِمَا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ. وَیَسْتَنْبِئُونَکَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ. یونس: ۵۲ ـ ۵۳.

فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیهَا زَفِیرٌ وَ شَهِیقٌ. خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ. وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۶ ـ ۱۰۸

أُولَئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْنَاقِهِمْ وَ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. الرعد: ۵.

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. النحل-۲۹.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِینَ فِیهِ وَ سَاءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ حِمْلا. طه: ۱۰۰ ـ ۱۰۱.

إِنَّکُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ کَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ کُلٌّ فِیهَا خَالِدُونَ. الأنبیاء: ۹۸ ـ ۹۹.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِینُهُ فَأُولَئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِیهَا کَالِحُونَ. أَلَمْ تَکُنْ آیَاتِی تُتْلَی عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ بِهَا تُکَذِّبُونَ. المؤمنون: ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. السجدة: ۱۴.

خَالِدِینَ فِیهَا أَبَدًا لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَلا نَصِیرًا. الأحزاب: ۶۵.

قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. الزمر: ۷۲.

قِیلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. غافر: ۷۶

ذَلِکَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِیهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا کَانُوا بِآیَاتِنَا یَجْحَدُونَ. فصلت: ۲۸

إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لا یُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِیهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَکِنْ کَانُوا هُمُ الظَّالِمِینَ وَنَادَوْا یَا مَالِکُ لِیَقْضِ عَلَیْنَا رَبُّکَ قَالَ إِنَّکُمْ مَاکِثُونَ. الزخرف: ۷۴ ـ ۷۷

وَلَهُمْ فِیهَا مِنْ کُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ کَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِی النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِیمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ. محمد: ۱۵

لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئًا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. المجادلة: ۱۷

فَکَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِی النَّارِ خَالِدَیْنِ فِیهَا وَ ذَلِکَ جَزَاءُ الظَّالِمِینَ. الحشر: ۱۷

وَالَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِینَ فِیهَا وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ. التغابن ـ ۱۰

وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا أَبَدًا. الجن: ۲۳

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ وَ الْمُشْرِکِینَ فِی نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا أُولَئِکَ هُمْ شَرُّ الْبَرِیَّةِ. البینة: ۶

إِنَّ فِی ذَلِکَ لآیَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الأخِرَةِ ذَلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ. یَوْمَ یَأْتِ لا تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَسَعِیدٌ. فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیهَا زَفِیرٌ وَشَهِیقٌ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ. وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۳ ـ ۱۰۸

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اللهِ وَالَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ

لله جَمِيعًا وَ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.البقرة: ۱۶۵-۱۶۷.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. المائدة: ۳۶ ـ ۳۷

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادرن

تقدم رأی أهل البیت (علیهم السلام) فی شمول الشفاعة للمسلمین بشروط، وأوردنا فیه حدیث ابن أبی عمیر عن الإمام الکاظم علیه السلام من توحید الصدوق/۴۰۷ وفیه (لا یخلد الله فی النار إلا أهل الکفر والجحود والضلال والشرک...) انتهی. ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۸/۳۵۱ ووصف الشیخ الأنصاری فی مکاسبه/۳۳۵ روایته بأنها حسنة.

بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

عیون أخبار الرضا: فیما کتب الرضا علیه السلام للمأمون من محض الإسلام: إن الله لا یدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا یخرج من النار کافراً وقد أوعده النار والخلود فیها، ومذنبو أهل التوحید یدخلون النار ویخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

بحار الأنوار:۸/۳۶۶:

قال العلامة رحمه الله فی شرحه علی التجرید: أجمع المسلمون کافة علی أن عذاب الکافر مؤبد لا ینقطع، واختلفوا فی أصحاب الکبائر من المسلمین، فالوعیدیة علی أنه کذلک، وذهبت الإمامیة وطائفة کثیرة من المعتزلة والأشاعرة إلی أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع لوجهین:

الأول: أنه یستحق الثواب بإیمانه لقوله تعالی: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ، والإیمان أعظم أفعال الخیر، فإذا استحق العقاب بالمعصیة فإما یقدم الثواب علی العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإیمان دائم علی ما تقدم، أو بالعکس وهو المراد، والجمع محال.

الثانی: یلزم أن یکون من عبد الله تعالی مدة عمره بأنواع القربات إلیه، ثم عصی فی آخر عمره معصیة واحدة مع بقاء إیمانه، مخلداً فی النار، کمن أشرک بالله مدة عمره! وذلک محال لقبحه عند العقلاء.

الکافی للحلبی/۴۸۱:

إن قیل: فإذا کان الوعید ثابتاً بکل معصیة ومن جملته صریح الخلود والتأبید، کیف یتم لکم ما تذهبون الیه من انقطاع عقاب بعض العصاة؟.

قیل: ثبوت الوعید علی کل معصیة لا ـ ینافی قولنا فی عصاة أهل القبلة، لأنا نقول بموجبه، وإنما نمنع من دوامه لغیر الکفار، وثبوته منقطعاً یجوز سقوطه بأحد ما ذکرناه، ولا ـ یمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن، من حیث کان الإجماع حاصلاً باستحقاق العقاب دون دوامه... وإنما یعلم به دوام عقاب الکفر.

الکافی للحلبی/۴۹۲:

وأهل النار من الأولین والآخرین ضربان: کفار مخلدون وإن زاد عقاب بعض علی بعض بحسب کفره، وفساق مقطوع علی خروجهم من النار بعفو مبتدأ، أو عند شفاعة، أو انتهاء عقابهم إلی غایة مستحقه، وحالهم فی مراتب التعذیب بحسب عصیانهم. ولا یجوز أن یبلغ عقابهم فی العظم عقاب الکفار، لإقتران ما استحقوا به العقاب من المعصیة بالمعرفة بالمعصی تعالی والخوف منه والرجاء لفضله، وتسویف التوبة، وانتفاء ذلک أجمع عن عصیان الکفار. ولا سبیل إلی العلم بمقدار إقامتهم فیها.

عدم خلود الموحدین فی النار فی مصادر السنیین

صحیح البخاری:۱/۱۹۵:

عن أبی هریرة: أن الناس قالوا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة؟ قال: هل تمارون فی القمر لیلة البدر لیس دونه سحاب؟ قالوا لا، یا رسول الله. قال: فهل تمارون فی الشمس لیس دونها سحاب؟ قالوا لا، قال: فإنکم ترونه کذلک. یحشر الناس یوم القیامة فیقول: من کان یعبد شیئاً فلیتبع، فمنهم من یتبع الشمس، ومنهم من یتبع القمر، ومنهم من یتبع الطواغیت. وتبقی هذه الأمة فیها منافقوها فیأتیهم الله عز وجل فیقول أنا ربکم! فیقولون: هذا مکاننا حتی یأتینا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فیأتیهم الله فیقول أنا ربکم، فیقولون: أنت ربنا! فیدعوهم فیضرب الصراط بین ظهرانی جهنم، فأکون أول من یجوز من الرسل بأمته، ولا یتکلم یومئذ أحد إلا الرسل، وکلام الرسل یومئذ: اللهم سلم سلم، وفی جهنم کلالیب مثل شوک السعدان، هل رأیتم شوک السعدان؟ قالوا نعم، قال: فإنها مثل شوک السعدان غیر أنه لا یعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من یوبق بعمله ومنهم من یخردل ثم ینجو، حتی إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائکة أن یخرجوا من کان یعبد الله فیخرجونهم ویعرفونهم بآثار السجود وحرم الله علی النار أن تأکل أثر السجود، فیخرجون من النار، فکل ابن آدم تأکله النار إلا أثر السجود، فیخرجون من النار قد امتحشوا، فیصب علیهم ماء الحیاة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل... ورواه البخاری أیضاً فی:۷/۲۰۵.

صحیح البخاری:۱/۱۶:

عن أنس عن النبی(ص)قال: یخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفی قلبه وزن شعیرة من خیر، ویخرج من النار من قال لا إله الا الله وفی قلبه وزن برة من خیر، ویخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفی قلبه وزن ذرة من خیر، قال أبو عبد الله قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبی (ص): من إیمان، مکان خیر.

صحیح البخاری:۷/۲۰۲:

عن جابر (رض) أن النبی(ص)قال: یخرج من النار بالشفاعة کأنهم الثعاریر! قلت: ما الثعاریر؟ قال الضغابیس! وکان قد سقط فمه فقلت لعمرو بن دینار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله یقول: سمعت النبی(ص)یقول: یخرج بالشفاعة من النار؟ قال: نعم.

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالک عن النبی (ص) قال: یخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع فیدخلون الجنة فیسمیهم أهل الجنة الجهنمیین...

عن أبی سعید الخدری (رض) أن النبی(ص)قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار یقول الله: من کان فی قلبه مثقال حبة من خردل من إیمان فأخرجوه، فیخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فیلقون فی نهر الحیاة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل، أو قال حمیة السیل، وقال النبی (ص): ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتویة.

وفی/۲۰۳:

عمران بن حصین (رض) عن النبی(ص)قال: یخرج قوم من النار بشفاعة محمد(ص)فیدخلون الجنة، یسمون الجهنمیین.

سنن النسائی:۲/۲۲۹:

عن الزهری، عن عطاء بن یزید قال: کنت جالساً إلی أبی هریرة وأبی سعید فحدث أحدهما حدیث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتی الملائکة فتشفع وتشفع الرسل، وذکر الصراط، قال قال رسول الله (ص): فأکون أول من یجیز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بین خلقه، وأخرج من النار من یرید أن یخرج أمر الله الملائکة والرسل أن تشفع، فیعرفون بعلاماتهم أن النار تأکل کل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فیصب علیهم من ماء الجنة فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل.

الدر المنثور:۳/۳۴۹:

أما قوله فمنهم شقی وسعید، فهم قوم من أهل الکبائر من أهل هذه القبلة یعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم، ثم یأذن فی الشفاعة لهم،

فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة، فسماهم أشقياء حين عذبهم فى النار. فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، حين أذن فى الشفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، وهم هم. وأما الذين سعدوا يعنى بعد الشقاء الذى كانوا فيه، ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، يعنى الذين كانوا فى النار.

الدر المنثور:۲/۲۸۰:

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ) الايتين: أخرج مسلم وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله(ص)قال: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة، قال يزيد بن الفقير: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها؟ قال: أتل أول الآية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ألا إنهم الذين كفروا.

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن طلق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكذيباً للشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبدالله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، قال: يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله(ص)منى؟! إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها، ثم أهوى بيده إلى أذنيه فقال: صمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله(ص)يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا، ونحن نقرأ كما قرأت.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أن نافع بن الازرق قال لابن عباس: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ فقال ابن عباس: ويحك إقرأ ما فوقها، هذه للكفار.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت عرشه فيه: رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلى أهل الجنة، مكتوب هاهنا منهم، وأشار إلى نحره عتقاء الله تعالى.

فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبدالله فإن الله يقول: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ قال: ويلك أولئك هم أهلها الذين هم أهلها.

الدر المنثور:۲/۱۱۱:

ابن جرير والحاكم عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت: وما هم بخارجين من النار؟ قال: أخبرنى رسول الله(ص)أنهم الكفار، قلت لجابر فقوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيته؟ قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار؟! وإن دون ذلك خزياً.

الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن أبى حاتم وابن شاهين فى السنة عن على بن أبى طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد... الخ. وقد تقدم ذلك فى روايات الرأى الثانى القائل بأن التوحيد وحده كاف لدخول الجنة، وأن الموحدين كلهم يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين، ويلاحظ كثرة روايات الجهنميين فى مصادر السنيين.

الإمام الصادق للشيخ محمد أبى زهرة/۲۲۷:

اتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم يخلد فى العذاب... وإن هذا الرأى... يتفق مع رأى الجمهور... وقد نسبه إليه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أبو جعفر القمى...

شرح مسلم للنووى:۱/۶۹:

لا یخلد فی النار أحد مات علی التوحید، وهذه قاعدة متفق علیها عند أهل السنة.

روایات فی الصحاح تقول بخلود الموحدین فی النار

ولکن توجد فی مصادر السنیین أحادیث تعارض الإجماع المذکور والأحادیث المتقدمة، وتنص علی خلود بعض الأصناف من أهل القبلة فی جهنم!

کالذی رواه النسائی فی:۴/۶۶:

عن أبی هریرة، عن النبی(ص)قال: من تردی من جبل فقتل نفسه فهو فی نار جهنم یتردی خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن تحسَّی سماً فقتل نفسه فسمه فی یده یتحساه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن قتل نفسه بحدیدة... کانت حدیدته فی یده یجأ بها فی بطنه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ورواه أحمد فی:۲/۲۵۴ وبعضه أبو داود فی:۲/۲۲۲.

وکالذی رواه الدارمی فی:۲/۲۶۶:

عن أبی أمامة أن رسول الله(ص)قال: من اقتطع حق امرئ مسلم بیمینه فقد أوجب الله له النار، وحرم علیه الجنة. فقال له رجل: وإن کان شیئاً یسیراً یا رسول الله! قال: وإن قضیبا من أراک!!

والذی رواه ابن ماجة فی:۲/۸۷۶ ح ۲۶۲۳:

عن أبی شریح الخزاعی قال: قال رسول الله (ص): من أصیب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخیار بین إحدی ثلاث، فإن أراد الرابعة فخذوا علی یدیه: أن یقتل، أو یعفو، أو یأخذ الدیة. فمن فعل شیئاً من ذلک فعاد، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. انتهی.

والذی رواه الطبرانی فی المعجم الکبیر:۸/۱۲:

عن ابن عباس: ومن یقتل مؤمناً متعمداً قال: لیس لقاتل توبة ما نسختها آیة!

وقال النیسابوری فی الوسیط:۲/۹۶: وقوله: فجزاؤه جهنم خالداً فیها..إلی آخر الآیة، وعیدٌ شدیدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفک دمه، وقد وردت فی قتل المؤمن أخبار شداد، فإن ابن عباس سأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال ابن عباس: جزاؤه جهنم خالداً فیها، قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً؟ فقال ابن عباس: وأَنَّی له التوبة، وقد سمعت نبیکم یقول: ویحٌ له قاتل المؤمن...

عن القاسم بن أبی بزة أنه سأل سعیداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال لا... وعن حمید عن أنس عن النبی قال: إن الله أبی أن یجعل لقاتل المؤمن توبة... وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: والذی نفسی بیده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنیا...

ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلًا سأله: ألقاتل المؤمن توبة؟ فقلت لک توبة، لکی لا یلقی بیده إلی التهلکة. انتهی.

ولکن هذه الروایة التی استندوا علیها عن ابن عباس تؤکد عدم قبول توبته، ولا تدل علیها! فلا بد لهم من طرح روایات خلود قاتل المسلم فی النار وأمثالها، والقول بأن روایاته تشدیدٌ من الرواة لتخویف القاتل فی مجتمع کان یستسهل القتل!

وقد حاول النووی تأویلها فقال فی شرح مسلم:۹ جزء ۱۷/۸۳:

وأما قوله تعالی: وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا، فالصواب فی معناها أن جزاؤه جهنم، وقد یجازی به وقد یجازی بغیره، وقد لا یجازی بل یعفی عنه، فإن قتل عمداً مستحلًا له بغیر حق ولا تأویل فهو کافر مرتد، یخلد به فی جهنم بالإجماع... ثم أخبر أنه لا یخلد من مات موحداً فیها، فلا یخلد هذا ولکن قد یعفی عنه فلا یدخل النار أصلًا... انتهی.

وقد تضمنت محاولة النووی عدة وجوه ضعیفة، أقواها: القول بأن القاتل عمداً یخرج بقتله عن التوحید فیجری علیه حکم المشرک فی

الآخرة.

ونحن نعتقد بصحة الأحاديث التى تقول إن بعض الأعمال توجب سلب التوحيد من صاحبها قبل الموت، فلا يموت على التوحيد كما سيأتى، ولكن ذلك يحتاج فى موردنا إلى دليل.

ما دل من مصادرنا لى أن الدار الآخرة لا موت فيه

بحار الأنوار:۸/۳۴۹:

الكافى: على، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وساق الحديث فى مراتب خلق الأشياء يغلب كل واحد منها الآخر حيث بغى وفخر، إلى أن قال: ثم إن الإنسان طغى وقال: من أشد منى قوة؟ فخلق الله له الموت وقهره وذل الإنسان، ثم إن الموت فخر فى نفسه، فقال الله عز وجل لا تفخر فإنى ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أحييك أبداً فترجى أو تخاف.. الحديث.

تذنيب: إعلم أن خلود أهل الجنة فى الجنة مما أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفار فى النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة فى الجنة وخلود الكفار فى النار.

فإن قيل: القوى الجسمانية متناهية، فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة التى هى مادة الحياة تفنى بالحرارة سيما حرارة نار جهنم، فيفضى إلى الفناء ضرورة، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل!

قلنا: هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند المليين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار، على تقدير تناهى القوى وزوال الحياة، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

تفسير القمى:۲/۵۰:

وقال على بن إبراهيم فى قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.، فإنه حدثنى أبى، عن الحسن بن محبوب، عن أبى ولاد الحناط، عن أبى عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ؟ قال: ينادى مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار: يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت فى صورة من الصور؟ فيقولون لا، فيؤتى بالموت فى صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. وهو قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ. أى قضى على أهل الجنة بالخلود، وعلى أهل النار بالخلود فيها.

ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيه

صحيح البخارى:۷/۲۰۰:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. ورواه أحمد فى: ۲/۱۱۸ وص ۱۲۰ وص ۱۲۱.

وفى مسند أحمد:۲/۱۳۰:

عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله(ص)قال: يدخل أهل الجنة الجنة، قال أبى وحدثناه سعد قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه الترمذى فى:۴/۹۵.

وفی الدر المنثور:۴/۲۷۲:

وأخرج ابن أبی حاتم وابن مردویه عن ابن مسعود (رض) فی قوله: وأنذرهم یوم الحسرة إذ قضی الأمر، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار یأتی الموت فی صورة کبش أملح حتی یوقف بین الجنة والنار، ثم ینادی منادی أهل الجنة: هذا الموت الذی کان یمیت الناس فی الدنیا، ولا یبقی أحد فی علیین ولا فی أسفل درجة من الجنة إلا نظر إلیه، ثم ینادی یا أهل النار هذا الموت الذی کان یمیت الذی فی الدنیا، فلا یبقی أحد فی ضحضاح من النار ولا فی أسفل درک من جهنم إلا نظر إلیه، ثم یذبح بین الجنة والنار، ثم ینادی یا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدین، ویا أهل النار هو الخلود أبد الآبدین، فیفرح أهل الجنة فرحة لو کان أحد میتاً من فرحة ماتوا، ویشهق أهل النار شهقة لو کان أحد میتاً من شهقة ماتوا، فذلک قوله: وأنذرهم یوم الحسرة إذ قضی الأمر، یقول إذا ذبح الموت.

وقال الرازی فی تفسیره:۱۳ جزء ۲۶/۱۳۹:

إن أهل الجنة لا یعلمون فی أول دخولهم فی الجنة أنهم لا یموتون، فإذا جی بالموت علی صورة کبش أملح وذبح، فعند ذلک یعلمون أنهم لا یموتون.

وقال فی الأحادیث القدسیة:۱/۱۶۰:

شرح حدیث ذبح الموت وأنه یؤتی بالموت یوم القیامة فیوقف علی الصراط.. الخ. وإنه لا مانع عقلاً من أن یخلق الله تعالی الموت علی صوررة حیوان ویوقف ویذبح... ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله، ولا نبحث عن کیفیة تحقیقه.انتهی.

عودة إلی رأی عمر بفناء النار

فی هذا الجو من آیات الخلود فی النار وإجماع المسلمین علی خلود الجنة والنار.. نری الخلیفة عمر من دون الصحابة یخالف المتفق علیه بین الجمیع ویقول بفناء النار وانتهائها، ونقل أهلها إلی الجنة!!

وقد أخذ الخلیفة ذلک من بعض أحبار الیهود الذین کان یثق بعلمهم، لأن من مقولاتهم أن الله تعالی وعد یعقوب بأن لا یدخل أبناءه إلی النار إلا تحلة القسم، وأن النار أساساً عمرها قصیر ثم تنتهی وتهلک!!

وقد تقدم عنهم ذلک فی تفسیر قوله تعالی (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً) فی فصل الشفاعة عند الیهود!!

ونظراً لغرابة هذا الرأی حاول البعض التشکیک فی نسبته إلی الخلیفة عمر، ولکنه ثابت عنه عند المحدثین والمؤرخین والمتکلمین کما تقدم ویأتی! وأکثر أتباع الخلیفة لا یعرفون رأیه هذا، فبعضهم ینکره.. وبعضهم (یستحی) به.. ولکن بعضهم تجرأ وکتب رداً علیه!

قال فی مقدمة فتح القدیر:۱/۹:

للشوکانی مؤلفات، منها کتاب نیل الأوطار شرح منتقی الأخبار... وکشف الأستار فی إبطال القول بفناء النار. انتهی.

وأکثر المتحمسین لتأیید رأی عمر ابن قیم الجوزیة فی رسالته حادی الأرواح تبعاً لأستاذه ابن تیمیة. ومن المتأخرین الشیخ محمد رشید رضا فی تفسیر المنار:۸/۶۸

حیث أورد فی کتابه رسالة ابن قیم کاملة، وهی تبلغ نحو خمسین صفحة، ولم یأت صاحب المنار بجدید سوی المدح والغلو فی ابن قیم.. لأنه مفکر إسلامی نابغة استطاع أن یحل المشکلة ویثبت رأی الخلیفة بخمس وعشرین دلیلاً!

وتدور رسالة ابن قیم علی محور واحد هو أن النار تفنی کما یخرب السجن فلا یبقی محل لأهلها إلا أن ینقلوا إلی الجنة، وهو کلامٌ لم یقله عمر!!

قال ابن قیم وهو یعدد الأقوال فی الخلود فی جهنم:

السابع: قول من یقول بل یفنیها ربها وخالقها تبارک وتعالی، فإنه جعل لها أمداً تنتهی إلیه، ثم تفنی ویزول عذابها.

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال قال عمر: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه. ذكر ذلك فى تفسير ثابت عند قوله تعالى (لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداولُ هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوابذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبى (ص) (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا) وقوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه. لكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب). انتهى.

وقد استدل ابن قيم على رأى الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً! لا نطيل الكلام بسردها وردها، لأنها ماعدا واحد منها وجوه خطابية استحسانية، وليست علمية، ويكفى فى جوابها جميعاً أنها لا تنهض بمعارضة الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار فى النار، ولا على معارضة الإجماع الذى تقدم من الفريقين!

أما الوجه الذى يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم:

فصل. والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، لا يختلفون فيه، وأن الإختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أى مقيماً لازماً.. قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطریق السادس: أن العقل یقضی بخلود الکفار فی النار. وهذا مبنی علی قاعدة وهی أن المعاد وثواب النفوس المطیعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما یعلم بالعقل أو لا یعلم إلا بالسمع فیه طریقتان لنظار المسلمین، وکثیر منهم یذهب إلی أن ذلک یعلم بالعقل مع السمع کما دل علیه القرآن فی غیر موضع کإنکاره سبحانه علی من زعم أنه یسوی بین الأبرار والفجار فی المحیا والممات، وعلی من زعم أنه خلق خلقه عبثا وأنهم إلیه لا یرجعون وأنه یترکهم سدی أی لا یثیبهم ولا یعاقبهم، وذلک یقدح فی حکمته وکماله وأنه نسبة إلی ما لا یلیق به. وربما قرروه بأن النفوس البشریة باقیة واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت علیها لما رأت العذاب فلم تندم علیها لقبحها أو کراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت کما کانت أولاً قال تعالی (وَلَوْ تَرَی إِذْ وُقِفُوا عَلَی النَّارِ فَقَالُوا یَا لَیْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُکَذِّبَ بِآیَاتِ رَبِّنَا وَنَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا کَانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَکَاذِبُونَ) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم یزل سببه ومقتضیه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم یفارقها بحیث لو ردوا لعادوا کفاراً کما کانوا، وهذا یدل علی أن دوام تعذیبهم یقضی به العقل کما جاء به السمع.انتهی.

ثم قال ابن قیم:

قال أصحاب الفناء علی هذه الطرق یبین الصواب فی هذه المسألة:

فأما الطریق الأول فالإجماع الذی ادعیتموه غیر معلوم وإنما یظن الإجماع فی هذه المسألة من لم یعرف النزاع وقد عرف النزاع بها قدیماً وحدیثاً، بل لو کلف مدعی الإجماع أن ینقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلی الواحد أنه قال إن النار لا تفنی أبداً لم یجد إلی ذلک سبیلاً، ونحن قد نقلنا عنهم التصریح بخلاف ذلک، فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلک، بل التابعون حکوا عنهم هذا وهذا، قالوا والإجماع المعتد به نوعان متفق علیهما ونوع ثالث مختلف فیه، ولم یوجد واحد منها فی هذه المسألة:

النوع الأول ما یکون معلوماً من ضرورة الدین کوجوب أرکان الإسلام وتحریم المحرمات الظاهرة.

الثانی ما ینقل عن أهل الإجتهاد التصریح بحکمه.

الثالث أن یقول بعضهم القول وینشر فی الأمة ولا ینکره أحد. فأین معکم واحد من هذه الانواع، ولو أن قائلاً ادعی الإجماع من هذه الطریق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ینکر أحد منهم علیه، لکان أسعد بالإجماع منکم!

قالوا: وأما الطریق الثانی وهو دلالة القرآن علی بقاء النار وعدم فنائها، فأین فی القرآن دلیل واحد یدل علی ذلک، نعم الذی دل علیه القرآن أن الکفار خالدون فی النار أبداً، وأنهم غیر خارجین منها، وأنه لا یفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا یموتون فیها، وأن عذابهم فیها مقیم، وأنه غرام أی لازم لهم. وهذا کله مما لا نزاع فیه بین الصحابة والتابعین وأئمة المسلمین، ولیس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع فی أمر آخر (!!) وهو أنه هل النار أبدیة أو مما کتب علیه الفناء؟ وأما کون الکفار لا یخرجون منها، ولا یفتر عنهم من عذابها، ولا یقضی علیهم فیموتوا، ولا یدخلون الجنة حتی یلج الجمل فی سم الخیاط، فلم یختلف فی ذلک الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة. وإنما خالف فی ذلک من قد حکینا أقوالهم من الیهود (!!) والاتحادیة وبعض أهل البدع، وهذه النصوص وأمثالها تقتضی خلودهم فی دار العذاب مادامت باقیة ولا یخرجون منها مع بقائها البتة کما یخرج أهل التوحید منها مع بقائها، فالفرق کالفرق بین من یخرج من الحبس وهو حبس علی حاله، وبین من یبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطریق الثالث وهو مجی السنة المستفیضة بخروج أهل الکبائر من النار دون أهل الشرک، فهی حق لا شک فیه، وهی إنما تدل علی ما قلناه من خروج الموحدین منها وهی دار عذاب لم تفن، ویبقی المشرکون فیها ما دامت باقیة. والنصوص دلت علی هذا وعلی هذا.

قالوا: وأما الطریق الرابع وهو أن رسول الله(ص)وقفنا علی ذلک ضرورة، فلا ریب أنه من المعلوم من دینه بالضرورة أن الکفار باقون فیها ما دامت باقیة، هذا معلوم من دینه بالضرورة، وأما کونها أبدیة لا انتهاء لها ولا تفنی کالجنة فأین فی القرآن والسنة دلیل واحد یدل علی ذلک!! انتهی.

وقد ذكر فى ۷۹: قول أهل السنة (إن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم...) انتهى.

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والإتحادية من الوثنيين والماديين، ثم قام بتغيير موضوع النزاع فى المسألة، لكى يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود فى النار وبين قول عمر بفنائها، وعمدة ماقاله: إنه لا مانع أن نقول خالدين فيها إذا لم تخرب، كما نقول مؤبدٌ فى السجن مادام السجن موجوداً ولم يخرب. يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون إلى الجنة بسبب خرابها!

ولو سلمنا هذا المنطق فى المسألة، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم؟!

يكفى لرد ذلك أنه لو كان له أصلٌ فى الإسلام لكثرت فيه الآيات والأحاديث!

ولو كان له أصلٌ لاحتج به الخليفة، وذكر ولو كلمةً عن فناء النار، وما اقتصر على رمل عالج!!

إن فذلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع، ولا أن تقلب معانى ألفاظ اللغة فتلغى معنى الدوام والتأبيد والخلود وتجعلها كلها لزمن محدود ينتهى.

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال: ليس فى اللغة العربية كلمة للوقت الممتد بلا انقطاع! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم: إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فبماذا تعبرون؟ فلابد أنهم سيستعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأبيد والخلود..وهى المواد التى استعملها القرآن والحديث!!

الجهمية أخذت من الخليفة عمر

قال الأشعرى فى مقالات الإسلاميين/۱۴۸:

واختلفت المرجئة فى تخليد الله الكفار... فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان: الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما... وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار!!

وفى/۲۷۹:

والذى تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان!

تأويلات أهل السنة/۷۵-۷۶:

الرد على الجهمية فى قولهم بفناء الجنة وما فيها، وقوله وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى مقيمون أبداً، فالآية ترد على الجهمية قولهم لأنهم يقولون بفناء الجنة... لكن ذلك وهمٌ عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته.. والباقى بذاته، والجنة وما فيها باقية بغيرها. إن الله تعالى جعل الجنة داراً مطهرة عن المعايب كلها.. ولو كان آخرها للفناء لكان فيها أعظم المعايب إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نقص عليه بزواله. فلو كان آخره للزوال كانت نعمته منغصه على أهلها...

تأويلات أهل السنة/۱۲۱:

الرد على الجهمية فى قولهم بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، تنقض على الجهمية قولهم... فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزنٌ لأن من خاف فى الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه.. فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها، خوف التبعة ولا حزن فوات النعمة، ولا هم يحزنون، دل على أنها باقية وأن نعيمها دائم لا يزول، وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار فى النار خالدون.

والمرجئة أخذوا من عمر

تاريخ الإسلام للذهبى:۱۳/۱۶۰:

وكان أبو المطيع فيما نقل الخطيب من رؤوس المرجئة.. وذكروا عنه أنه كان يقول: الجنة والنار خلقتا وستفنيان، وهذا كلام جهم.

و ابن العاص أخذ من عمر

فتح القدير للشوكانى:۲/۶۵۸:

عن ابن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال صاحب الكشاف: ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما علياً ما يشغله عن تسيير هذا الحديث! انتهى.

ويقصد الزمخشرى أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوى هذا الحديث لا يوثق به، لأنه كان مبغضاً لعلى عليه السلام وقد قاتله فى صفين بسيفين، وكان الأولى به أن يكتفى بفعلته تلك ولا ينقل مثل هذه الأحاديث الخارجة عن إجماع المسلمين!

قال فى هامش اختيار معرفة الرجال:۱/۱۵۷: وقال فى الكشاف: وماظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون أحقابا. وبلغنى أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون فى النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبهاً على أن نغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها، وأقول: أما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبى طالب (رض) ما يشغله عن تسيير هذا الحديث. انتهى قول الكشاف.

و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

الدر المنثور:۳/۳۵۰:

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما فى القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ قال وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها.

وفى تفسير التبيان:۶/۶۸ وروى عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً.

و الشعبى أخذ من عمر

تفسير التبيان:۶/۶۸:

وقال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً.

ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبى أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها إلى الجنة! وهذا هو موضوع كلام عمر، لا ماادعاه ابن قيم!

و المعتزلة أخذت من عمر

الملل والنحل للشهرستانى ـ هامش الفصل:۱/۶۴:

الخامسة: قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار.

و الجاحظ أخذ من عمر

الملل والنحل ـ هامش الفصل:۱ جزء ۱/۹۵:

أقوال الجاحظ التی انفرد بها عن أصحابه..منها: قوله فی أهل النار إنهم لا یخلدون فیها عذاباً، بل یصیرون إلی طبیعة النار.

و ابن عربی والجیلی أخذا من عمر

قال فی تفسیر المنار:۸/۷۰:

ویدخل فیه أنها تفنی کما تقول الجهمیة، أو تتحول إلی نعیم کما قال الشیخ محیی الدین بن العربی وعبد الکریم الجیلی من الصوفیة.

اما عمر فقد أخذ من کعب الأحبار والیهود

سیرة ابن هشام:۲/۳۸۰:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ

قال ابن إسحاق: وحدثنی مولی لزید بن ثابت عن عکرمة أو عن سعید ابن جبیر عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدینة والیهود تقول: إنما مدة الدنیا سبعة آلاف سنة، وإنما یعذب الله الناس فی النار بکل ألف سنة من أیام الدنیا یوماً واحداً فی النار من أیام الآخرة، وإنما هی سبعة أیام ثم ینقطع العذاب!!

فأنزل الله فی ذلک من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ، أی من عمل بمثل أعمالکم وکفر بمثل ما کفرتم به حتی یحیط کفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. أی خلداً أبداً. وَالَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِکَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ أی من آمن بما کفرتم به وعمل بما ترکتم من دینه فلهم الجنة خالدین فیها، یخبرهم أن الثواب بالخیر والشر مقیم علی أهله أبداً، ولا انقطاع له.

الدر المنثور:۱/۸۴:

قوله تعالی: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآیة. أخرج ابن إسحق وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم والطبرانی والواحدی عن ابن عباس أن الیهود کانوا یقولون مدة الدنیا سبعة آلاف سنة... الخ. ورواه فی مجمع الزوائد: ۶/۳۱۴.

تفسیر التبیان:۱/۳۲۳:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم یبین عددها فی التنزیل، لأنه تعالی أخبر عنهم بذلک وهم عارفون بعدد الایام التی یوقتونها فی النار، فلذلک نزل تسمیة عدد الایام وسماها معدودة لما وصفنا.

وقال أبو العالیة وعکرمة والسدی وقتادة: هی أربعون یوماً. ورواه الضحاک عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الایام التی عبدوا فیها العجل.

وقال ابن عباس: إن الیهود تزعم أنهم وجدوا فی التوراة مکتوباً إن ما بین طرفی جهنم مسیرة أربعین سنة، وهم یقطعون مسیرة کل سنة فی یوم واحد، فإذا انقطع المسیر انقطع العذاب، وهلکت النار!!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۸۵:

وأخرج ابن مردویه عن عبد الرحمن بن میمون أن کعباً دخل یوماً علی عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنی إلی ما تنتهی شفاعة محمد یوم القیامة؟ فقال کعب قد أخبرک الله فی القرآن إن الله یقول: ما سلککم فی سقر... إلی قوله الیقین قال کعب: فیشفع یومئذ

حتی یبلغ من لم یصل صلاة قط، ویطعم مسکیناً قط، ومن لم یؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم یبق أحد فیه خیر! انتهی.

وقد ذکرنا أن کلام کعب هذا یحتل وجهین لأن قوله: حتی یبلغ، وقوله فإذا بلغت، قد یقصد بهما أن الشفاعة تبلغ هؤلاء المکذبین بیوم الدین الذین لم یفعلوا خیراً قط! فلا یبقی أحد فی النار وتنتهی. وقد یقصد بهما أن الشفاعة تقف عند هؤلاء فیکون کلامه توسیعاً لها لکل المؤمنین بالبعث من غیر المسلمین!

ولایبعد أن یکون هدف کعب القول بدخول الجمیع الجنة وفناء النار، لأن ذلک من مقولات الیهود کما رأیت! ویکون قصده أن سؤال أهل الیمین للمجرمین: ماسلککم فی سقر؟ إنما هو مقدمةٌ لاخراجهم من النار.. وبشفاعة نبینا صلی الله علیه وآله!!

وقد یتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخلیفة عمر بأنه أخذ هذه العقیدة من کعب الأحبار، ولکن الذی یقرأ احترام عمر لاحبار الیهود والنصاری ولکعب الأحبار خاصة حتی قبل إسلام کعب.. لا یستبعد ذلک بل یطمئن الیه، ویحسن مراجعة ما کتبناه فی ذلک موثقاً فی کتاب تدوین القرآن، وأن الخلیفة عمر کان یدرس عند الیهود فی المدینة فی حیاة النبی صلی الله علیه وآله وأن النبی نهاه عن ذلک ولم یمتثل! ونذکر هنا بعض النصوص التی تکشف ثقته العالیة بکعب، والمقام العظیم الذی یحتله کعب فی ذهنه وعواطفه!

عمر ینظر إلی کعب کأنه نبی و یتلقی منه

یلاحظ الباحث تعاملاً فریداً للخلیفة عمر مع کعب الأحبار، وأنه کان یحترمه أکثر من کل صحابة رسول الله صلی الله علیه وآله ویفضله علیهم علمیاً وسیاسیاً، ویسأله عن عوالم الغیب والشهادة والأنبیاء والجنة والنار وتفسیر القرآن، وعن مستقبل الأمة ومستقبله الشخصی ویثق به ثقةً مطلقة ویقبل منه.. شبیهاً بتعامل الصحابی المؤمن مع نبیه الذی ینزل علیه الوحی!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۳/۶:

وأخرج ابن جریر عن أبی المخارق زهیر بن سالم قال قال عمر لکعب: ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه؟ فقال کعب: کتب الله کتاباً لم یکتبه قلم ولا مداد،ولکن کتب بإصبعه یتلوها الزبرجد واللؤلؤ والیاقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتی غضبی!!

وقال أحمد فی مسنده:۱/۴۲:

قال عمر یعنی لکعب: إنی أسألک عن أمر فلا تکتمنی، قال: والله لا أکتمک شیئاً أعلمه قال: ما أخوف شئ تخوفه علی أمة محمد؟ قال أئمة مضلین. قال عمر: صدقت قد أسرَّ ذلک الیَّ وأعلمنیه رسول الله(ص). ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۳۹ وقال: رجاله ثقات.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۵۷:

عن الحسن البصری أن عمر قال لکعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فی الجنة لا یدخله إلا نبی أو صدیق أو شهید أو حاکم عدل.

وقال فی:۵/۳۴۷:

عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب (رض) قال: یا کعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فی الجنة یسکنها النبیون والصدیقون وأئمة العدل.

وقال فی کنز العمال:۱۲/۵۶۰:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثنی یا کعب عن جنات عدن. قال: نعم یا أمیر المؤمنین قصور فی الجنة لا یسکنها إلا نبی أو صدیق أو شهید أو حکم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاهلها، وأما الصدیقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما الحکم العدل فإنی أرجو الله أن لا أحکم بشئ إلا لم آل فیه عدلاً، وأما الشهادة فأنّی لعمر بالشهادة؟!-ابن المبارک وأبو ذر الهروی فی الجامع.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۵۷:

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن (رض) أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد (رض) قال: قرأ عمر (رض) على المنبر جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد!

وقال فى الدر المنثور:۵/۳۴۷:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة (رض)... فى قوله: وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ قال إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

معجم ما استعجم:۲/۷۴:

الحثمة: بفتح أوله وإسكان ثانية: صخرات بأسفل مكة بها ربع عمر بن الخطاب. روى عنه مجاهد أنه قرأ على المنبر: جنات عدن فقال: أيها الناس أتدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخله إلا نبى، وهنيئاً لصاحب القبر وأشار إلى النبى(ص)، أو صديق وهنيئاً لأبى بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة وإن الذى أخرجنى من منزلى بالحثمة قادر أن يسوقها إلى!! انتهى.

وفى هذه الرواية دلالة على أن كعباً استطاع أن يقنع عمر أن مقصوده بالنبى والصديق والشهيد الذين يسكنون عدن: رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر وعمر، وأن كعباً كان من المخططين لقتله!

وقال فى الدر المنثور:۵/۳۰۶:

قوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ الآية. أخرج الثعلبى من طريق العوام بن حوشب قال حدثنى رجل من قومى شهد عمر (رض) أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ماالخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ما ندرى، فقال سلمان (رض): الخليفة الذى يعدل فى الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضى بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيرى!

وفى كنز العمال:۱۲/۵۶۷:

عن طبقات ابن سعد: عن سفيان بن أبى العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، قال ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا فى حق، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطى هذا، فسكت عمر (ابن سعد).

وقال فى كنز العمال:۱۲/۵۷۳:

عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب أتجدنى خليفة أم ملكاً؟ قال بل خليفة، فاستحلفه فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان-نعيم بن حماد فى الفتن.

الدر المنثور:۴/۲۹۳:

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالاخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن! انتهى.

كنز العمال:۲/۴۸۸:

عن عمر قال: ذكر النبى(ص)يوم القيامة فعظم شأنه وشدته، قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام: مرَّ بين يدى، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضنى خطيئتى، فيقول: مرِّ خلفى، فيقول: يا رب أخاف أن تدحضنى خطيئتى فيقول: خذ بقدمى! فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر!! قال فتلك الزلفى التى قال الله تعالى: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ! ورواه السيوطى فى الدر المنثور: ۵/۳۰۵ عن ابن مردويه.

الدر المنثور:۵/۲۹۷:

وأخرج الديلمى عن عمر (رض) قال: قال رسول الله (ص): لا ينبغى لأحد أن يقول إنى أعبد من داود!

الدر المنثور:۵/۳۰۵:

وأخرج عبد بن حميد، عن السدى بن يحيى، قال حدثنى أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب: إن الناس يصيبهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادى المنادى داود فيسقى على رؤس العالمين، فهو الذى ذكر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ! انتهى.

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود عليه السلام من مقولات اليهود وكعب الأحبار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وآله!!

كنز العمال:۱۴/۱۴۶:

عن سعيد بن المسيب قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب فى إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمنى فلما تجهز جاءه فقال له عمر: إجعلها عمرة!

مجمع الزوائد:۹/۶۵:

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأحبار فقال: يا كعب كيف تجد نعتى؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة.

تاريخ الطبرى:۱/۴۵۹:

عن أشعث عن سالم النصرى قال: بينما عمر بن الخطاب يصلى ويهوديان خلفه، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال فلما انفتل عمر قال: أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو؟ فقالا: إنا نجد فى كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله!!

فقال عمر: مانجد فى كتابنا حزقيل، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم! فقالا: أما تجد فى كتاب الله: ورسلاً لم نقصصهم عليك؟ فقال عمر: بلى، قالا: وأما إحياء الموتى فسنحدثك إن بنى اسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطاً حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال: ما شاء الله، فبعثهم الله له فأنزل الله فى ذلك: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. انتهى.

والأخوى: الذى لا يستطيع أن يركع أو يسجد بشكل طبيعى إلا بفتح قدميه ونحوه.. والرواية تدل على اهتمام اليهود بإيمان عمر بثقافتهم، ومحاولتهم التزلف إليه بادعاء أن شخصيته مذكورة فى كتبهم، وأنه نبى يحيى الموتى مثل حزقيل!

تاريخ المدينة لابن شبة:۳/۱۱۰:

لما قدم عمر (رض) من مكة فى آخر حجة حجها أتاه كعب فقال: يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت فى عامك! قال عمر (رض)وما يدريك يا كعب؟ قال: وجدته فى كتاب الله! فقال: أنشدك الله يا كعب هل وجدتنى باسمى ونسبى عمر بن الخطاب؟ قال: اللهم لا، ولكنى وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك!

ورواه فى:۳/۸۸ وزاد فيه: فلما أصبح الغد غدا عليه كعب فقال عمر (رض): يا كعب، فقال كعب: بقيت ليلتان، فلما أصبح الغد غدا عليه كعب-قال عبدالعزيز: فأخبرنى عاصم بن عمر بن عبيد الله بن عمر قال: قال عمر (رض):

يواعدنى كعب ثلاثاً يعدُّها ولا شك أن القول ما قاله كعبُ

وما بى لقاء الموت إنى لميتٌ ولكنما فى الذنب يتبعه الذنبُ

فلما طعن عمر (رض) دخل عليه كعب فقال: ألم أنهك؟!

قال: بلى، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً!! انتهى.

ولا يتسع المجال للرد على أفكار كعب التى تضمنتها رواياته، وقد أوردنا عدداً منها فى سبب نشأة التجسيم فى المجلد الثانى.

والواقع أن كعب الأحبار من أكبر المصائب فى مصادر إخواننا السنيين، حيث تجده مقيماً فيها، كامناً فى المواقع الحساسة من أصول العقيدة والشريعة! وهذا أمر يحتاج إلى معالجات جريئة من علمائهم!

ولكن لابد من الإلفات هنا إلى أن النصوص المتقدمة تدل بما لايقبل الريب على أن كعباً كان شريكاً فى مؤامرة قتل عمر!

ولكن إخواننا السنيين ما زالوا يبرئون كعباً ويثقون به، كما برَّأَ المسيحيون اليهود من دم المسيح!

كما نشير إلى أن كعباً أخطأ فى تفسير أول سورة الحديد، لأنه فسر (هو) بعلمه!! ولكن الخليفة عمر يقبل منه كل مايقوله، بل يحدث به المسلمين على المنبر!

شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين

شفاعة اثنين لصاحب الجنازة

ليس من السهل أن نعترض على الأحاديث التى تحكم على نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار.. لأن الخير والشر فى داخل الإنسان عالمٌ معقد، وما يظهر للعيان لا يجب أن يكون دائماً هو الحقيقة! فرب عمل صغير نقوم به يكون فى حساب الثواب والعقاب الإلهى كبيراً، وبالعكس.. ورب ظرف يجعل العمل السى حسناً وبالعكس!

وبسبب هذه السعة والتعقيد فى أعمال الناس وظروفها، لابد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها.

ولكنا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإلهى أو عدم إمكانه..ومن هذه اليقينيات: لو أن شخصاً قاتلاً ظالماً جامعاً للصفات الشريرة، توفى وحملوا جنازته، فمر بها شخصان مسلمان فقالا:

كان مؤمناً تقياً، لأنهما جاهلان بحاله أو متعمدان، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإلهية!

لكن توجد (أحاديث) فى مصادر السنيين تقول: إن مجرد شهادة إثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار!!

فكأن الشهادة على الجنازة فى منطق هذه الأحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها، أو ختم نهائى لا يقبل الله تعالى غيره!!

لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية، ولكنه مهما كان مصدره، ليس منطقاً إسلامياً! لأن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شاؤوا ويهلكوا الحرث والنسل، ثم يوصى أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة!

والأخطر من ذلك أن الإنسان المؤمن الطيب الأمين المستقيم مهما عمل من خير فى حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً، فيدخلانه النار!

ولو كانت هذه المقولة توجد فى مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأمر أسهل، ولكنها توجد فى مصادر الدرجة الأولى مع الأسف، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبى صلى الله عليه وآله الأمر الذى يتطلب من فقهائهم جرأةً فى معالجتها:

روى البخارى فى صحيحه:۲/۱۰۰:

عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبى (ص): وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب (رض): ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض.

ورواه فى:۳/۱۴۸ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله فى الأرض). ورواه مسلم فى صحيحه:۳/۵۳ وقد كرر فيه كلمة: وجبت وأنتم شهداء الله ثلاث مرات. ورواه النسائى:۴/۵۰ ورواه الترمذى:۲/۲۶۱ وقال (وفى الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبى هريرة. قال

أبو عیسی: حدیث أنس حدیث حسن صحیح).

ورواه ابن ماجة فی:۱/۴۷۸ وفیه (فقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله فی الأرض). وفی هامشه (ویوافقه حدیث عمر رواه الترمذی والنسائی وإسناد ابن ماجة صحیح ورجاله رجال الصحیحین).

ورواه أبو داود فی:۲/۸۶ وفیه (إن بعضکم علی بعض شهداء).

ورواه أحمد فی ج۳ ص۱۷۹ وج۲ ص۲۶۱ وص۴۹۸ وص۵۲۸ وج۲ ص۴۶۶ وص۴۷۰ وفیه (بعضکم شهداء علی بعض) وج۳ ص۱۸۶ وکرر فیه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم. وفی روایة أخری (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله فی الأرض) وفی ج۳/۱۹۷ وص ۲۱۱ وص ۲۴۵ وص ۲۸۱.

ورواه البیهقی فی سننه ج۴ ص۷۵ وج ۱۰/۱۲۳ وص ۲۰۹.

وقال البخاری فی صحیحه:۲/۱۰۰:

عن أبی الأسود قال: قدمت المدینة وقد وقع بها مرض فجلست إلی عمر بن الخطاب (رض) فمرت بهم جنازة فأثنی علی صاحبها خیراً فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بأخری فأثنی علی صاحبها خیراً، فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بالثالثة فأثنی علی صاحبها شراً، فقال: وجبت. فقال أبو الأسود فقلت: وما وجبت یا أمیر المؤمنین؟ قال: قلت کما قال النبی (ص): أیما مسلم شهد له أربعة بخیر أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة. فقلنا واثنان قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد!

ورواه البخاری أیضاً فی:۳/۱۴۹ والنسائی فی:۴/۵۱ وفیه:

(فقلت وما وجبت یا أمیر المؤمنین؟ قال: قلت کما قال رسول الله (ص): أیما مسلم شهد له أربعة قالوا خیراً أدخله الله الجنة. قلنا: أو ثلاثة؟ قال: أو ثلاثة. قلنا: أو اثنان؟ قال: أو اثنان.

ورواه الترمذی فی:۲/۲۶۱ وقال (قال أبو عیسی: هذا حدیث حسن صحیح وأبو الاسود الدؤلی اسمه ظالم بن عمر بن سفیان).

ورواه أحمد فی:۱/۲۱ وص ۲۲ وص۲۷ وص ۳۰ وص ۴۵ وص ۴۶، والبیهقی فی سننه: ۱۰/۱۲۴.

إلی هنا تجد أن هذه المقولة بمقاییس إخواننا السنیین تامة السند والدلالة.. ولکن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها:

المؤشر الأول: أن الإمام أحمد روی أن بعض الذین سمعوا الحدیث من الخلیفة عمر شککوا فیه لغرابته عن منطق النبی صلی الله علیه وآله وظنوا أنه رأیٌ من عمر لا من قول النبی صلی الله علیه وآله فأکد له عمر أن النبی هو الذی قال ذلک!

قال أحمد فی:۱/۵۴:

حدثنا عبد الله حدثنی أبی ثنا وکیع ثنا عمر بن الولید الشنی عن عبد الله بن بریدة قال: جلس عمر (رض) مجلساً کان رسول الله(ص)یجلسه، فمر علیه الجنائز، قال فمروا بجنازة فأثنوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فأثنوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا هذا کان أکذب الناس، فقال: إن أکذب الناس أکذبهم علی الله، ثم الذین یلونهم من کذب علی روحه فی جسده، قال قالوا: أرأیت إذا شهد أربعة؟ قال: وجبت. قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال وجبت. قالوا: واثنین؟ قال: وجبت، ولاـن أکون قلت واحد أحب إلی من حمر النعم. قال فقیل لعمر: هذا شئ تقوله برأیک أم شئ سمعته من رسول الله(ص)؟ قال: لا، بل سمعته من رسول الله(ص). انتهی.

والروایةتدل علی أن الخلیفة تفرد بهذه الروایة من دون الصحابة الحاضرین فی ذلک المجلس الرسمی الذی کان یجلسه رسول الله صلی الله علیه وآله وأنهم تعجبوا لأنهم لم یسمعوا ذلک، وتجرؤوا أن یسألوا عمر رغم سطوته، فأکد لهم أنه سمع ذلک!

المؤشر الثانی: یشیر إلی أن الحادثة قضیة شخصیة فی جنازة أشخاص معینین فی زمن النبی صلی الله علیه وآله ولیست قاعدة کلیة لکل جنازة..

فقد روی الحاکم فی:۱/۳۷۷: عن أنس قال کنت قاعداً مع النبی (صلی الله علیه وآله) فمر بجنازة فقال: ما هذه الجنازة؟ قالوا جنازة

فلان الفلانی کان یحب الله ورسوله ویعمل بطاعة الله ویسعی فیها، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت وجبت وجبت. ومر بجنازة أخری قالوا جنازة فلان الفلانی کان یبغض الله ورسوله ویعمل بمعصیة الله ویسعی فیها، فقال: وجبت وجبت وجبت. فقالوا یا رسول الله قولک فی الجنازة والثناء علیها؟ أثنی علی الأول خیر وعلی الآخر شر فقلت فیها وجبت وجبت وجبت؟ فقال: نعم یا أبا بکر إن لله ملائکة تنطق علی ألسنة بنی آدم بما فی المرء من الخیر والشر. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه بهذا اللفظ. انتهی.

فلو صح الحدیث لکان معناه أن النبی صلی الله علیه وآله شهد، بما عرفه الله تعالی، بأن الملائکة نطقت علی ألسنة أولئک المادحین والذامین.. ولیس معناه أن الملائکة تنطق دائماً علی ألسنة المسلمین.

المؤشر الثالث: یدل علی أن الخصوصیة للشاهد أو الشافع فی الجنازة.. ففی مستدرک الحاکم:۲/۲۶۸: عن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال: کنت مع رسول الله صلی الله علیه وآله فی جنازة فینا فی بنی سلمة وأنا أمشئ إلی جنب رسول الله صلی الله علیه وآله فقال رجل: نعم المرء ما علمنا إن کان لعفیفاً مسلماً إن کان.. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت الذی تقول؟ قال یا رسول الله ذاک بدا لنا والله أعلم بالسرائر. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت. قال وکنا معه فی جنازة رجل من بنی حارثة أو من بنی عبد الأشهل، فقال رجل: بئس المرء ما علمنا إن کان لفظاً غلیظاً إن کان.. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت الذی تقول؟ قال یا رسول الله أعلم بالسرائر فأما الذی بدا لنا منه فذاک. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت. ثم تلا رسول الله صلی الله علیه وآله: وَکَذَلِکَ جَعَلْنَاکُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَکُونُوا شُهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیدًا. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه، إنما اتفقا علی وجبت فقط. انتهی.

فقد أکد النبی صلی الله علیه وآله علی شخص القائل الذی لم تسمه الروایة فقال له: أنت الذی تقول ذلک وتشهد بهذه الشهادة لهذا المیت؟ فقال نعم إنی أشهد حسب ظاهر حاله. فقال النبی إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلک الرجل، أو إن شهادته طابقت الواقع کما أوحی الله إلی رسوله صلی الله علیه وآله، فیحتمل أن تکون القضیة شخصیة کما فی الروایة السابقة، وإذا وجد الإحتمال بطل الإستدلال، ولم یبق یقین بأنها قاعدة عامة.

المؤشر الرابع: أنه توجد أحادیث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعین بالشفاعة للمیت موجباً للامل بأن الله تعالی یشفعهم فیه ویدخله الجنة..وقد روت الصحاح روایة المئة، وروایة الأربعین، وفی بعض روایاتها ثلاثة صفوف، وأمة من الناس، ونحوها.. الأمر الذی یدل علی أن وجود کثرة من المسلمین المؤمنین یصلون علی جنازة المیت أو یدعون له، أمر مفید له، وأن الله تعالی قد یستجیب دعاءهم.. ولکن لیس فی هذه الأحادیث تلک الحتمیة و(الأتوماتیکیة) التی فی أحادیث (وجبت وجبت) المتقدمة!

ففی صحیح مسلم:۳/۵۲ عن عائشة عن النبی(ص)قال: ما من میت یصلی علیه أمة من المسلمین یبلغون مائة کلهم یشفعون له، إلا شفعوا فیه. انتهی وفی روایة أخری: أربعون. ورواه فی سنن البیهقی:۳/۱۸۰-۱۸۱.

وفی سنن ابن ماجة:۱/۴۷۷:

عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: من صلی علیه مائة من المسلمین غفر له. فی الزوائد: قد جاء عن عائشة فی الترمذی والنسائی مثله. وإسناده صحیح ورجاله رجال الصحیحین. انتهی. وما ذکره موجود فی سنن الترمذی:۲/۲۴۷ وفی سنن النسائی:۴/۷۵ بصیغة مائة وأمة من الناس).

وفی فردوس الأخبار:۴/۳۲۹ ح ۶۴۹۶:

أنس وعائشة: ما من میت یصلی علیه أمة من المسلمین یبلغوا أن یکونوا مائة یشفعون له إلا شفعوا فیه.

وفی/۳۷۱ ح ۶۶۰۹: أبو هریرة: ماصف قوم صفوفاً ثلاث علی میت فیستغفرون له إلا شفعوا.

وروی ابن ماجة فی سننه:۱/۴۷۷:

عن كريب مولى عبدالله بن عباس قال: هلك ابن لعبد الله بن عباس فقال لى: يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابنى أحد؟ فقلت نعم. فقال ويحك كم تراهم أربعين؟ قلت: لا بل هم أكثر. قال: فاخرجوا بابنى فأشهد لسمعت رسول الله(ص)يقول: ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن، إلا شفعهم الله.

وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال فى:۱/۲۷۷:

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، قال يقول هم أربعون؟ قال نعم، قال أخرجوه فإنى سمعت رسول الله(ص)يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه. ورواها الديلمى فى فردوس الأخبار:۴/۳۱۸ ح ۶۴۶۹.

المؤشر الخامس: يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره..

ففى مسند أحمد:۳/۳۰۳ عن جابر قال: قال قال رسول الله (ص): من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة. قال قيل يا رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد:۴/۲۱۲:

عن الحرث بن أقيش قال: كنا عند أبى برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبى (ص)أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفراط، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنان؟ قال: واثنان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الأمر اشتبه على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربى ثلاث بنات أو اثنتين - جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنان على جنازته، لتشابه العدد فيهما ووحدة التعبير ب(وجبت).

ولا يرد الإشكال على رواية تربية البنات تربية إسلامية كيف جعلت سبباً قطعياً لدخول الجنة، لأنها تجعل الجزاء للاب أو الام على عمل يقومان به، بينما رواية الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما كان فاجراً بمجرد قول غيره!

كما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غيره، مهما كان صالحاً!!

على أنه يمكن القول إن الله تعالى جعل ثواب تربية ثلاث بنات أو اثنتين الجنة ليعالج مشكلة فى مجتمع كانوا يئدون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم..وأن هذا الثواب قد يشمل فى عصرنا الازواج الذين يئدون أطفالهم بطرق أخرى، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الأطفال.

وفى أحاديث أهل البيت عن الإمام الصادق عليه السلام أن المسلمين قد سألوا النبى صلى الله عليه وآله عن تربية البنت الواحدة كما تقدم، فقد روى فى الكافى:۶/۶ عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عالَ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة. فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين. فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد:۱/۲۲۳:

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعنى الذكر، أدخله الله بها الجنة. انتهى.

والنتيجة: أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشك فى أحاديث (وجبت وجبت) للجنازة، وتضغط عليها لتكون منسجمةً مع اليقينيات العقلية والشرعية غير ناقضة لها.

ومادام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقها اليهودى، فلا معنى للتشبث بها بحجة الدفاع عن البخارى وعن الخليفة عمر!!

رأى أهل البيت فى الشهادة للجنازة

لا أثر فی أحادیث أهل البیت (علیهم السلام) لروایات (وجبت) ولا لمنطقها! بل نجد الترغیب فی الدعاء للمیت والشفاعة به إلی الله تعالی، والأمل بأن یستجیب الله تعالی ویشمل هذا المیت برحمته..کل ذلک علی حسب قوانین الجزاء والشفاعة التی یعلمها عز وجل بأصولها وتفاصیلها وتطبیقاتها، ولا نعرف نحن منها إلا القلیل.

روی الکلینی فی الکافی:۳/۱۸۸:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن ثابت أبی المقدام قال: کنت مع أبی جعفر (الباقر) علیه السلام فإذا بجنازة لقوم من جیرته فحضرها وکنت قریباً منه، فسمعته یقول: اللهم إنک أنت خلقت هذه النفوس وأنت تمیتها وأنت تحییها، وأنت أعلم بسرائرها وعلانیتها منا ومستقرها ومستودعها. اللهم وهذا عبدک ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به، وقد جئناک شافعین لبعد موته فإن کان مستوجباً فشفعنا فیه واحشره مع من کان یتولاه. انتهی.

ونحوه فی الکافی:۳/۱۸۵، ورواه الشیخ فی تهذیب الأحکام:۳/۱۹۶ ورواه الحر العاملی فی وسائل الشیعة: ۲/۲۳۷

وینبغی الإلتفات إلی عبارة (فإن کان مستوجباً فشفعنا فیه) فهی تدل علی وجود قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها. وعبارة (واحشره مع من کان یتولاه) التی تدل علی قانون (یوم ندعو کل أناس بإمامهم) وهما قانونان مترابطان.

أما منطق (وجبت) فیقول لو کان المیت فاجراً مثل فرعون ومدح جنازته شخصان، لوجب أن یصیر من أهل الجنة ویحشر یوم القیامة إلی جنب الأنبیاء (علیهم السلام)!

هذا، وقد روی فی الکافی روایة صحیحة طریفة تتضمن أضواء مهمة علی قانون الشفاعة قال فی:۳/۱۸۷

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن حماد بن عثمان، عن الحلبی، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن کان مستضعفاً فقل: اللهم اغفر للذین تابوا واتبعوا سبیلک وقهم عذاب الجحیم، وإذا کنت لا تدری ما حاله فقل: اللهم إن کان یحب الخیر وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وإن کان المستضعف منک بسبیل فاستغفر له علی وجه الشفاعة لا علی وجه الولایة. انتهی.

وروی فی نفس الصفحة عن الإمام الصادق علیه السلام أیضاً قال: الترحم علی جهتین: جهة الولایة وجهة الشفاعة. ورواه فی وسائل الشیعة:۲/۲۳۷.

ففی هذا الروایة منطق دقیق فی التعامل مع المیت والشهادة له.. إن کنت لا تدری ما حاله، أو کان مستضعفاً فکریاً لا یعرف الحق من الباطل، أو کان معانداً یعرف الحق وینکره.. أو کان ممن یبغض أهل البیت (علیهم السلام) وینصب العداوة لهم.. وادع له علی نحو الولایة ووحدة الإمام الذی ستدعی أنت وإیاه به یوم القیامة، أو علی جهة الشفاعة لارحامک إن لم یکن عارفاً بحق أهل بیت نبیه.. إلی آخر النقاط المنسجمة مع الیقینیات العقلیة والشرعیة.

قد یقال: یوجد فی روایات أهل البیت (علیهم السلام) شبیه لروایة (وجبت)

فقد روی الکلینی فی الکافی:۳/۱۷۳ عن أبی علی الأشعری، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن میسر قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: من تبع جنازة مسلم أعطی یوم القیامة أربع شفاعات ولم یقل شیئاً إلا وقال الملک: ولک مثل ذلک. انتهی.

ورواه الصدوق فی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۶۱ والشیخ فی تهذیب الأحکام: ۱/۴۵۵ والحر فی وسائل الشیعة:۲/۲۸۸ وقال: ورواه فی المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علی بن فضال. ورواه الشیخ بإسناده عن أبی علی الأشعری مثله. انتهی.

ولکن الفرق کبیر بین روایة تعطی حق الشفاعة لشخص علی عمل یقوم به، وبین روایة تعطی الجنة أو النار مجاناً بکلمة یقولها شخص أو اثنان بعد موته!!

وقد وجدنا فی مصادر إخواننا السنیین روایة شبیهة بما مصادرنا فی الدعاء للمیت فی الصلاة علی جنازته رواها أحمد فی مسنده:

۲/۲۵۶ قال: سمعت أبا هريرة ومر عليه مروان فقال: بعض حديثك عن رسول الله(ص)أو حديثك عن رسول الله(ص)؟ ثم رجع، فقلنا الآن يقع به قال: كيف سمعت رسول الله(ص)يصلى على الجنائز؟ قال سمعته يقول: أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر لها. انتهى.

شفاعة النبى للظالمين من الامة

قال الله تعالى: وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. فاطر: ۳۱ – ۳۵

اتفق الجميع على أن موضوع الآية: الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم الكتاب بعد النبى صلى الله عليه وآله بقرينة أن السياق قبلها عن الكتاب الموحى إلى نبينا صلى الله عليه وآله.

واتفقوا على أن الأقسام الثلاثة للذين اصطفاهم هم من أهل الجنة بدليل السياق حيث انتقل الكلام بعد المصطفين إلى الكافرين.

والذى يتصل بموضوعنا من ذلك تعيين هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب الإلهى.. فقد ذهب السنيون إلى أنهم جميع المسلمين، وأنهم جميعاً فى الجنة إما بالإستحقاق أو بالشفاعة.

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب هم ذرية النبى صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة عليها السلام وأن السابقين بالخيرات منهم هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) والمقتصدين أتباعهم، والظالمين لانفسهم مخالفوهم.. وفيما يلى تفصيل هذه الآراء:

قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة

الظاهر أن أقدم القائلين بهذا الرأى كعب الأحبار وأنه اعتمد على استنتاجه الشخصى وليس على رواية عن النبى صلى الله عليه وآله فقد

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲: وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبى الخليل قال قال كعب: يلومنى أحبار بنى اسرائيل أنى دخلت فى أمة فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة! ثم تلا هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، حتى بلغ جنات عدن يدخلونها قال قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً.

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية، قال: نجوا كلهم. ثم قال: تحاكت مناكبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

وفى تفسير الطبرى:۲۲/۸۸، عن كعب:

إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة، ألم تر أن الله قال: ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا...الخ.

وروى أيضاً بعض ما تقدم فى الدر المنثور.

و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج عبد بن حميد عن أبى مسلم الخولانى قال: قرأت فى كتاب الله أن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف منهم يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة، وصنف يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله، ثم

یدرکهم عفو الله وتجاوزه.

عائشة و عثمان یوافقان کعبا علی تفسیره

روی الحاکم أن عائشة وافقت کعباً علی تفسیره قال فی المستدرک:۲/۴۲۶:

عقبة بن صهبان الحرانی قال: قلت لعائشة رضی الله عنها: یا أم المؤمنین أرأیت قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ؟ فقالت عائشة رضی الله عنها: أما السبَّاق فمن مضی فی حیاة رسول الله صلی الله علیه وآله فشهد له بالحیاة والرزق. وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتی یلحق بهم. وأما الظالم لنفسه فمثلی ومثلک ومن اتبعنا، وکل فی الجنة!! صحیح الإسناد ولم یخرجاه. انتهی. ورواه فی مجمع الزوائد:۷/۹۶. وقال عنه السیوطی فی الدر المنثور:۵ص ۲۵۱: وأخرج الطیالسی وعبد بن حمید وابن أبی حاتم والطبرانی فی الأوسط والحاکم وابن مردویه عن عقبة بن صهبان قلت لعائشة... الخ.

وروی السیوطی فی الدر المنثور أن الخلیفة عثمان أیضاً وافق کعباً علی تفسیره قال فی:۵/۲۵۲:وأخرج سعید بن منصور وابن أبی شیبة وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآیة قال: إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا. انتهی. ورواه فی کنز العمال:۲/۴۸۵

وواضح من الروایتین أن عائشة وعثمان اعتمدا علی کعب الأحبار، أو علی فهمهما للآیات، ولم یذکرا روایة عن النبی صلی الله علیه وآله.

الحسن البصری یرد تفسیر کعب الأحبار

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج سعید بن منصور وعبد بن حمید وابن المنذر والبیهقی عن کعب الأحبار أنه تلا هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا، إلی قوله لغوب، قال: دخلوها ورب الکعبة. وفی لفظ قال: کلهم فی الجنة، ألا تری علی أثره والذین کفروا لهم نار جهنم، فهؤلاء أهل النار. فذکر ذلک للحسن فقال: أبت ذلک علیهم الواقعة! وأخرج عبد بن حمید عن کعب فی قوله: جنات عدن یدخلونها قال: دخلوها ورب الکعبة، فأخبر الحسن بذلک فقال: أبت والله ذلک علیهم الواقعة. انتهی.

ویقصد الحسن البصری بذلک أن التقسیم الثلاثی للناس الذی ورد فی سورة الواقعة یردُّ تفسیر کعب وهو قوله تعالی: وَکُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَیْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَیْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِکَ الْمُقَرَّبُونَ. الواقعة: ۷ -۱۱ وکلام البصری قوی لأن الخطاب عنده فی الآیة للمسلمین، ولو کان المقصود بالمصطفین الذین أورثهم الله الکتاب کل المسلمین لکانوا جمیعاً من أهل الجنة، ولما بقی معنی لتقسیمات القرآن لهم فی سورة الواقعة إلی أصحاب یمین وشمال وسابقین. فهذا التقسیم یدل علی أن من المسلمین من یدخل النار.

وإن ناقشنا فی إستدلال الحسن البصری، فتدل علی رأیه الأحادیث والأدلة المتقدمة فی الرد علی مذاهب توسیع الشفاعة!

الخلیفة عمر یمیل إلی تفسیر کعب

روی السیوطی فی الدر المنثور عن الخلیفة عمر أنه خالف تفسیر کعب الأحبار، وأن رأیه کان کما قال الحسن البصری.. قال فی: ۵/۲۵۲:

وأخرج ابن مردویه عن عمر عن النبی(ص)فی قوله فمنهم ظالم لنفسه قال: الکافر. انتهی. ویحتمل أن تکون هذه الروایة تفسیراً للآیة

۳۲ من سورة لقمان وهی قوله تعالی: وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. ولكنها على أی حال تنطبق على موضوعنا لأنها تفسر معنى (الظالم لنفسه).

ولكن من البعيد أن تصح هذه الروايۀ، لأنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير كعب، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب!

قال السيوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبی شيبۀ وابن المنذر والبيهقی فی البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآيۀ قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. انتهى. (والشوكانی فی فتح القدير: ۴/۴۴۱، ورواه فی كنز العمال:۲/۴۸۵.

وقال فی هامشه: نزع بهذه الآيۀ... ومنه الحديث: لقد نزعت بمثل ما فی التوراۀ، أی: جئت بما يشبهها اهـ قلت: فكأن أمير المؤمنين عمر (رض) يأتی برأيه بما يشبه ظاهر الآيۀ، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه. انتهى.

غير أن معنى نزع بالآيۀ: شرع فيها فقرأها أو فسرها، لا أنه أتی بشبيهها، كما زعم مهمش كنز العمال، وأين الشبيه الذی أتی به عمر!

وغرضنا هنا تفسير عمر للايۀ بأن الظالم مغفور له، وهو مؤشرٌ على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآيۀ كل المسلمين.

وتوجد روايۀ نقلها السيوطی قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبی صلى الله عليه وآله.

قال فی الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج العقيلی وابن هلال وابن مردويه والبيهقی من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص)يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه الآيۀ. انتهى.

وروى السيوطی نحوها عن أنس، ورواها فی كنز العمال:۲/۱۰ وفی /۴۸۵ عن عمر وأضاف إلى رواتها: الديلمی فی الفردوس والبيهقی فی البعث والنشور. انتهى.

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبی صلى الله عليه وآله كان يقصد كل الأمۀ، فقد يكون صلى الله عليه وآله قصد بقوله: سابقنا ومقتصدنا وظالمنا، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل ابراهيم وآل عمران، من نوع قوله صلى الله عليه وآله: المهدی منا، بنا فتح الله وبنا يختم، وشهيدنا خير الشهداء..الخ. وهو فی كلامه كثير صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الإحتمال يبطل الإستدلال بأن المقصود بورثۀ الكتاب كل الأمۀ، لأنه يحتمل أن يكونوا بعضها.. خاصۀ بعد أن نصت أن بعض الأحاديث على أنهم بعض الأمۀ وليس كلها:

قال السيوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۱:

وأخرج الطبرانی والبيهقی فی البعث عن أسامۀ بن زيد (رض): فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال قال رسول الله (ص): كلهم من هذه الأمۀ، وكلهم فی الجنۀ. انتهى. ونقله فی كنز العمال: ۲/۴۸۶.

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمی فی مجمع الزوائد:۷/۹۶ عن أسامۀ بن زيد قال: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، الآيۀ، قال النبی (ص): كلهم من هذه الأمۀ. رواه الطبرانی وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبی ليلى وهو سی الحفظ. انتهى.

وتعبير كلهم من الأمۀ يدل على أنهم ليسوا كل الأمۀ، ويكون هذا الحديث من ابن أبی ليلى السی الحفظ على حد تعبير الهيثمی معقولاً أكثر من كلام غيره!

إلى هنا يبدو أنه لا مشكلۀ فی تفسير ورثۀ الكتاب ببعض الأمۀ وهم ذريۀ النبی صلى الله عليه وآله.. وأن هؤلاء الذريۀ كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما سيأتی، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم.

لكن تبقى مجموعۀ روايات فی مصادر السنيين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه إلى النبی صلى الله عليه وآله! لكنها تصطدم بسورۀ الواقعۀ على حد قول الحسن البصری، كما تصطدم بحكم العقل والأدلۀ المتقدمۀ التی لا تسمح بالقول إن كل مسلم فی الجنۀ!!

وأول سؤال عن هذه الروايات: أين كانت عندما فسر كعب وعائشة وعثمان وعمر آيات ورثة الكتاب الإلهى، وكانت موضوعاً مهما يطرحه كعب الأحبار مع اليهود، ويطرحه الخليفة عمر فى مجلسه أو على منبر الجمعة؟!

إن عدم احتجاج أحد بها، يوجب الشك فى سندها، أو القول بأن النبى صلى الله عليه وآله كان يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمة وورثة خطه فى الأمة (عليهم السلام)وقال كلهم من هذه الأمة، فرواها الراوى (كل هذه الأمة) ويوجد لذلك نظائر! فكم من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة، لكل الأمة!

ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة فى جعل هؤلاء المصطفين مجموع الأمة..

كالذى رواه أحمد:۳/۷۸: عن أبى سعيد الخدرى عن النبى(ص)أنه قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم فى الجنة!ورواه الترمذى فى:۵/۴۱ وقال (هذا حديث غريب حسن) ورواه فى الدر المنثور:۵/۲۵۱ عن الطيالسى وأحمد وعبدبن حميد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى... انتهى.

وقريب منه ما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۸ والطبرانى كما فى الدر المنثور:۵/۲۵۲ عن ابن عباس، وكذا شهادة البراء بن عازب التى نقلها الهيثمى عن سعيد بن منصور، والبيهقى فى البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً).

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة، وأنهم من هذه الأمة لا كلها.. الأمر الذى يوجب الشك فى تعبير أنهم: كل الأمة!

هذا، وقد ارتكب الحاكم خطأً فى ميله إلى تصحيح حديث نسبوه إلى أبى الدرداء فى تفسيرالآية يقول إن الظالمين من المسلمين يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة!

قال فى المستدرك:۲/۴۲۶:

عن أبى الدرداء (رض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى قوله عز وجل: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. ثم قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش فى إسناد هذا الحديث فروى عن الثورى، عن الأعمش، عن أبى ثابت، عن أبى الدرداء (رض)، وقيل عن شعبة، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبى الدرداء. وقيل، عن الثورى أيضاً، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبى الدرداء. وإذا كثرت الروايات فى الحديث ظهر أن للحديث أصلاً. انتهى.

وحسب ماذكره السيوطى فقد ارتكب البيهقى نفس الخطأ أيضاً قال فى الدر المنثور:۵/۲۵۱: وأخرج الفريابى وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى عن أبى الدرداء... ثم قال السيوطى: قال البيهقى: إن كثرت الروايات فى حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

والخطأ هو تطبيق قاعدة أن (كثرة الروايات فى إسناد حديث تدل على أن له أصلاً) على هذا الحديث الذى نسب بثلاث نسب إلى أبى الدرداء كلها بلفظ قيل، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبى الدرداء، أو رجل لم يسم! فهذا ليست كثرة إسناد، بل كثرة تردد فى الاسناد وعدم قطع به، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد فى قيمته!

وقد كان الهيثمى أدق من الحاكم عندما علق صحة الحديث على احتمال أن يكون الرجل المجهول ابن عمير فقال فى مجمع الزوائد:۷/۹۶: رواه الطبرانى عن الأعمش عن رجل سماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصارى كما تقدم عند أحمد فرجال الطبرانى رجال الصحيح. انتهى.

وقصده بما تقدم ماذكره فى نفس المجلد/۹۵ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهى هذه إن كان على بن عبد الله الأزدى سمع من أبى الدرداء فإنه تابعى) انتهى.

فأين كثرة الاسانيد إلى أبى الدرداء! بل أين السند الواحد القطعى!

وأخيراً، نلاحظ فى بعض روايات تفسير الآية بكل الأمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوى وقوة منطقه، كحديث عوف بن مالك الذى سيأتى فى نظرية الفداء المزعومة من النار.

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

الإعتقادات للصدوق/۸۷:

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ، قال: الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام، والمقتصد من عرف حقه، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام.

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال: ما حال المذنبين منا؟ فقال عليه السلام: ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا.

الاحتجاج:۲/۳۰۱:

وعن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؟ قال: أى شئ تقول؟ قلت: إنى أقول إنها خاصة لولد فاطمة. فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل فى الآية، قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذى لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت هو العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام.

بصائر الدرجات/۴۴:

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبى، عن ابن مسكان، عن ميسر، عن سورة بن كليب، عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام فهى فى ولد على وفاطمة (عليهم السلام).

شرح الأخبار:۲/۵۰۵:

حماد بن عيسى بإسناده، عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ. قال: فينا أنزلت أورث الله عز وجل الكتاب الأئمة منا، وقوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يعنى منهم من لا يعرف إمام زمانه ولا يأتم به فهو ظالم لنفسه بذلك، وقوله: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، يعنى من هو منهم فى النسب ممن عرف إمام زمانه وائتم به واتبعه فاقتصد سبيل ربه بذلك، والسابق بالخيرات هو الإمام منا.

شرح الأخبار:۳/۴۷۲:

الرازى قال: قال أبو جعفر محمد بن على عليه السلام: ما يقول من قبلكم فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت يقولون: نزلت فى أهل القبلة. قال: كلهم؟! قلت كلهم. قال فينبغى أن يكونوا قد غفر لهم كلهم؟! قلت: يابن رسول الله فيمن نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم، وبنا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطة بنى إسرائيل.

الثاقب فى المناقب/۵۶۶:

وعنه قال: كنت عند أبى محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد (عليهم السلام) الظالم لنفسه الذى لا يقر بالإمام،

والمقتصد العارف بالإمام والسابق بالخيرات بإذن الله: الإمام.

البحار:۲۳/۲۱۸:

روى السيد ابن طاووس فى كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن العباس بن مروان قال: حدثنا على بن عبدالله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن سعيد، عن إسحاق بن يزيد الفراء، عن غالب الهمدانى، عن أبى إسحاق السبيعى قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن على فسألته عن هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ.. الآية؟ فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ يعنى أهل الكوفة، قال: قلت يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟! قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ فقال: هى لنا خاصة يا أبا إسحاق، أما السابق بالخيرات فعلى بن أبى طالب والحسن والحسين والشهيد منا أهل البيت، وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل، وأما الظالم لنفسه ففيه ما جاء فى التائبين وهو مغفور له.

يا أبا إسحاق بنا يفك الله عيوبكم، وبنا يحل الله رباق الذل من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم لا بكم، ونحن كهفكم كأصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطتكم كباب حطة بنى إسرائيل.

وقال ابن شعبة الحرانى فى تحف العقول/۴۲۵:

لما حضر على بن موسى (عليهما السلام)مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية؟

فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام).

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا لنفسه: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. ثم جعلهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله فى كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الال أو غير الال؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتى آلى، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض (!!) الذى لا يمكن دفعه: آل محمد أمته!

فقال الرضا عليه السلام: أخبرونى هل تحرم الصدقة على آل محمد؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الأمة؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل وبين الأمة، ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون، أما علمتم أنما وقعت الرواية فى الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم!

قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟

قال علیه السلام: من قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثة النبوة والکتاب فی المهتدین دون الفاسقین. أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رب إن ابنی من أهلی وإن وعدک الحق، وذلک أن الله وعده أن ینجیه وأهله، فقال له ربه تبارک وتعالی: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة علی سائر الناس؟

فقال الرضا علیه السلام: إن الله العزیز الجبار فضل العترة علی سائر الناس فی محکم کتابهُ.

قال المأمون: أین ذلک من کتاب الله؟

قال الرضا علیه السلام: فی قوله تعالی إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وقال الله فی موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ثم رد المخاطبة فی أثر هذا إلی سائر المؤمنین فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ یعنی الذین أورثهم الکتاب والحکمة وحسدوا علیهما بقوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، یعنی الطاعة للمصطفین الطاهرین، والملک هاهنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالی الاصطفاء فی الکتاب؟

فقال الرضا علیه السلام: فسر الاصطفاء فی الظاهر سوی الباطن فی اثنی عشر موضعاً. فأول ذلک قول الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وهذه منزلة رفیعة وفضل عظیم وشرف عال حین عنی الله عز وجل بذلک الآل فهذه واحدة.

والآیة الثانیة فی الإصطفاء قول الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهذا الفضل الذی لا یجحده معاند، لأنه فضل بین.

والآیة الثالثة، حین میز الله الطاهرین من خلقه أمر نبیه فی آیة الإبتهال فقال: قل یا محمد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءکم ونساءنا ونساءکم وأنفسنا وأنفسکم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علی الکاذبین، فأبرز النبی صلی الله علیه وآله علیاً والحسن والحسین وفاطمة (علیهم السلام)فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنی قوله: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟

قالت العلماء: عنی به نفسه.

قال أبو الحسن علیه السلام: غلطتم، إنما عنی به علیاً علیه السلام، ومما یدل علی ذلک قول النبی صلی الله علیه وآله حین قال: لینتهین بنو ولیعة أو لأبعثن إلیهم رجلاً کنفسی، یعنی علیاً علیه السلام. فهذه خصوصیة لا یتقدمها أحد، وفضل لا یختلف فیه بشر، وشرف لا یسبقه إلیه خلق، إذ جعل نفس علی علیه السلام کنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة، حین تکلم الناس فی ذلک وتکلم العباس فقال: یارسول الله ترکت علیاً وأخرجتنا! فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما أنا ترکته وأخرجتکم، ولکن الله ترکه وأخرجکم. وفی هذا بیان قوله لعلی علیه السلام: أنت منی بمنزلة هارون من موسی.

قالت العلماء: فأین هذا من القرآن؟

قال أبوالحسن علیه السلام: أوجدکم فی ذلک قرآناً أقرؤه علیکم.

قالوا: هات.

قال علیه السلام: قول الله عز وجل: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ففی هذه الآیة منزلة هارون من موسی، وفیها أیضاً منزلة علی علیه السلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله. ومع هذا دلیل ظاهر فی قول رسول الله صلی الله علیه وآله حین قال: إن هذا المسجد لا یحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد صلی الله علیه وآله

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله!

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها، ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، ولله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

وأما الخامسة، فقول الله عزوجل: وآت ذا القربى حقه، خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أدعوا لى فاطمة فدعوها له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهى لى خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرنى الله به فخذيها لك ولولدك فهذه الخامسة.

وأما السادسة: فقول الله عز وجل: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى فهذه خصوصية للنبى صلى الله عليه وآله دون الأنبياء، وخصوصية للآل دون غيرهم. وذلك أن الله حكى عن الأنبياء فى ذكر نوح عليه السلام: وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِىَ إِلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وحكى عن هود عليه السلام قال: لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلا تَعْقِلُونَ، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً... إلى آخر الحديث.

ورواه فى بشارة المصطفى/۲۲۸ وفى بحار الأنوار:۲۵/۲۲۰

نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى

روى مسلم فى:۸/۱۰۴:

عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار!! ورواه ابن ماجة:۲/۱۴۳۴ عن أنس وزاد فى أوله (إن هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها) وقال فى هامشه: فى الزوائد: له شاهد فى صحيح مسلم من حديث أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه. وقد أعلَّه البخارى.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۱:

وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص): أمتى ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتى الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده فيقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهى التى قال الله: وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وتصديقاً فى التى ذكر الملائكة قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فهذا الذى يكسف ويمحص، ومنهم مقتصد وهو الذى يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذى يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله، يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم، يحلون فيها من أساور من ذهب إلى قوله لغوب. انتهى. ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۷/۹۵ وقال: رواه الطبرانى وفيه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات.

وقال النبهانى فى جامع الثناء على الله/۴۱:

روى الإمام أحمد، عن أبى موسى، عن النبى(ص)قال: يجمع الله الأمم فى صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدأ الله يصدع بين خلقه مثَّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونه حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا! فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم، فيقول كيف تعرفونه ولم تعرفوه؟ فنقول: نعم، إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً!! فيقول: أبشروا يا معشر الإسلام فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهودياً أو نصرانياً مكانه!! انتهى

وما ذكره النبهانى رواه أحمد فى:۴/۴۰۷ و ۴۰۸ ورواه أيضاً فى: ۴/۳۹۱ وص ۳۹۸ وص ۴۰۲ وص ۴۱۰ بروايات متعددة، وفى كنز العمال:۱/۷۳ وص ۸۶ وج ۱۲/۱۵۹ وص ۱۷۰-۱۷۲ وج ۴/۱۴۹ عن مصادر متعددة.

وما تدعيه هذه الروايات من رفع جرائم أحد ووضعها على ظهر أحد لا علاقة له بجرمه.. أمرٌ لا يقبله دينٌ ولا عقل، ويرده قوله تعالى (لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

أما الذين قال الله تعالى إنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم، فإنهم الُمضِلُّون الذين يحملون من أثقال الذين أضلوهم، لأنهم شركاء فى كفرهم ومعاصيهم، ثم لا ينقص من أثقال الضالين شى، لا أن جرائمهم تسقط كما تدعى هذه الرواية!!

والظاهر أن هذه المقولات ردةُ فعل من بعض المسلمين على زعم اليهود بأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم يخلفهم فيها المسلمون، كما تقدم فى فصل الشفاعة عند اليهود! فاخترع لهم أبو موسى الأشعرى أو غيره نظرية فداء المسلم من النار بيهودى أو نصرانى! كما يفعل المجرم الشاطر فيفدى نفسه من مشكلة تحصل له فى الدنيا بأن يجعلها فى رقبة غيره زوراً وبهتاناً!!

اسقاط المحرمات عن أهل بدر

قال البخارى فى صحيحه:۵/۱۰:

عن على (رض) قال: بعثنى رسول الله(ص)وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس قال: إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله(ص)، فقلنا: الكتاب! فقالت: ما معنا كتاب! فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله(ص)، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله(ص)فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلا ضرب عنقه، فقال النبى (ص): ماحملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله مابى أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله(ص)أردت أن تكون لى عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلى ومالى، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. انتهى.

ورواه مسلم فى صحيحه:۷/۱۶۸ وقال (وليس فى حديث أبى بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق فى روايته من تلاوة سفيان).

ورواه أبو داود فى سننه:۱/۵۹۷ وج ۲/۴۰۳ والترمذى:۵/۸۳ والحاكم:۳/۱۳۴ وص ۳۰۱ وج ۴/۷۷ والبيهقى فى سننه:۹/۱۴۶ والدارمى فى:۲/۳۱۳ ورواه أحمد فى:۱/۸۰ وص ۱۰۵وص ۳۳۱ وج ۲/۱۰۹ وص ۲۹۵... الخ.

ورواه البخارى أيضاً فى مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة: فى:۴/۱۹ وقال بعده (قال سفيان وأى إسناد هذا!) وفى:۴/۳۹ وفى:۵/۸۹ وفى:۶/۶۰ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم. قال لا أدرى الآية فى الحديث أو قول عمرو) وفى:۷/۱۳۴ وفى:۸/۵۵.

والموضعان الاخران روى البخارى فيهما طعناً على على عليه السلام قال فى:۴/۳۸:

عن أبى عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علوياً: إنى لأعلم ما الذى جرأ صاحبك على الدماء! سمعته يقول: بعثنى النبى(ص)والزبير فقال إئتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً... فقال: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم! فهذا الذى جرأه. انتهى. وروى نحوه فى:۸/۵۴.

ومن الواضح أن البخارى أعجبه قول أبى عبد الرحمان العثمانى حتى رواه مرتين بدون تعليق!

وجوابه: أن علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التى نسبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله عن أهل بدر.. وأن حروبه الداخلية

الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهد معهود اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخارى نفسه وغيره!

بل ثبت عندنا أن كل مواقفه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض تسليمنا ما يراه البخارى، فالسؤال موجهٌ اليه: مادام الذى جرَّأَ علياً عليه السلام على سفك دماء المسلمين بزعمك، أنه رفع القلم عن أهل بدر، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك!

فما هو عذر عدوه معاوية فى خروجه على الخليفة الشرعى وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين؟

وما عذرك فى الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه؟

إلا أن يكون البخارى قد عدَّ معاوية بدرياً لأنه شهدها مع أبيه أبى سفيان فى صف المشركين!!

ومن أشرف المواقف السنية فى هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزى، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لأهل بدر، وفسرها بأنها مغفرة مامضى من ذنوبهم لا ما سيأتى، ثم رد على رواية البخارى بقوله:

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له؟! حوشئ من هذا، وإنما قاتل بالدليل المضطر له إلى القتال، فكان على الحق، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع على، كيف وقد قال رسول الله (ص): اللهم أدر الحق معه كيفما دار! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حمله عليه أنه كان عثمانياً! انتهى. (الصحيح فى السيرة:۵/۱۴۱ عن صيد الخاطر/۳۸۵)

وينبغى أن نشير أولاً ـ إلى أن ما رووه من قول النبى صلى الله عليه وآله (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء.. فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال فى المستدرك: ۴ ص ۷۷: عن أبى هريرة (رض) عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر. انتهى.

وروى مفاده فى دلائل النبوة للبيهقى:۳/۱۵۳ قال: عن جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب بن بلتعة جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): جُذِبْت، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية!. انتهى.

ولكن هذه الأحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وآله القطعية المتفق عليها عند الجميع! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى..مبشرون بالجنة، وأعمالهم مغفورة مهما كانت، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله! وأن من لايتولاهم أو ينتقصهم فهو فى النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة، وخارج عن ربقة الإسلام... إلى آخر الأحكام التى ذكروها للصحابة، وجعلوها جزء من شريعة الإسلام المقدسة، بل جزء من عقائده الاساسية!!

تقول لهم: يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعضهم، وكفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضاً! فمن المحق ومن المبطل؟ ومن المظلوم ومن الظالم؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان؟

فيقولون: لا تخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

تقول لهم: لقد علَّمنا النبى صلى الله عليه وآله أن نخوض فى أمرهم، فقد ثبت فى الصحاح أنه صلى الله عليه وآله أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم فى الآخرة، وأن بعضهم يردون عليه الحوض، فيذودهم عنه ويطردهم كما تطرد الأباعر الغريبة!!

فيقولون: لاتخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

وترجمة كلامهم: أنك يجب عليك فى موضوع الصحابة أن تعطل عقلك، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتتمسك بهم!

ولكن التناقض لا- فرق فيه بين صغير وكبير، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة، فلنقبل به لحل مشكلة الأديان، ولنقل بصحة التثليث والتوحيد، والإيمان والكفر، والوثنية والإسلام..ولنحلَّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولى الله معاً!!

العقل يقول: إذا تناقض أمران أو شخصان فى القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً، لأنه تناقض مستحيل.

وإذا تناقضا فى الفعل واقتتلا- فلا- يمكن أن يكون كل منهما على الحق، لأنه تناقض مستحيل.. ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيات! وإذا عطلنا العقل، فلا يبقى إيمان بالله ورسله وكتبه، ولا صحابة ولا مصحوبون!

إن ماننعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا- يقبلها العقل، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها..يجب أن ننعاه على أنفسنا، لاننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين فى أقوالهم وأفعالهم، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب!

ولاننا نقرأ قول الله تعالى (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ..) ثم ندعى أن الله تعالى قد سلَّمَ أمة نبيه صلى الله عليه وآله من بعده إلى صحابة متشاكسين فى الفقه والعقائد والسياسة إلى حد التناقض والتكفير والحرب!!

قال المفيد فى الإفصاح/۴۹:

فإن قال: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: خير القرون القرن الذى أنا فيه، ثم الذين يلونه [۱] .

وقال عليه السلام: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [۲] وقال عليه السلام: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [۳] .

فكيف يصح مع هذه الأحاديث أن يقترف أصحابه السيئات أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات؟!

قيل له: هذه أحاديث آحاد، وهى مضطربة الطرق والإسناد، والخلل ظاهر فى معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع، ولا يقابل حجج الله تعالى وبيناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الأخبار التى جاءت بالصحيح من الإسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبة على الإتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان:

فمنها: ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم. فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟! [۴] .

وقال صلى الله عليه وآله فى مرضه الذى توفى فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى [۵] .

وقال صلى الله عليه وآله فى حجة الوداع لاصحابه: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا لأعرفنكم ترتدون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إنى قد شهدت وغبتم [۶] .

وقال عليه السلام لأصحابه أيضاً: إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة، وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم [۷] .

وقال عليه السلام: أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً، فتفرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فينادينى مناد من ورائى: إنهم بدلوا بعدك، فأقول:ألا سحقاً ألا سحقاً [۸] .

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدى فارتددتم القهقرى [۹] .

وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال: أنا لفتنة بعضكم أخوف منى لفتنة الدجال [۱۰] .

وقال عليه السلام: إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن يفارقنى [۱۱] .

فی أحادیث من هذا الجنس یطول شرحها، وأمرها فی الکتب عند أصحاب الحدیث أشهر من أن یحتاج فیه إلی برهان، علی أن کتاب الله عز وجل شاهدٌ بما ذکرناه، ولو لم یأت حدیث فیه لکفی فی بیان ما وصفناه: قال الله سبحانه وتعالی: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ وَمَنْ یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّاللَه شَیْئًا وَسَیَجْزِی اللهُ الشَّاکِرِینَ، فأخبر تعالی عن ردتهم بعد نبیه صلی الله علیه وآله علی القطع والثبات، وقال جل اسمه: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَه شَدِیدُ الْعِقَابِ. فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة فی الدین، وأعلمهم أنها تشملهم علی العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

وقال سبحانه وتعالی: الَم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا یُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْکَاذِبِینَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئَاتِ أَنْ یَسْبِقُونَا سَاءَ مَا یَحْکُمُونَ. وهذا صریح فی الخبر عن فتنتهم بعد النبی صلی الله علیه وآله بالإختبار، وتمییزهم بالأعمال.

وقوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَاتِی اللهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ.. إلی آخر الآیة، دلیل علی ما ذکرناه.

وقوله تعالی: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ یُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ. یزید ما شرحناه.

ولو ذهبنا إلی استقصاء ما فی هذا الباب من آیات القرآن والأخبار عن رسول الله صلی الله علیه وآله لانتشر القول فیه، وطال به الکتاب.

وفی قول أنس بن مالک: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله المدینة فأضاء منها کل شیء، فلما مات علیه السلام أظلم منها کل شیء، وما نفضنا عن النبی صلی الله علیه وآله الأیدی ونحن فی دفنه حتی أنکرنا قلوبنا. [۱۲] شاهد عدل علی القوم بما بیناه.

مع أنا نقول لهذا السائل المتعلق بالأخبار الشواذ المتناقضة ما قدمنا حکایته وأثبتنا أن أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله الذین توهمت أنهم لا یقارفون الذنوب ولا یکتسبون السیئات، هم الذین حصروا عثمان بن عفان وشهدوا علیه بالردة عن الإسلام وخلعوه عن إمامة الأنام... إلی آخر کلامه المفید رحمه الله.

[۱] مسند أحمد ۲: ۲۲۸ سنن أبی داود ۴: ۲۱۴/۴۶۵۷ صحیح مسلم ۴: ۱۹۶۲/۲۱۰ وفیها: خیر أمتی القرن.

[۲] مسند أحمد ۱: ۸۰ و ۲: ۲۹۵ صحیح مسلم ۴: ۱۹۴۱/۱۶۱ صحیح البخاری ۶: ۳۶۳/۳۸۳ سنن الدرامی ۲: ۳۱۳.

[۳] لسان المیزان ۲: ۱۳۷ تفسیر البحر المحیط ۵: ۵۲۸ أعلام الموقعین ۲: ۲۲۳ کنز العمال ۱:۱۹۹/۱۰۰۲ کشف الخفاء ومزیل الالباس ۱/۱۳۲. وانظر تلخیص الشافی ۲: ۲۴۶.

[۴] مسند أحمد ۲:۵۱۱ سنن ابن ماجة ۲:۱۳۲۲/۳۹۹۴ صحیح البخاری ۴: ۳۲۶/۲۴۹.

[۵] مسند أحمد ۳: ۴۸۹ مجمع الزوائد ۹: ۲۴ سنن ابن ماجة ۲: ۱۳۱۰/۳۹۶۱.

[۶] الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۴۶۱/۲۱۵۹ و ۴۸۶/۲۱۹۳ صحیح البخاری ۷: ۱۸۲ و۸:۲۸۵/۱۴ و۹:۹۰/۲۷ صحیح مسلم ۳: ۱۳۰۵/۲۹-۳۱ سنن أبی داود ۴: ۲۲۱/۴۶۸۶ قطعة منه مسند أحمد ۱:۲۳۰ سنن النسائی ۷:۱۲۷ قطعة منه سنن الدارمی ۲:۶۹ قطعة منه.

[۷] صحیح البخاری ۶: ۱۰۸ صحیح مسلم ۴: ۲۱۹۴/۵۸ الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۶۱۵/۲۴۲۳ سنن النسائی ۴: ۱۱۷.

[۸] مسند أحمد ۶: ۲۹۷.

[۹] مسند أحمد ۳: ۱۸ و ۶۲ قطعة منه.

[۱۰] کنز العمال ۱۴: ۳۲۲/۲۸۸۱۲.

[۱۱] مسند أحمد ۶: ۳۰۷.

[۱۲] الجامع الصحیح للترمذی ۵: ۵۸۸/۳۶۱۸ مسند أحمد بن حنبل ۳: ۲۲۱/۲۶۸ سنن ابن ماجة ۱: ۵۲۲/۱۶۳۱. انتهی.

حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

روى الديلمى فى فردوس الأخبار:۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۸:

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: شفاعتى مباحة إلا لمن سب أصحابى.

وفى:۱/۹۸ ح ۱۹۶:

عن عبدالرحمن بن عوف أيضاً وفيه: فشفاعتى محرمة على من شتم أصحابى. ورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء كما ذكر فى كنز العمال: ۱۴/۳۹۸.

وروى الشيرازى فى الالقاب وابن النجار كما ذكر كنز العمال: ۱۴/۶۳۵:

عن أم سلمة قالت قال رسول الله (ص): نعم الرجل أنا لشرار أمتى! فقال له رجل من مزينة: يا رسول الله أنت لشرارهم فكيف لخيارهم؟ قال: خيار أمتى يدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتى ينتظرون شفاعتى. ألا إنها مباحةٌ يوم القيامة لجميع أمتى إلا رجل ينتقص أصحابى! ونقله كاندهلوى فى حياة الصحابةج ۳/۴۵.

ولا نقصد بنقد هذه الروايات الدفاع عن الذين يسبون بعض الصحابة، فالسب والشتم وكل أنواع البذاءة فى المنطق لايمكن لعاقل أن يدافع عنها، بل لا يرتكبها عاقل فى حالة سيطرة عقله على منطقه، فضلاً عن الأتقياء الأبرار.

وإنما غرضنا بيان تهافت منطق هذه الأحاديث فى منح الشفاعة والحرمان منها! فهذا المنطق يقول: يجوز للصحابى أن يحكم بفسق الصحابى الآخر أو كفره، وأن يسبه ويهينه ويضربه ويحبسه ويشهر عليه سيفه ويقتله، أو يكيد به ويقتله بالسم أو بالاغتيال، ويجوز له أن يستعمل كل أساليب السياسة والمناورة والمخادعة ضده، وأن يجمع حوله الناس بالرشوة والتهديد.. وأن يخرج على إمام زمانه ويسبب انشقاقاً فى الأمة وحروبا يقتل فيها عشرات ألوف المسلمين، وأن يرتكب كل المحرمات.. ولا بأس بذلك كله، لأنه مغفورٌ له مشمولٌ بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله أو مستحق للجنة بدون شفاعة!!

أما غير الصحابة من المسلمين فلو انتقد صحابياً ولو انتقاداً صغيراً.. فقد شمله مرسوم الحرمان النبوى من الشفاعة وصار مخلداً فى النار!!

إنه منطق يستشكل فى الحبة ويأكل القبة! ولا يمكن أن يكون مما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله!

بل إن صيغة الحديث (لا تسبوا أصحابى) وأمثاله يصعب تعقل صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله لأن مخاطبيه هم أصحابه، فكيف يقول لهم: لا تسبوا أصحابى أو اقتدوا بأصحابى!

وأخيراً، فإن أحاديث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتقادهم..يصعب فهمها بل لا يمكن فهمها إلا بالمقارنة مع الآيات والأحاديث المشابهة الواردة فى حق أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله مثل قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى، وقوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً... وأحاديث: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وأهل بيتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ولا يؤمن أحدكم حتييحبهم لحبى، وعشرات غيرها متفق على صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله وقد ركز فيها الإسلام مكانة عترة النبى من بعده حتى أنه حرم عليهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالية خاصة هى الخمس!

والباحث المتتبع يجد أن كل حديث قاله النبى صلى الله عليه وآله فى أهل بيته.. نبت مقابله حديث فى أصحابه! حتى أن حديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، نبت مقابله: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وحديث إحفظونى فى أهل بيتى نبت مقابله: إحفظونى فى أصحابى..

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ينتقص الصحابة، ما هو إلا نبتةٌ قريشية مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذى ثبت عند الجميع، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

الدخول إلى جهنم

لتحليل القسم الالهى بأن يملاه

روى البخارى فى صحيحه:۲/۷۲:

عن أبى هريرة (رض) عن النبى(ص)قال: لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم. ورواه أيضاً فى:۷/۲۲۴.

ورواه مسلم:۸/۳۹ وفيه (فتمسه النار) ورواه ابن ماجة:۱/۵۱۲ والنسائى:۴/۲۲ و۲۵ بعدة روايات وفى بعضها: فتمسه النار.. والترمذى:۲/۲۶۲ وأحمد:۲/۲۴۰ وص ۲۷۶ وص ۴۷۳ وص ۴۷۹ والبيهقى فى سننه:۴/۶۷ وج ۷/۷۸ والهيثمى فى مجمع الزوائد:۱/۱۶۳ وج ۵/۲۸۷ والهندى فى كنز العمال:۳/۲۸۴ وص ۲۹۳ وج ۴/۳۲۳ وج ۱۰/۲۱۶ والسيوطى فى الدر المنثور:۴/۲۸۰ وفى عدد من رواياته: تمسه النار. وفى عدد آخر: يلج النار وفى أكثرها (تحلة القسم).

ورغم التفاوت فى صيغ هذه الروايات إلا أنها تتفق على أن هذا الوالد الذى تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة يستحق الجنة حتى لو كان مذنباً، لكن يجب على هذا المسكين أن يدفع ضريبة يمين الله تعالى، ويدخل النار مدة قليلة تحلةً لقسم الله تعالى حتى لا يكون الله حانثاً بقسمه، ثم له من الله تعالى وَعْدُ شَرف أن ينقله إلى الجنة!!

فما هى قصة هذا القسم؟ وما ذنب هذا الوالد وغيره من المساكين الذين أدخلتهم صحاح السنيين فى جهنم لا لشئ إلا لتحليل يمين الله تعالى!

حاولت بعض الروايات أن تجعل القسم قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا.) مريم: ۷۰-۷۱ وقالوا إن هذا القضاء الالهى الحتمى هو القسم وهو عام للجميع.

ولكنه تفسير من الرواة لأن الصحاح لم ترو حديثاً يفسر القسم بذلك!

قال البيهقى فى سننه:۱۰/۶۴:

قال أبو عبيد: نرى قوله تحلة القسم يعنى قول الله تبارك وتعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا.، يقول فلا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه فيه. وفيه: أنه أحل للرجل يحلف ليفعلن كذا وكذا ثم يفعل منه شيئاً دون شئ، يبرى فى يمينه. انتهى.

ولكن تفسيرهم هذا لا يصح:

أولاً، لما ذكره البيهقى من أنه يفتح الباب للناس للتلاعب بأيمانهم، ولا تبقى قيمة ليمين! فإذا كان الله تعالى يستعمل الحيلة الشرعية للتحلل من يمينه ويسميها (تحلة القسم) فلا حرج على عباده أن يلعبوا بأيمانهم!!

وثانياً، لا يوجد فى آية الورود قسم، بينما ورد فى كل روايات الصحاح أن سبب دخول هذا الاب (تحلَّةَ القسم).

وثالثاً، إن المؤمنين الذين يردون جهنم ويشرفون عليها فى طريق عبورهم إلى الجنة لا تمسهم نارها، بينما ورد فى عدد من صيغ الحديث التعبير بتمسه النار تحلة القسم.

ورابعاً، أن الورود المذكور فى الآية أمرٌ عامٌ شاملٌ، وليس من البلاغة استثناء هذا الوالد من استحقاق الجنة، مع أن حال فى الورود حال غيره!!

وخامساً، ورد فى صيغة البخارى وغيره تعبير بالولوج وهو الدخول المحقق فى النار، بينما الورود أعم من الدخول فى النار والاشراف عليها عند المرور على الصراط.

قال فى تفسير التبيان:۷/۱۴۳:

واختلفوا فى كيفية ورودهم اليها فقال قوم وهو الصحيح: إن ورودهم هو وصولهم إليها وإشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأن الورود فى اللغة هو الوصول إلى المكان، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه. ويقال: ورد الخبر بكذا تشبيهاً بذلك.

ويدل على أن الورود هو الوصول إلى الشئ من غير دخول فيه قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ، وأراد وصل اليه. وقال زهير:

فلما وردنَ الماء زرقاً جمامَه وضعنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتخيمِ

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود: ورودهم إليها هو ممرهم عليها.

وقال عكرمة: يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين.

وقال قوم شذاذ: ورودهم إليها دخولهم فيها ولو تحلة القسم. روى ذلك عن ابن عباس وكان من دعائه: اللهم أزحنى من النار سالماً وأدخلنى الجنة غانماً. وهذا الوجه بعيد، لأن الله قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.، فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار، فيكف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها وذلك متناقض. فإذاً المعنى بورودهم: إشرافهم عليها ووصولهم إليها. انتهى.

وعلى هذا يتعين أن يكون المقصود بتحلة القسم فى هذه الأحاديث المزعومة: قسمه تعالى بأن يملا جهنم من الجنة والناس، فى قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لامْلانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. هود: ۱۱۸-۱۱۹

ويكون معنى الحديث: أن هذا الوالد يستحق الجنة، ولكن بما أن الله تعالى أقسم أن يملأ النار، وليس عنده ما يكفى لملئها، فإن على هذا الوالد المسكين أن يدفع الضريبة من جلده!!

إن منطق هذا الحديث يصور الله تعالى كأنه حاكم دنيوى بنى سجناً وأقسم أن يملاه من المجرمين، وعندما وجد أن السجن كبيرٌ لم يمتلى بالمجرمين الموجودين، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم فى السجن حتى يملاوه ويفى حضرة الحاكم بيمينه، ولاـ يكون كاذباًـ!وهو تصورٌ نجده عن الله تعالى فى التوراة ولا نجده فى القرآن.. الأمر الذى يجعلنا نطمئن بأن فكرة إدخال الناس إلى النار لتحلة القسم فكرة توراتية أخذها المسلمون من اليهود، ففى تفسير كنز الدقائق:۲/۴۷، جاء فى رد مقولات اليهود التى منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم)!!

ولكن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الالهى التى أقام الله تعالى عليها الكون والحياة، وأنزلها فى كتابه وأوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفكرون!

حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمكن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة، ويفسرها بأنها محاولة لتسكيت المسلمين عن الصحابى الحاكم وجماعته. ولكن بعض الحرمانات الواردة فى الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى، إلا بعد جهد جهيد، مثل حرمانهم الذى يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة!

فقد روت ذلك الصحاح كما فى النسائى:۸/۱۳۸ قال: عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. انتهى.

ورواه أبو داود فى:۲/۲۹۱

وأحمد فى:۱/۲۷۳

والبيهقى فى سننه:۷/۳۱۱

وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۵/۱۶۳ رواية شديدةً على المجرم الذى يصبغ شعره ولحيته بالسواد، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال: عن أبى الدرداء قال قال رسول الله(ص): من خضب بالسواد سوَّد الله وجهه يوم القيامة. رواه الطبرانى وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم فى المنزلة وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وقد تحير فى ذلك بعض أصحاب الصحاح.. ومن حقهم أن يتحيروا.. فمع أنهم عاشوا فى القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا

الثانی، ولکن عهدهم کان قریباً نسبیاً، والمسألة واضحةٌ وضوح اللحی! ومع ذلک وصلت الیهم أحادیث متناقضة فیها! فمنها أحادیث تقول إن النبی صلی الله علیه وآله أمر بتغییر الشیب ومخالفة الیهود الذین یحرمون صبغ الشیب، وأحادیث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء، أی باللون الاحمر الذی تصبغ به العرب ونهی عن السواد لأنه خضاب الکفار! وأخری تقول إنه أمر بالسواد، وأخری تقول بالکتم والوسم الأصفر...!

واختلفت روایاتهم فی أن النبی صلی الله علیه وآله هل صبع شیبه أم لا، فروایةٌ تقول إنه صبغه بالحناء، ولکنهم رجحوا أخری تقول لم یدرکه الشیب إلا شعرات قلیلة ولم یصبغها.

قال مسلم فی صحیحه: ۷/۸۴ و۸۵: قال سئل أنس بن مالک عن خضاب النبی(ص)فقال: لو شئت أن أعد شمطات کن فی رأسه فعلت وقال: لم یختضب وقد اختضب أبو بکر بالحناء والکتم واختضب عمر بالحناء بحتا. انتهی.

وقد روی الجمیع خضاب أبی بکر وعمر بالحناء والکتم کما فی مسند أحمد: ۳/۱۰۰ وج ۳/۱۰۸ وص ۱۶۰ وص ۱۷۸.

ولکن تحیر أصحاب الصحاح کان علی مستوی الروایة فقط، أما الرأی السائدالمتبع عندهم فهو النهی المشدد عن الخضاب بالسواد، لأنه رأی الدولة من زمن أبی بکر وعمر وعثمان ومعاویة..إلی آحر الخلافة الأمویة!

ولذا جعل النسائی عنوان المسألة: النهی عن الخضاب بالسواد وقال فی:۸/۳۸

عن ابن عباس رفعه أنه قال: قوم یخضبون بهذا السواد آخر الزمان کحواصل الحمام لا یریحون رائحة الجنة.

عن أبی الزبیر عن جابر قال أتی بأبی قحافة یوم فتح مکة، ورأسه ولحیته کالثغامة بیاضاً، فقال رسول الله (ص): غیروا هذا بشئ واجتنبوا السواد... ثم قال النسائی: والناس فی ذلک مختلفون، والله تعالی أعلم، لعل المراد الخالص، وفیه أن الخضاب بالسواد حرامٌ أو مکروهٌ، وللعلماء فیه کلام، وقد مال بعض إلی جوازه للغزاة، لیکون أهیب فی عین العدو، والله تعالی أعلم.

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صیغتها الشرعیة، وأجمعوا علی ذم الحضاب بالسواد، ذمَّ تحریم، وربما وجد فیهم نادرٌ یقول بأنه ذم تنزیه!

قال النووی فی المجموع:۱/۲۹۴:

(فرع) اتفقوا علی ذم خضاب الرأس أو اللحیة بالسواد، ثم قال الغزالی فی الأحیاء والبغوی فی التهذیب وآخرون من الأصحاب هو مکروه، وظاهر عباراتهم أنه کراهة تنزیه، والصحیح بل الصواب أنه حرام. وممن صرح بتحریمه صاحب الحاوی فی باب الصلاة بالنجاسة، قال إلا أن یکون فی الجهاد، وقال فی آخر کتابه الأحکام السلطانیة: یمنع المحتسب الناس من خضاب الشیب بالسواد إلا المجاهد.

ودلیل تحریمه حدیث جابر (رض) قال: أتی بأبی قحافة والد أبی بکر الصدیق رضی الله عنهما یوم فتح مکة ورأسه ولحیته کالثغامة بیاضاً، فقال رسول الله (ص): غیروا هذا واجتنبوا السواد. رواه مسلم فی صحیحه، والثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفیف الغین المعجمة نبات له ثمر أبیض. وعن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله (ص): یکون قوم یخضبون فی آخر الزمان بالسواد کحواصل الحمام لا یریحون رائحة الجنة. رواه أبو داود والنسائی وغیرهما، ولا فرق فی المنع من الخضاب بالسواد بین الرجل والمرأة، هذا مذهبنا. انتهی.

وقال ابن قدامة فی المغنی:۱/۷۶:

وعن الحکم بن عمر الغفاری قال: دخلت أنا وأخی رافع علی أمیر المؤمنین عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخی مخضوب بالصفرة، فقال عمر بن الخطاب: هذا خضاب الإسلام، وقال لاخی رافع: هذا خضاب الإیمان. ویکره (وکره) الخضاب بالسواد. قیل لابی عبدالله تکره الخضاب بالسواد قال إی والله...! انتهی.

وروی الحاکم قصة أخری مشابهة وجعل رأی الخلیفة عمر حدیثاً مسنداً قال فی المستدرک:۳/۵۲۶ قال:

دخل عبدالله بن عمر علی عبدالله بن عمرو وقد سوَّدَ لحیته، فقال عبدالله بن عمر: السلام علیک أیها الشویب! فقال له ابن عمرو: أما

تعرفنی یا أبا عبدالرحمن؟ قال بلی أعرفک شیخاً فأنت الیوم شاب! إنی سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الکافر. انتهی.

وقال عنه فی مجمع الزوائد:۵/۱۶۳: رواه الطبرانی وفیه من لم أعرفه. انتهی.

– وقد سئل الشیخ ابن باز فی کما فی فتاویه:۴/۵۸ طبعة مکتبة المعارف بالریاض:

– مامدی صحة الأحادیث التی وردت فی صبغ اللحیة بالسواد، فقد انتشر صبغ اللحیة بالسواد عند کثیر ممن ینتسبون إلی العلم؟

فقال فی جوابه: فی هذا الباب أحادیث صحیحة کثیرة، وذکر حدیث حواصل الحمام، وقال بعده: وهذا وعیدٌ شدید، وفی ذلک أحادیث أخری، کلها تدل علی تحریم الخضاب بالسواد، وعلی شرعیة الخضاب بغیره. انتهی.

والمتتبع لنصوص المسألة یصل إلی قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسومٌ قرشی..وسببه أن العرب ومنهم قریش کانوا یصبغون شیبهم بالحناء الذی یأتیهم من الهند، وبعضهم یصبغونه بالورس والزعفران الذی یأتیهم من الیمن وإیران (لاحظ مغنی ابن قدامة:۱/۷۶).

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب کما نص السهیلی فی الروض الانف:۱/۷ ونقله عنه النووی فی المجموع:۱۸/۲۵۴.

ولا یبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبنی هاشم. وسیأتی أن الإسلام أقر عدة تشریعات سنَّها عبد المطلب بإلهام من الله تعالی مثل: الطواف سبعاً، والدیة، ومنها سنَّة الخضاب بالوسم.

ماذا یصنع رواة الخلافة القرشیة بهذه الأحادیث

تدل الأحادیث من مصادر الجمیع علی أن الإسلام أقر سنَّة عبد المطلب فی صبغ الشیب بالسواد فقد روی ابن ماجة فی سننه:۲/۱۱۹۷ عن صهیب قال: قال رسول الله (ص): إن أحسن ما اختضبتم به لَهَذَا السواد، أرغب لنسائکم فیکم، وأهیب لکم فی صدور عدوکم. انتهی.

وقالوا بعده: هذا الحدیث معارض لحدیث النهی عن السواد، وهو أقوی إسناداً وأیضاً النهی یقدم عند المعارضة، وفی الزوائد: إسناده حسن. انتهی.

وإذا صح ما ذکره رواة قریش من أن النهی دائماً أقوی من الرخصة، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا یشم رائحة الجنة! فهل یلتزمون بأن الإمام الحسین علیه السلام سید شباب أهل الجنة لا یشم رائحتها!

فقد روی البخاری فی صحیحه:۴/۲۱۶:

عن أنس بن مالک (رض): أتی عبید الله بن زیاد برأس الحسین بن علی فجعل فی طست فجعل ینکته وقال فی حسنه شیئاً فقال أنس: کان أشبههم برسول الله(ص)وکان مخضوباً بالوسمة! انتهی. والوسمة هی السواد.

وفی مجمع الزوائد:۵/۱۶۲:

عن محمد بن علی أنه رأی الحسن بن علی (رض) مخضوباً بالسواد علی فرس ذنوب. رواه الطبرانی ورجاله رجال الصحیح، خلا محمد بن إسماعیل بن رجاء وهو ثقة. وعن سلیم قال: رأیت جریر بن عبدالله یخضب رأسه ولحیته بالسواد. رواه الطبرانی وسلیم والراوی عنه لم أعرفهما.

وعن محمد بن علی أن الحسین بن علی (رض) کان یخضب بالسواد. رواه الطبرانی ورجاله رجال الذی قبله، وقد روی عنهما من طرق وهذه أصحها ورجالها رجال الصحیح.

وعن عبد الرحمن بن بزرج قال: رأیت الحسن والحسین ابنی فاطمة یخضبان بالسواد، وکان الحسین یدع العنفقة. رواه الطبرانی وفیه ابن لهیعة وحدیثه حسن وفیه ضعف، وبقیة رجاله ثقات.

وعن عبدالله بن أبی زهیر قال: رأیت الحسین بن علی یخضب بالوسمة. رواه الطبرانی وعبد الله بن أبی زهیر لم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات. انتهی.

وجریر بن عبدالله المذکور هو البجلی من کبار أصحاب علی علیه السلام ومن قادة جیشه وقد حمل عدداً من رسائله إلی معاویة.

فیتضح من ذلک أن أهل البیت (علیهم السلام) وشیعتهم کانوا یخضبون شیبهم بالسواد. وأن النهی عن السواد نهی قرشیٔ لا نبوی، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببنی هاشم المعارضین للدولة!

بل ماذا یصنع الشیخ ابن باز بإمامه الزهری الذی روی عنه البخاری نحو ۱۲۰۰ روایة فی صحیحه، فقد کان-بعد أن خفَّت حدة المسألة فی القرن الثانی-یصبغ شیبه بالسواد، ویقول إن النبی أمر بتغییر الشیب ولم یحدد لون الصبغ!

قال أحمد فی مسنده:۲/۳۰۹:

قال رسول الله (ص): إن الیهود والنصاری لا یصبعون فخالفوهم. قال عبد الرزاق فی حدیثه: قال الزهری: والأمر بالاصباغ، فأحلکها أحب الینا. قال معمر: وکان الزهری یخضب بالسواد. انتهی.

رأی أهل البیت

روی الکلینی فی الکافی:۶/۴۸۱:

عن: أحمد بن محمد، عن سعید بن جناح، عن أبی خالد الزیدی، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: دخل قوم علی الحسین بن علی صلوات الله علیهما فرأوه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلک، فمد یده إلی لحیته ثم قال: أمر رسول الله صلی الله علیه وآله فی غزاة غزاها أن یختضبوا بالسواد، لیقووا به علی المشرکین.

وفی الکافی:۶/۴۸۳:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبی عبدالله، عن عدة من أصحابه، عن علی بن أسباط، عن عمه یعقوب بن سالم قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: قتل الحسین صلوات الله علیه وهو مختضب بالوسمة.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحکم، عن مسکین بن أبی الحکم، عن رجل، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وآله فنظر إلی الشیب فی لحیته فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ، ثم قال: من شاب شیبةً فی الإسلام کانت له نوراً یوم القیامة. قال فخضب الرجل بالحناء ثم جاء إلی النبی صلی الله علیه وآله فلما رأی الخضاب قال: نورٌ وإسلامٌ، فخضب الرجل بالسواد، فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ وإسلامٌ وإیمانٌ، ومحبةٌ إلی نسائکم، ورهبةٌ فی قلوب عدوکم.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: دخلت علی أبی الحسن (الرضا) علیه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: أراک قد اختضبت بالسواد؟ فقال: إن فی الخضاب أجراً، والخضاب والتهیئة مما یزید الله عز وجل فی عفة النساء، ولقد ترک النساء العفة بترک أزواجهن لهن التهیئة!

وفی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۲۲:

قال الصادق علیه السلام: الخضاب بالسواد أنسٌ للنساء، ومهابةٌ للعدو.

وفی وسائل الشیعة:۱/۴۰۳:

محمد بن الحسین الرضی الموسوی فی نهج البلاغة عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: غیروا الشیب، ولا تشبهوا بالیهود فقال: إنما قال ذلک والدین قلٌّ، وأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار. انتهی.

ويفهم من هذا الحديث أن الأمر بتغيير الشيب ليس للوجوب، بل هو لإثبات الرخصة فى مورد توهم الحظر والتحريم، كما يعتقد اليهود.

خلاصة المسألة

والخلاصة: أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله عليه، خالف فيها اليهود، وخالف فيها الخضاب بالأحمر والأصفر المستعمل عند العرب، وقد أقر الإسلام هذه السنة وجعلها مستحبة، ولم يحرم الخضاب بغيرها. بل لم يوجب فى الأصل تغيير لون الشيب، وإنما جعله مستحباً فى بعض الحالات.

ولكن دخلت قريش على الخط لتمسكها من جهة بالخضاب الأحمر والاصفر، وحساسيتها من جهة أخرى من عبد المطلب وأولاده الذين لم يعترفوا بخلافتها.. فنتج عن ذلك تحريم الخضاب بالسواد، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة، وتسويد وجهه يوم القيامة!!

ولكن العباسيين أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدهم، فجعلوا راياتهم سوداء حتى سماهم الناس (المُسَوِّدَة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد على جميع المسلمين، خاصة أتباع الدولة، وجعلوه شعاراً لهم! فكان ذلك إفراطاً فى الانتصار لخضاب عبد المطلب!

لذلك رأينا أن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) نهوا عن لبس السواد إلا فى الحرب، والحزن، خاصةً لمصاب الإمام الحسين عليه السلام، وفضلوا فى الحالات العادية اللون الاخضر الذى كان يفضله النبى صلى الله عليه وآله.

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)ويغيض العباسيين الذين خلعوه، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإمام على بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الاسود فى الدولة إلى اللباس الأخضر.. وبذلك استقر اللون الاخضر شعاراً لبنى هاشم، ثم شعاراً للعرب، والحمد لله.

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبى صلى الله عليه وآله فى علامات ولده المهدى الموعود عليه السلام وأن العباسيين حرصوا على مصادرته وتطبيقه على راياتهم وثورتهم، وسموا أحد خلفائهم بالمهدى، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدى الموعود المبشر به من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن المهدى العباسى لم يملا الأرض قسطاً وعدلاً، ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدٍّ كما ورد فى صفات المهدى عليه السلام.

فقد ورد فى سيرة هذا المهدى العباسى أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد!!

مرسوم بحرمان الزوجة التى تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح فى الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيدٌ للرجال فى حق الزوجة التى تطلب الطلاق من زوجها بدون سبب..

ففى سنن ابن ماجة:۱/۶۶۲:

عن ابن عباس أن النبى(ص)قال: لا تسأل المرأة زوجها الطلاق فى غير كنهه فتجد ريح الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ورواه الترمذى فى:۲/۲۹ ۳

وأبو داود:۱/۴۹۶

وأحمد:۵/۲۷۷ وص ۲۸۳

والدارمى:۲/۱۶۲

والحاكم فى:۲/۲۰۰

والبیهقی فی سننه:۷/۳۱۶

والهندی فی کنز العمال:۱۶/۳۸۲ وص ۲۸۷ عن أحمد وأبی داود والترمذی وابن حبان وابن عساکر.

وفی بعض روایات الحدیث: بدون عذر، والمقصود منه العذر القوی الذی یقبله المجتمع.

ولکنه تشدیدٌ مبالغٌ فیه، فلا نعرف أحداً من الفقهاء یفتی بأن قولها لزوجها طلقنی یعتبر جریمة تستحق علیها العقوبة الدنیویة أو الاخرویة، فإن أصل الطلاق حلال وإن کان مکروهاً، وطلبها الطلاق فی أصله حلال وقد یطرأ علیه ما یجعله مکروهاً أو منافیاً للاخلاق، أو یجعله حراماً، أو واجباً.

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً، فلا یصیر من المعاصی الکبائر التی یستحق صاحبها عقاب الدخول فی جهنم، والحرمان من الجنة ومن شفاعة نبیه صلی الله علیه وآله!!

وقد حاول بعض الفقهاء أن یتخلصوا من الحدیث بتضعیفه، وساعدهم علی ذلک أن الشیخین البخاری ومسلماً لم یروایاه، فقد ذکروا بعد روایته فی ابن ماجة أن الهیثمی فی مجمع الزوائد ضَعَّف إسناده.. ولکن ذلک لا یحل المشکلة لأن الحاکم قال عنه فی المستدرک: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

وحاولوا محاولةً أخری أن یجعلوا الحدیث فی طلب الزوجة الطلاق الخلعی من زوجها بسبب کرهها له، فقد وضع ابن ماجة الحدیث تحت عنوان (باب کراهیة الخلع للمرأة) ولکن واجههم قوله تعالی (فَلا جُنَاحَ عَلَیْهِمَا فِیمَا افْتَدَتْ بِهِ) حیث نصت الآیة علی جواز افتداء المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعی.. فاضطروا أن یحملوا الحدیث علی طلبها الخلع بدون سبب ویجعلوه مکروهاً لا حراماً!

وهکذا فعل ابن قدامة فی المغنی:۸/۱۷۶:

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعته لغیر ما ذکرنا کره لها ذلک ووقع الخلع):

والظاهر أنه أراد إذا خالعته لغیر بغض وخشیة من أن لا تقیم حدود الله، لأنه لو أراد الأول لقال کره له، فلما قال کره لها دل علی أنه أراد مخالعتها له والحال عامرة والأخلاق ملتئمة، فإنه یکره لها ذلک، فإن فعلت صح الخلع فی قول أکثر أهل العلم منهم أبو حنیفة والثوری ومالک والأوزاعی والشافعی، ویحتمل کلام أحمد تحریمه فإنه قال: الخلع مثل حدیث سهلة تکره الرجل فتعطیه المهر فهذا الخلع، وهذا یدل علی أنه لا یکون الخلع صحیحاً إلا فی هذه الحال، وهذا قول ابن المنذر وداود.

وقال ابن المنذر: وروی معنی ذلک عن ابن عباس وکثیر من أهل العلم، وذلک لأن الله تعالی قال (وَلا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَاخُذُوا مِمَّا آتَیْتُمُوهُنَّ شَیْئًا إِلا أَنْ یَخَافَا أَلا یُقِیمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا یُقِیمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ عَلَیْهِمَا فِیمَا افْتَدَتْ بِهِ) فدل بمفهومه علی أن الجناح لا حق بهما إذا افتدت من غیر خوف، ثم غلظ بالوعید فقال (تِلْکَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ یَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وروی ثوبان قال: قال رسول الله(ص)(أیما امرأة سألت زوجها الطلاق من غیر ما بأس فحرام علیها رائحة الجنة) رواه أبوداود. وعن أبی هریرة عن النبی(ص)قال (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات) رواه أبو حفص ورواه أحمد فی المسند وذکره محتجاً، به وهذا یدل علی تحریم المخالعة لغیر حاجة، ولانه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النکاح من غیر حاجة، فحرم لقوله علیه السلام (لا ضرر ولا ضرار). واحتج من أجازه بقول الله سبحانه (فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَکُلُوهُ هَنِیئًا مَرِیئًا) انتهی.

ولکن کل ذکاء هؤلاء الفقهاء لا یحل مشکلة الحدیث أیضاً:

أولاً، لأن الحدیث فی مجرد طلب الطلاق، ولیس فی بذل المهر وطلب الخلع، وقد اعترف بذلک ابن حزم قال فی المحلی:۱۰/۲۳۶ حیث قال: قال أبو محمد (یعنی نفسه): واحتج من ذهب إلی هذا (حرمة الخلع) بما حدثناه عبدالله بن ربیع نا محمد ابن اسحاق بن السلیم نا ابن الاعرابی نا محمد بن إسماعیل الصائغ نا عفان بن مسلم نا حماد نا أیوب السختیانی عن أبی قلابة عن أبی أسماء الرحبی عن ثوبان قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أیما امرأة سألت زوجها الطلاق من غیر ما بأس فحرام علیها رائحة الجنة.

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحق بن ابراهيم – هو ابن راهويه – أنا المخزومى هو المغيرة بن سلمة – نا وهيب عن أيوب السختيانى عن الحسن البصرى عن أبى هريرة عن النبى(ص)أنه قال: المنتزعات والمختلعات هن المنافقات. قال الحسن: لم أسمعه من أبى هريرة.

قال أبو محمد: فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر. وأما الخبر الأول فلا حجة فيه فى المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول. انتهى.

وثانياً، لو سلمنا أن الحديث فى طلب الخلع، فلا بد لهم من القول بحرمته على الزوجة مطلقاً بسبب صيغة التشديد المؤكدة فيه، وذلك مخالف لقوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا).

ولذلك اضطروا إلى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهة فقط!

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بحرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة! ولكنه إبطالٌ له بصيغة الإستدلال به، والاحترام له!!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود فى هذه المسألة، ومن المحتمل أن أصل حديثها من الإسرائيليات التى تسربت إلى فقهنا!!

محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبى

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبى صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب وبنى هاشم.

المسألة الأولى، فى إيمان آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله: ومذهبنا أن كل آباء النبى وأمهاته مؤمنون طاهرون مطهرون، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، صلوات الله عليه وعليهم. وقد روينا فى ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة، ووافقنا على هذا الرأى عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازى والسيوطى وغيرهما، وألفوا فى ذلك رسائل مستقلة.

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله كفار مشركون، وأنهم فى النار، ورووا فى ذلك روايات هى عندهم صحيحة! منها رواية خشنة رواها مسلم فى:۱/۱۳۳: أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبى؟ قال فى النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبى وأباك فى النار!!

المسألة الثانية، فى شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وهم ثلاثة أصناف: صنف مات قبل البعثة. وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبى صلى الله عليه وآله. وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصروا النبى صلى الله عليه وآله فى مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين، وهم كل من بقى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ماعدا أبى لهب.

ومذهبنا أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تشمل أول ما تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب، من ارتضى الله منهم، وكلهم عندنا مرضى إلا من ثبت فيه عدم الإرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبى لهب. وقد ثبت عندنا إسلام أبى طالب وإيمانه، وأنه كان يكتم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون.

ومذهب إخواننا السنة فى هذه المسألة متفاوت، ففى رواياتهم ما يوافقنا تقريباً، وفيها روايات تحاول حرمان كل بنى هاشم من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله!

المسألة الثالثة: فى موقع على عليه السلام وعترة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة من الشفاعة العظمى التى يعطاها صلى الله عليه وآله..ومذهبنا أن عترة النبى صلى الله عليه وآله الذين نصَّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى، وأنهم خيرة البشر بعد النبى صلى الله عليه وعليهم، وهم معه يوم القيامة، وبأيديهم ينفذ الشفاعة المعطاة له من الله تعالى، ويفوضهم فى كثير من الأمور.

وقد ثبت عندنا وروى السنيون أن لواء الحمد الذى هو رئاسة المحشر يجعله النبى صلى الله عليه وآله بيد على عليه السلام كما كان

صاحب لوائه فی الدنیا.

وأن مقام الصدیقة الزهراء علیها السلام فی الشفاعة یوم القیامة مقام ممیزٌ حتی من بین العترة.

أما السنیون فلیس لهم مذهبٌ واحدٌ فی مقام عترة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة، بل حتی فی مقام صحابته، لأن روایاتهم فی ذلک متناقضة..فهم یریدون إعطاء الصحابة المرتبة الأولی بعد النبی صلی الله علیه وآله، ولکن النصوص الصحیحة عندهم فی دخول بعض الصحابة النار، وفی المقام الممیز للعترة الطاهرة، تأبی علیهم ذلک، فیقعون فی حیص بیص!

حساسیة قریش من أسرة النبی

من الواضح للمطلع علی السیرة أن الدافع الاساسی لتکذیب قبائل قریش بنبوة النبی صلی الله علیه وآله ورفضهم لها، کان دافعاً سیاسیاً، لانهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم، فقد اعترفوا بالقیادة لبنی هاشم وصاروا أتباعاً لهم، وانتهی الأمر!

ولذلک کانوا شدیدین فی تکذیبهم، متحدین فی موقفهم، شرسین فی مواجهتهم، صریحین فی إظهار تخوفهم..

وکان بعض قریش وغیر قریش یفاوضون النبی صلی الله علیه وآله علی الإیمان بنبوته، بشرط أن یکون لهم (الأمر) من بعده..ولکن النبی صلی الله علیه وآله کان نبیاً مبلغاً عن ربه تعالی، ولم یکن مساوماً علی الأمر من بعده.

لقد ظهرت هذه الحقیقة القرشیة العمیقة منذ إعلان النبی بعثته الشریفة ثم واجهته طوال نبوته، ولم تنته حتی بعد وفاته!

وهی حقیقةٌ ضخمةٌ لم تعطَ حقها من الدراسة، بسبب أن القرشیین بعد انتصار النبی صلی الله علیه وآله علیهم ودخولهم تحت حکمه کرهاً وطوعاً، جعلوا مواجهتهم معه من نوع الحرب الباردة، ثم ما أن توفی النبی صلی الله علیه وآله حتی أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بیته وحاصروهم! وألقوا بثقلهم لصیاغة السنة والسیرة والتاریخ لمصلحة قبائل قریش، وضد العترة الطاهرة!

وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسیة قریش من أسرة النبی صلی الله علیه وآله، لکی نفهم تأثیرها علی روایاتهم فی کفر آباء النبی صلی الله علیه وآله وروایاتهم فی عدم انتفاع بنی هاشم بقرابتهم من النبی صلی الله علیه وآله وشفاعته!

وهو باب خطیرٌ والدراسات فیه ممنوعةٌ، ولکن القلیل منه یجعل الباحث یتوقف ملیاً فی قبول أی حدیث سلبی عن أسرة النبی صلی الله علیه وآله جاءت روایته عن طریق القرشیین من غیر أهل بیته!

حادثة خطیرة، عتمتها الصحاح

روی البخاری فی:۱/۳۲: تحت عنوان: باب الغضب فی الموعظة والتعلیم:

عن أبی بردة عن أبی موسی قال: سئل النبی(ص)عن أشیاء کرهها فلما أکثر علیه غضب ثم قال للناس سلونی عما شئتم! قال رجل: من أبی؟ قال أبوک حذافة! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال أبوک سالم مولی شیبة! فلما رأی عمر ما فی وجهه قال: یا رسول الله إنا نتوب إلی الله عز وجل!

باب من برک علی رکبتیه عند الإمام أو المحدث:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج فقام عبدالله بن حذافة فقال من أبی؟ فقال أبوک حذافة، ثم أکثر أن یقول سلونی! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله ربًاوبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)نبیاً، فسکت! انتهی.

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه لیس طبیعیاً! فهو یقول: أکثروا علیه السؤال فغضب.. ثم قال: سلونی عما شئتم.. ثم أکثر أن یقول سلونی.. فسألوه هل هم أولاد شرعیون أو أولاد زنا!! فبرَّأ صحابیاً وفضح آخر علی رؤوس الإشهاد، وشهد بأنه ابن زنا! ثم أصرَّ علیهم: سلونی سلونی سلونی..!! فقام عمر وأعلن التوبة فهدأ الموقف وسکت النبی صلی الله علیه وآله!!

فما هی القصة، وما سبب هذا الغضب والتحدی والفضح النبوی! والتوبة العمریة؟!

الذی یساعد الباحث هنا أن القصة وإن قطّعتها الصحاح، لکنها روتها هی وغیرها بأکثر من عشرین نصاً..فیمکن للباحث أن یجمع منها خیوطاً کثیرة.

یقول مسلم فی صحیحه لم یکن غضب النبی صلی الله علیه وآله لسؤال کما قال البخاری! بل بلغه عن أصحابه شئ کریه! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن یسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبکوا، فقام عمر وتاب!!

قال مسلم فی صحیحه:۷/۹۲:

عن أنس بن مالک قال: بلغ رسول الله(ص)عن أصحابه شئ فخطب فقال: عرضت علی الجنة والنار فلم أر کالیوم فی الخیر والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلاً ولبکیتم کثیراً. قال فما أتی علی أصحاب رسول الله(ص)یوم أشد منه!! قال غطّوا رؤسهم ولهم خنین! قال فقام عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! قال فقام ذاک الرجل فقال: من أبی؟ قال أبوک فلان، فنزلت: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ! انتهی. وروی مسلم جزء منها أیضاً فی:۳/۱۶۷

فالمسألة إذن غضبٌ نبویٌّ لما بلغه عن (أصحابه) وخطبةٌ ناریة.. وتحدٍّ نبوی لهم فی أنسابهم.. وأشد یوم مر علیهم مع نبیهم.. وبکاء الصحابة المعنیین خوفاً من إطاعة الرسول وسؤاله عن نسبهم.. والفضیحة.. وإعلان عمر توبته وتوبتهم..!!

وهکذا تبدأ خیوط الحادثة بالتجمع..ویمکنک بعد ذلک أن تجمع من خیوطها من نفس البخاری!

قال البخاری فی:۱/۱۳۶:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر، فقام علی المنبر فذکر الساعة فذکر أن فیها أموراً عظاماً، ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل فلا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم ما دمت فی مقامی هذا!! فأکثر الناس فی البکاء وأکثر أن یقول سلونی! فقام عبدالله بن حذافة السهمی فقال: من أبی؟ قال أبوک حذافة!

ثم أکثر أن یقول سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! فسکت، ثم قال: عرضت علی الجنة والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط فلم أر کالخیر والشر!

وقال البخاری فی:۷/۱۵۷:

عن أنس (رض) سألوا رسول الله(ص)حتی أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألونی الیوم عن شئ إلا بینته لکم، فجعلت أنظر یمیناً وشمالاً فإذا کل رجل لافٌّ رأسه فی ثوبه یبکی! فإذا رجل کان إذا لاحی الرجال یدعی لغیر أبیه، فقال: یا رسول الله من أبی؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولاً نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله (ص): ما رأیت فی الخیر والشر کالیوم قط! إنه صورت لی الجنة والنار حتی رأیتهما وراء الحائط. وروی نحوه أیضاً فی: ۸/۹۴

وقال البخاری فی:۸/۱۴۳:

عن الزهری أخبرنی أنس بن مالک (رض) عن النبی(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر فلما سلم قام علی المنبر فذکر الساعة، وذکر أن بین یدیها أموراً عظاماً ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل عنه، فوالله لا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم به ما دمت فی مقامی هذا! قال أنس فأکثر الناس البکاء! وأکثر رسول الله(ص)أن یقول سلونی!! فقال أنس فقام إلیه رجل فقال: أین مدخلی یا رسول الله؟ قال النار!!! فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال أبوک حذافة. قال ثم أکثر أن یقول سلونی سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولاً. قال فسکت رسول الله(ص)حین قال عمر ذلک! ثم قال رسول الله: أولی، والذی نفسی بیده لقد عرضت علی الجنة والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط وأنا أصلی، فلم أر کالیوم فی الخیر والشر!

وقال البخاری فی:۴/۷۳:

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر (رض) یقول: قام فینا النبی(ص)مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتی دخل أهل الجنة منازلهم وأهل

النار منازلهم...! حفظ ذلک من حفظه ونسیه من نسیه.

وقال أبو داود:۱/۵۴۲:

عن أبی قتادة أن رجلاً أتی النبی(ص)فقال: یا رسول الله کیف تصوم؟ فغضب رسول الله(ص)من قوله، فما رأی ذلک عمر قال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، فلم یزل عمر یرددها..حتی سکن غضب رسول الله(ص). انتهی.

وقال فی مجمع الزوائد:۱/۱۶۱:

عن أبی فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله(ص)ذات یوم: سلونی عما شئتم؟ فقال رجل: یا رسول الله من أبی؟ قال: أبوک فلان الذی تدعی إلیه، وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی الجنة. وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی النار!! فقال عمر: رضینا بالله رباً. رواه الطبرانی فی الکبیر ورجاله رجال الصحیح.

وقال فی مجمع الزوائد:۷/۱۸۸ وص ۳۹۰:

وعن أنس قال خرج رسول الله(ص)وهو غضبان! فخطب الناس فقال: لا تسألونی عن شئ الیوم إلا أخبرتکم به، ونحن نری أن جبریل معه! قلت فذکر الحدیث إلی أن قال فقال عمر: یا رسول الله إنا کنا حدیثی عهد بجاهلیة فلا تبد علینا سوآتنا فاعف عفا الله عنک! رواه أبو یعلی ورجاله رجال الصحیح.

وفی مجمع الزوائد:۹/۱۷۰:

وأتاه العباس فقال: یا رسول الله إنی انتهیت إلی قوم یتحدثون فلما رأونی سکتوا وما ذاک إلا لانهم یبغضونا! فقال رسول الله (ص): أو قد فعلوها؟! والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبکم، أیرجون أن یدخلوا الجنة بشفاعتی، ولا یرجوها بنو عبد المطلب!

وفی مجمع الزوائد:۹/۲۵۸:

وجلس علی المنبر ساعة وقال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! فوالله إن شفاعتی لتنال حی حا، وحکم، وصدا، وسلهب، یوم القیامة!

وفی مجمع الزوائد:۸/۲۱۴:

عقد الهیثمی باباً فی عدة صفحات بعنوان: باب فی کرامة أصله(ص). وأورد فیه أحادیث عن طهارة آباء النبی وأمهاته صلی الله علیه وعلیهم، ونقل حوادث خطیرة أهان فیها القرشیون أسرة النبی صلی الله علیه وآله فی حیاته، وهم تحت قیادته فی المدینة، وهم مسلمون مهاجرون، أو طلقاء منَّ علیهم بالعفو بالأمس فی فتح مکة! فغضب النبی صلی الله علیه وآله وأجابهم بشدة!

الحادثة الأولی:

عن عبد الله بن عمر قال إنا لقعودٌ بفناء رسول الله(ص)إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد فی بنی هاشم مثل الریحانة فی وسط النتن! فانطلقت المرأة فأخبرت النبی (ص)فجاء النبی(ص)یعرف فی وجهه الغضب، ثم قام علی القوم فقال: ما بال أقوال تبلغنی عن أقوام! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً فاختار العلیا منها فسکنها وأسکن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق فاختار من الخلق بنی آدم، واختار من بنی آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قریشاً، واختار من قریش بنی هاشم، واختارنی من بنی هاشم، فأنا من خیار إلی خیار، فمن أحب العرب فبحبی أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضی أبغضهم.

والثانیة:

عن عبد المطلب بن ربیعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتی ناس من الأنصار النبی(ص)فقالوا: إنا نسمع من قومک حتی یقول القائل منهم إنما مثل محمد نخلة نبتت فی الکبا (قال حسین الکبا الکناسة) فقال رسول الله (ص): أیها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب – قال فما سمعناه ینتمی قبلها – ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتین، فجعلنی

فی خیر الفریقین، ثم جعلهم قبائل فجعلنی فی خیرهم قبیلة، ثم جعلهم بیوتاً فجعلنی فی خیرهم بیتاً، فأنا خیرهم بیتاً وخیرهم نفساً... رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح.

والثالثة:

عن ابن عباس قال توفی ابنٌ لصفیة عمة رسول الله(ص)فبکت علیه وصاحت، فأتاها النبی(ص)فقال لها: یا عمة ما یبکیک؟ قالت توفی ابنی، قال: یا عمة من توفی له ولدٌ فی الإسلام فصبر، بنی الله له بیتاً فی الجنة. فسکتت ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: یا صفیة قد سمعت صراخک، إن قرابتک من رسول الله(ص)لن تغنی عنک من الله شیئاً! فبکت فسمعها النبی(ص)وکان یکرمها ویحبها، فقال: یا عمة أتبکین وقد قلت لک ماقلت؟! قالت: لیس ذاک أبکانی یا رسول الله، استقبلنی عمر بن الخطاب فقال إن قرابتک من رسول الله(ص)لن تغنی عنک من الله شیئاً! قال فغضب النبی(ص) وقال: یا بلال هجِّر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع!! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی، فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة!

فقال عمر: فتزوجت أم کلثوم بنت علی رضی الله عنهما لما سمعت من رسول الله(ص)یومئذ، أحببت أن یکون لی منه سببٌ ونسب.

ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فمررت علی نفر من قریش فإذا هم یتفاخرون ویذکرون أمر الجاهلیة فقلت رسول الله(ص)! فقالوا: إن الشجرة لتنبت فی الکبا (المزبلة) قال فمررت إلی النبی(ص)فأخبرته! فقال یا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: یا أیها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنسبونی، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال أجل أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام یبتذلون أصلی!! فوالله لانا أفضلهم أصلاً وخیرهم موضعاً!

قال فلما سمعت الأنصار بذلک قالت قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله(ص)قد أغضب، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبی(ص)لا ترى منهم إلا الحدق، حتی أحاطوا بالناس فجعلوهم فی مثل الحرة، حتی تضایقت بهم أبواب المسجد والسکک!! ثم قاموا بین یدی رسول الله(ص)فقالوا: یا رسول الله لا ـ تأمرنا بأحد إلا أبَرنا عترته. فلما رأی النفر من قریش ذلک قاموا إلی رسول الله(ص)فاعتذروا وتنصلوا!! فقال رسول الله (ص): الناس دثارٌ والأنصار شعار، فأثنی علیهم وقال خیراً. انتهی.

وقال فی الدر المنثور:۲/۳۳۵:

وأخرج الفریابی وابن جریر وابن مردویه عن أبی هریرة قال: خرج رسول الله(ص)وهو غضبان محمار وجهه، حتی جلس علی المنبر فقام إلیه رجل فقال: أین آبائی؟ قال فی النار! فقام آخر فقال من أبی؟ فقال أبوک حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً وبالقرآن إماماً، إنا یا رسول الله حدیثُ عهد بجاهلیة وشرک والله أعلم من آباؤنا!! فسکن غضبه، ونزلت هذه الآیة: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ.

وقال فی الدر المنثور:۴/۳۰۹:

وأخرج الزبیر بن بکار فی الموفقیات عن ابن عباس رضی الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب (رض)عن قول الله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ؟ قال: کان رجال من المهاجرین فی أنسابهم شئ فقالوا یوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً فی نسبنا، فأنزل الله ما قرأت.

ثم قال لی: إن صاحبکم هذا یعنی علی بن أبی طالب إن ولی زهد، ولکنی أخشی عجب نفسه أن یذهب به. قلت: یا أمیر المؤمنین إن صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غیَّر ولا بدل ولا أسخط رسول الله(ص)أیام صحبته! فقال: یابن عباس من ظن أنه یرد بحورکم فیغوص فیها حتی یبلغ قعرها فقد ظن عجزاً! انتهی.

وراجع أیضاً: سنن ابن ماجة:۱/۵۴۶، ومسند أحمد:۳/۱۶۲ وص ۱۷۷ وج ۵/۲۹۶ و۳۰۳، وسنن البیهقی:۴/۲۸۶، ومصنف عبد الرزاق:۱۱/۳۷۹، وکنز العمال:۴/۴۴۳ وج ۱۳/۴۵۳

من مجموع هذه النصوص يصل الباحث إلى نتائج قطعية متعددة، نذكر منها:

أولاً – أن القرشيين لم يتركوا حساسيتهم من بنى هاشم حتى بعد فتح مكة وإعلان إسلامهم! غاية الأمر أنهم استثنوا منهم شخص النبى صلى الله عليه وآله!

بل من حق الباحث أن يشك فى هذا أيضاً، فالطلقاء أسلموا مهزومين تحت السيف! ولم يكونوا يستطيعون أن يتفوهوا بحرف على شخص النبى صلى الله عليه وآله، وإلا كفروا وعرضوا أنفسهم لسيوف الأنصار!

ثانياً–أن القرشيين كانوا فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وفى عاصمته، وتحت لواء نبوته، وتحت سيوف الأنصار.. شرسين على أسرته وعشيرته صلى الله عليه وآله، وكانت ألسنتهم بذيئة على أصل النبى صلى الله عليه وآله وعشيرته، حتى ضجَّ من ذلك الأنصار، وجاؤوا يشكون إلى النبى صلى الله عليه وآله بذاءة قريش بحقه، طالبين منه معالجة هذه الألسنة المنافقة، أو إصدار أمر بتقتيلهم. وقد قال الهيثمى عن حديث شكوى الأنصار: رجاله رجال الصحيح!!

ثالثاً – أن الحوادث التى تكلم فيها القرشيون على أسرة النبى صلى الله عليه وآله متعددة، فقد نقلت كتب الحديث منها أكثر من عشرة حوادث، ولا بد أن ما لم تنقله أكثر وأعظم!!

رابعاً – أن النبى صلى الله عليه وآله كانت حساسيته من هذا الموضوع عالية جداً، وكان رده دائماً شديداً، فهو يتعامل معه على أنه موضوع دينى وليس موضوعاً شخصياً، لأن عدم الإيمان بأسرته الطاهرة، يساوق عدم الإيمان به صلى الله عليه وآله.

خامساً – أن إحدى الحوادث كانت كبيرة بذاتها، أو بالتراكم، فغضب الله تعالى لغضب نبيه صلى الله عليه وآله، وأمره بالرد على القرشيين (المسلمين الصحابة) وإتمام الحجة عليهم، وأنزل عليه جبرئيل ليكون إلى جانبه يوجهه ويجيبه عن أنساب القرشيين، وعن مستقبلهم فى الجنة أو فى النار!!!.

سادساً – أن النبى صلى الله عليه وآله أحضرهم فى المسجد وأمر الأنصار بمحاصرتهم بالسلاح، وخطب خطبةً نبويةً ناريةً بليغة عاصفة، صبَّ فيها الغضب الإلهى والنبوى على القرشيين، وتحداهم فى أنسابهم وأعمالهم ونواياهم! فلفُّوا رؤوسهم! واستغشوا ثيابهم! وعلا خنينهم وبكاؤهم! وكان ذلك أشد يوم عليهم!!!

فتدارك الموقف زعيمهم وتقدم وبرك على قدمى النبى صلى الله عليه وآله! وقبلها! وبكى له! ليعفو عنهم! ولا يفضح أنسابهم! وعشائرهم! ولا يصدر عليهم حكمه بالقتل، أو بالحرمان من الحقوق المدنية حتى أداء الشهادة!! فسكت النبى صلى الله عليه وآله ولم يقل لهم كلمة قبول أو عفو! وهدأت عاصفة الانتقام النبوى فى الدنيا!!

سابعاً – إنها قضيةٌ ضخمةٌ فى الحساب العقائدى والفقهى والسياسى، تستحق الدراسة ووضع النقاط على الحروف.. ولكن الخلافة القرشية تعرف كيف تتخلص منها، فتعتم عليها إن استطاعت، أو تحولها إلى مجد لقريش، ولا تسمح لبنى هاشم أن يستفيدوا منها!

ومن أجل هذا كانت براعة الخليفة عمر فى طريقة روايتها، ثم كانت براعة الرواة ومصنفى الصحاح فى تجزئتها وتقطيع أوصالها وتغييب حقيقتها!

وهذه هى مهمة جيل ما بعد الأنبياء!!

أما عبد الله بن الزبير الزهرى، فقد كان عنده عقدةٌ من بنى هاشم مع أنهم أخوال أبيه! وقد اشتهر عنه أنه لم يكن يطيق ذكرهم، وأنه ترك حتى ذكر النبى صلى الله عليه وآله والصلاة عليه فى خطبة الجمعة حتى لا تشمخ أنوف بنى هاشم بزعمه!

والظاهر أن القرشيين ربَّوه على كره بنى هاشم منذ كان غلاماً، وأن له مشاركة فى قصة الغضب النبوى!

فقد روى عنه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۸/۲۱۵ افتراء عجيباً على النبى فى ذم أهل بيته صلى الله عليه وآله حيث حول كلام قريش الذى غضب منه النبى صلى الله عليه وآله وغضب منه الله تعالى من فوق عرشه كما رأيت.. إلى حديث مسند عن النبى صلى الله عليه وآله!!

قال الهیثمی: وعن عبد الله ابن الزبیر عن النبی(ص)قال: مثلی ومثل أهل بیتی کمثل نخلة نبتت فی مزبلة. رواه الطبرانی وهو منکر، والظاهر أنه من قول الزبیر إن صح عنه، فإن فیه ابن لهیعة ومن لم أعرفه.

وعن ابن الزبیر أن قریشاً قالت: إن مثل محمد مثل نخلة فی کبوة. رواه البزار بإسناد حسن، وهذا الظن به.

براعة البخاری فی تضییع القضیة

المحدث العادی-فضلاً عن البخاری-یعرف أن هذا الحدیث قصةٌ واحدةٌ کما ذکر صاحب فتح الباری، أو اثنتان فی الأکثر.. وهنا تظهر براعة البخاری فی اختراع العناوین لجعل قطعة الحدیث تحتها، أو عقد باب مناسب لتغطیة حقیقة الحدیث!

ففی:۱/۳۱:

عقد له باباً باسم: باب الغضب فی الموعظة والتعلیم إذا رأی ما یکره. فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ!

وفی/۳۲:

جعله من نوع تأدب التلمیذ بین یدی معلمه فسمی الباب: باب من برک علی رکبتیه عند الإمام أو المحدث!

وفی/۱۳۶:

وضع جزءً منه تحت عنوان: باب وقت الظهر عند الزوال! بحجة أن خطبة النبی صلی الله علیه وآله النادرة القاصعة کانت عند الزوال!

وفی:۴/۷۳:

جعل جزءً منه تحت عنوان: ما جاء فی قول الله تعالی وَهُوَ الَّذِی یَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ.. بحجة أن الراوی قال: قام فینا النبی (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتی دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم!

وفی:۷/۱۵۷:

عقد له باباً باسم: باب التعوذ من الفتن! وکأن الموضوع کان حدیثاً هادئاً عاماً لکل الأمة عن الفتن الاتیة، وأن عمر قال: رضینا بالله رباً وبمحمد رسولاً... نعوذ بالله من الفتن!

وفی:۸/۱۴۲:

عقد له باباً باسم: باب ما یکره من کثرة السؤال وتکلف ما لا یعنیه وقوله تعالی: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ..!

وکان ینبغی له أن یسمی الباب: باب وجوب امتثال أمر النبی إذا أمر بالسؤال، وأن لا یربط الآیة به، ولا یحشرها فی هذا الموضوع أصلاً کما فعلت قریش، لأن موضوع الآیة کراهة السؤال، وموضوع الحدیث أمر النبی صلی الله علیه وآله المکرر المشدد لقریش أن یسألوه!

اللهم إلا یقصد البخاری بکراهة السؤال: کراهة إلحاح المعلم علی تلامیذه بقوله سلونی! فیکون الخطأ حینئذ من النبی صلی الله علیه وآله لأنه ألحَّ علیهم بالسؤال! ویکون موقف عمر تصحیحاً لخطأ النبی صلی الله علیه وآله کما هی عادته المشکورة!!

ماذا قال کبار الشراح؟

لا خبر عند شراح الصحاح بالقضیة، فلا رأوا شیئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا، ولا شموا رائحة شیء یستوجب التساؤل والبحث!!

قال ابن حجر فی فتح الباری:

قوله سئل النبی(ص)عن أشیاء..کان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلک من المسائل، کما سیأتی فی حدیث ابن عباس فی تفسیر المائدة!

قوله قال رجل: هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء، القرشی السهمی، کما سماه فی حدیث أنس الاتی.

قوله فقام آخر: هو سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة، سماه بن عبد البر فى التمهيد فى ترجمة سهيل بن أبى صالح، وأغفله فى الاستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين، ولا من صنف فى المبهمات ولا فى أسماء الصحابة، وهو صحابى بلا مرية، لقوله فقال من أبى يا رسول الله؟ ووقع فى تفسير مقاتل فى نحو هذه القصة أن رجلاً من بنى عبد الدار قال من أبى؟ قال سعد: نسبه إلى غير أبيه، بخلاف ابن حذافة! وسيأتى مزيد لهذا فى تفسير سورة المائدة.

قوله فلما رأى عمر.. هو بن الخطاب..ما فى وجهه، أى من الغضب، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله، أى مما يوجب غضبك، وفى حديث أنس الآتى بعد أن عمر برك على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، والجمع بينهما ظاهر، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابيين ما حفظ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما فى نقل قصة عبد الله بن حذافة.

تنبيه: قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأمورٌ أن لا يقضى وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون فى صورة الغضبان، لأن مقامه يقتضى تكلف الإنزعاج لأنه فى صورة المنذر!!

وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً فى حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين. وأما الحاكم فهوبخلاف ذلك كما يأتى فى بابه.

فإن قيل: فقد قضى عليه الصلاة والسلام فى حال غضبه حيث قال: أبوك فلان!

فالجواب: أن يقال أولاً، ليس هذا من باب الحكم!! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة، فاستوى غضبه ورضاه، ومجرد غضبه من الشئ دالٌّ على تحريمه أو كراهته، بخلاف غيره(ص).

قوله باب من برك: هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال: برك البعير إذا استناخ، واستعمل فى الادمى مجازاً.

قوله خرج، فقام عبد الله بن حذافة: فيه حذف يظهر من الرواية الأخرى، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه، فغضب!! فقال سلونى، فقام عبد الله.

قوله فقال رضينا بالله رباً..قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الاسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشئ أن تنزل العقوبة بسبب ذلك! فقال رضينا بالله رباً الخ. فرضى النبى(ص)بذلك، فسكت!

قوله وقال سلونى: فى حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال: لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم.

وفى رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبى حاتم: فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر، وبين فى رواية الزهرى المذكورة فى هذا الباب وقت وقوع ذلك، وأنه بعد أن صلى الظهر، ولفظه: خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، ثم قال: من أحب (!) أن يسأل عن شئ فليسأل عنه، فذكر نحوه.

قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبى؟ بين فى حديث أنس من رواية الزهرى اسمه، وفى رواية قتادة سبب سؤاله، قال فقام رجل كان إذا لاحى أى خاصم دعى إلى غير أبيه، وذكرت اسم السائل الثانى، وأنه سعد، وأنى نقلته من ترجمة سهيل بن أبى صالح من تمهيد بن عبد البر.

وزاد فى رواية الزهرى الاتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يا رسول الله؟ قال: النار! ولم أقف على اسم هذا الرجل فى شئ من الطرق كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه!

وللطبرانى من حديث أبى فراس الاسلمى نحوه، وزاد: وسأله رجل فى الجنة أنا؟ قال: فى الجنة، ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبى(ص)قال فى خطبته: لا يسألنى أحد عن شئ إلا أخبرته، ولو سألنى عن أبيه، فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيبة فقال من: أنا يا رسول الله؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبة. وفيه فقام رجل من بنى أسد فقال: أين أنا؟ قال: فى النار!! فذكر قصة عمر، قال فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.. الآية.

ونهى النبى(ص)عن قيل وقال، وكثرة السؤال (؟!) وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، فإن المساءة فى حق هذا جاءت صريحة بخلافها فى حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطريق الجواز أى لو قدر أنه فى نفس الأمر لم يكن لابيه، فبين أباه الحقيقى لافتضحت أمه، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال، كما تقدم فى كتاب الفتن.

قوله: فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله(ص)من الغضب.. بين فى حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففى رواية هشام فإذا كل رجل لافاً رأسه فى ثوبه يبكى، وزاد فى رواية سعيد بن بشير: وظنوا أن ذلك بين يدى أمر قد حضر! وفى رواية موسى بن أنس عن أنس الماضية فى تفسير المائدة: فغطوا رؤوسهم ولهم حنين..زاد مسلم من هذا الوجه: فما أتى على أصحاب رسول الله(ص)يوم كان أشد منه!

قوله: فقال إنا نتوب إلى الله عز وجل.. زاد فى رواية الزهرى: فبرك عمر على ركبته فقال رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. وفى رواية قتادة من الزيادة نعوذ بالله من شر الفتن. وفى مرسل السدى عند الطبرى فى نحو هذه القصة: فقام إليه عمر فقبل رجله وقال رضينا بالله رباً فذكر مثله، وزاد: وبالقرآن إماماً فاعف عفى الله عنك فلم يزل به... حتى رضى.

وفى هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبى (ص)وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لامر يعم فيعمهم، وإدلال عمر عليه وجواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب فى الموعظة، وبروك الطالب بين يدى من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدى المتبوع إذا سأله فى حاجة، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شئ قد يظهر منه قرينة وقوعها، واستعمال المزاوجة فى الدعاء فى قوله اعف عفى الله عنك، وإلا فالنبى(ص) معفوٌّ عنه قبل ذلك.

قال ابن عبد البر: سئل مالك عن معنى النهى عن كثرة السؤال، فقال: ما أدرى أنهى عن الذى أنتم فيه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال.

قال بن عبد البر: الظاهر الأول، وأما الثانى فلا معنى للتفرقة بين كثرته وقلته، لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز.

قال: وقيل كانوا يسألون عن الشئ ويلحون فيه إلى أن يحرم. قال: وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عن النوازل والاغلوطيات والتوليدات، كذا.

وقال النووى فى شرح مسلم:۸/۲۹۱ فى سبب غضب النبى صلى الله عليه وآله كما تصوره أو صوره:

قوله: رجل أتى النبى فقال كيف تصوم فغضب رسول الله(ص).. قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته، لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهى أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه، وكان يقتضى حاله أكثر منه!!

وقال فى:۱۵-۱۶/۱۱۱:

قوله: غطوا رؤوسهم ولهم خنين، هو بالخاء المعجمة هكذا هو فى معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالحاء المهملة. وممن ذكر الوجهين القاضى وصاحب التحرير وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الانتحاب. قالوا وأصل الخنين خروج الصوت من الانف كالحنين بالمهملة من الفم. وقال الخليل: هو صوت فيه غنة، وقال الاصمعى: إذا تردد بكاؤه فصار فى كونه غنة فهو خنين. وقال أبو زيد: الخنين مثل الخنين وهو شديد البكاء.

قوله: فلما أكثر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول: سلونى برك عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال عمر ذلك. قال العلماء: هذا القول منه (صلى الله عليه وآله وسلم) محمولٌ على أنه أوحى إليه وإلا فلا يعلم كل ما سئل عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى.

قال القاضى: وظاهر الحديث أن قوله (صلى الله عليه وآله): سلونى إنما كان غضباً كما قال فى الرواية الأخرى سئل النبى (صلى الله عليه وآله) عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلونى. وكان اختياره(ص)ترك تلك المسائل، لكن وافقهم فى جوابها، لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها!! والله أعلم.

وأما بروک عمر(رض) وقوله: فإنما فعله أدباً وإکراماً لرسول الله (صلی الله علیه وآله) وشفقةً علی المسلمین لئلا یؤذوا النبی (صلی الله علیه وآله) فیهلکوا!!

ومعنی کلامه: رضینا بما عندنا من کتاب الله تعالی وسنة نبینا محمد (صلی الله علیه وآله)واکتفینا به عن السؤال. ففیه أبلغ کفایة. انتهی.

وأنت تری أن ابن حجر والنووی غائبان عن کلام النبی صلی الله علیه وآله، وأن فی کلامهما تهافتاً ونقاط ضعف کثیرة لا نطیل فیها.. ولیس کلام غیرهما من الشراح أفضل، وإن کان فیه مادة مهمة لمن أراد أن یتتبع ملف القضیة!

الحادثة فی بعض روایات أهل البیت

قال النیشابوری فی الفضائل/۱۳۴:

عن سلیم بن قیس یرفعه إلی أبی ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب: إنی مررت بفلان یوماً فقال لی: ما مثل محمد فی أهل بیته إلا کمثل نخلة نبتت فی کناسة! قال: فأتیت رسول الله صلی الله علیه وآله فذکرت ذلک له، فغضب غضباً شدیداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففزعت الأنصار ولبسوا السلاح، لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام یعیرون أهل بیتی؟!! وقد سمعونی أقول فی فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالی به، وفضل علیاً علیهم بالکرامة وسبقه إلی الإسلام وبلائه، وأنه منی بمنزلة هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی!

ثم إنهم یزعمون أن مثلی فی أهل بیتی کمثل نخلة نبتت فی کناسة! ألا إن الله سبحانه وتعالی خلق خلقه وفرقهم فرقتین، وجلعنی فی خیرها شعباً وخیرها قبیلة، ثم جعلهم بیوتاً فجعلنی فی خیرها بیتاً، حتی حصلت فی أهل بیتی وعشیرتی وبنی أبی، أنا وأخی علی بن أبی طالب....

أنا خیر النبیین والمرسلین، وعلی خیر الوصیین، وأهل بیتی خیر بیوت أهل النبیین، وفاطمة ابنتی سیدة نساء أهل الجنة أجمعین.

أیها الناس: أترجون شفاعتی لکم، وأعجز عن أهل بیتی؟!

أیها الناس: ما من أحد غداً یلقی الله تعالی مؤمناً لا یشرک به شیئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه کتراب الأرض.

أیها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلی لی الله عز وجل، فسجدت بین یدیه ثم أذن لی فی الشفاعة، لم أوثر علی أهل بیتی أحداً.

أیها الناس: عظموا أهل بیتی فی حیاتی وبعد مماتی، وأکرموهم وفضلوهم، لا یحل لاحد أن یقوم لاحد غیر أهل بیتی، فانسبونی من أنا؟!

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأیدهم السلاح، وقالوا: نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا یا رسول الله من آذاک فی أهل بیتک حتی نضرب عنقه؟!!

قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، ثم انتهی بالنسب إلی نزار، ثم مضی إلی إسماعیل بن إبراهیم خلیل الله، ثم مضی منه إلی نوح، ثم قال: أنا وأهل بیتی کطینة آدم علیه السلام نکاح غیر سفاح!

سلونی، والله لا یسألنی رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبیه!

فقام إلیه رجل فقال: من أنا یا رسول الله؟ فقال: أبوک فلان الذی تدعی إلیه! قال فارتد الرجل عن الإسلام.

ثم قال صلی الله علیه وآله والغضب ظاهر فی وجهه: مایمنع هذا الرجل الذی یعیب علی أهل بیتی وأهلی وأخی ووزیری وخلیفتی من بعدی وولی کل مؤمن ومؤمنة بعدی، أن یقوم ویسألنی عن أبیه، وأین هو فی جنة أم فی نار؟!

قال فعند ذلک خشیء فلان علی نفسه أن یذکره رسول الله صلی الله علیه وآله ویفضحه بین الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله

وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك. فاستحى النبى صلى الله عليه وآله وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل صلى الله عليه وآله!!

وقال فرات الكوفى فى تفسيره/۳۹۲:

حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمى قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلى، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبى رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبرينى جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس. قالت: نعم أخبرنى أبى أن النبى صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبى صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إنى لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإنى لم أؤمر بشئ، وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك، وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبنى عبد المطلب!!

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى على بن أبى طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير موإليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!!

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن مالهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويلٌ لقريش من تأويلهن! ثلاث مرات. ثم قال: يا على إنطلق فأخبرهم أنى أنا الأجير الذى أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية، وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله مزية. ثم قال: إن الله مثَّل لى أمتى فى الطين، وعلمنى أسماءهم كما علَّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم فمر بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته، وسألت ربى أن تستقيم أمتى على على من بعدى، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. انتهى.

وقال محمد بن سليمان فى المناقب:۲/۱۲۲:

عن عبد المطلب بن أبى ربيعة قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضهم بعضاً لقوا ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه ننكرها! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، ثم قال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله. هكذا قال خالد قال أبو خليفة، فأما أبى فحدثناه عن يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبدالله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب (رض)قال: قلت: يا رسول الله.. فذكر نحوه أو مثله.

وقال فى هامشه:

وروى أبوبكر ابن أبى شيبة فى الحديث الأول والثالث من فضائل العباس من كتاب الفضائل تحت الرقم: ۱۲۲۵۹ والرقم: ۱۲۲۶۱ من كتاب المصنف::۱۲/۱۰۸ – ۱۰۹ قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثنى عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله(ص)وهو مغضب، فقال له رسول الله (ص): من أغضبك؟ قال: يا رسول الله مالنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟! قال: فغضب رسول الله(ص) حتى احمر وجهه، وحتى

استدر عرْق بين عينيه، وكان إذا غضب استدر العرق - فلما سرى عنه قال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال: أيها الناس من آذى العباس فقد آذانى إنما عم الرجل صنو أبيه.

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى الضغائن فى وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم. فقال النبى (ص): لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتى، ترجو سلهب شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟!

أقول: والحديث الأول رواه الحاكم فى فضائل العباس من كتاب المستدرك: ۳/۳۳۲ قال: أخبرنا الشيخ أبوبكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبوبكر بن أبى شيبة قالوا:...

وأيضاً الأولان رواهما أحمد بن حنبل فى مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند، ورواه عنه ابن كثير فى تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره.

وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد فى ترجمة العباس من تاريخ دمشق، كما أورده أيضاً البدران فى تهذيبه::۷/۲۳۹ فراجعهما.

وروى عمر بن شبه فى عنوان: ذكر فضل بنى هاشم... من تاريخ المدينة المنورة: ۲/۶۳۹ قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضها بعضاً لقوا ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها! فغضب النبى غضباً شديداً فقال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله حدثنا خلف بن الوليد قال: حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه بنحوه.

حدثنا عمرو بن عون قال: أنبأنا بن عبدالله عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص)فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا نبى الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال: فغضب النبى(ص)حتى احمرَّ وجهه وقال: لا يدخل قلب رجال الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وحدثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها! فقال رسول الله (ص): أما إن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لى.

حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى: عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله(ص)فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير - أو قال الإيمان - حتى يحبوكم لله لقرابتى، أيرجو سؤلهم شفاعتى من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى. انتهى.

وسعوا شفاعة النبى لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته

شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تتسع لكل المسلمين.. بل لكل الموحدين.. بل لكل الخلق.. هذا ما تقوله مصادر إخواننا السنيين.. ولكن هذه المصادر عندما تصل إلى آباء النبى صلى الله عليه وآله وأسرته تختلف لهجتها! فالشفاعة لا تشملهم، بل هم فى النار والعذاب.. وأحسنهم حالاً أبو طالب الذى (يشفع) له النبى صلى الله عليه وآله لأنه نصره، فلا تؤثر شفاعته فيه بسبب شرك أبى طالب وكثرة ذنوبه! فيضعه الله تعالى فى ضحضاح ماء نارى يغمر قدميه فيغلى منه دماغه!!

وفيما يلى نستعرض ما رواه السيوطى فى تفسير قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ. ولكى أن تلاحظ التأثيرات القرشية على هذه الروايات.

وينبغى أولاً- أن نشير إلى أن مرحلة (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) هى المرحلة الأولى من دعوة النبى صلى الله عليه وآله وهى مرحلة الدعوة الخاصة لأقاربه بنى هاشم، وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنين، ثم بدأت عدها المرحلة العامة، عندما أمره الله تعالى بأن

يصدع بدعوته لعامة الناس..

ولكن المؤرخين أتباع الخلافة القرشية يعتّمون على هذه المرحلة، أو يسمونها المرحلة السرية، أو مرحلة ما قبل دار الأرقم.. الخ. وقد أعطوا لدار الأرقم دوراً خيالياً لطمس حقيقة أن الدعوة الإلهية اختصت فى مرحلتها الأولى ببنى هاشم، وأنهم وحدهم حموا النبى صلى الله عليه وآله من فراعنة قريش، وقد فعل ذلك مسلمهم إيماناً، وكافرهم حميةً، وتحملوا جميعاً ماعدا أبى لهب قرار المقاطعة والحصار القرشئ ثلاث سنوات بل أربع سنوات..حتى فك الله حصارهم بمعجزة!!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۵:

قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ..

أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخارى ومسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان وفى الدلائل عن أبى هريرة (رض) قال لما نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، دعا رسول الله(ص)قريشاً وعم وخص، فقال:

يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى قصى أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا بنى عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، إلا أن لكم رحماً وسأبلها ببلالها.

وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، جعل يدعوهم قبائل قبائل. انتهى.

ففى هذه الرواية (الصحيحة) فى مصادرهم صار معنى (عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ) كل قريش! وصار تعبير (ٱلأَقْرَبِينَ) غلطاً قرآنياً يلزم على قريش أن تصححه! لأنه لم يبق معنى لعشيرته الأبعدين والأوسطين!

وصار أول ما قاله النبى صلى الله عليه وآله لهم: إن قرابتى لا تنفعكم وشفاعتى لا تنالكم! وصار كل القرشيين أرحام النبى الذين وعدهم بصلة الرحم والشفاعة يوم القيامة!

ولكن هذا الكلام يناسب منطق النبى صلى الله عليه وآله بعد انتصاره وفتحه مكة مثلاً، ولا يناسب بداية نبوته ودعوته عشيرته الأقربين للتوحيد والإسلام! وقد ورد شبيهٌ لذلك عند فتح مكة.

غير أن القرشيين يريدون سلب أى امتياز أعطاه الله ورسوله لبنى هاشم، فالامتيازات لقريش كلها، لا لبنى هاشم! وفى نفس الوقت يريدون خلط أنفسهم بعشيرة النبى صلى الله عليه وآله والإستفادة من قرابته أمام العالم!

وقد استفادوا منه فعلاً فى مقابل الأنصار فى السقيفة، وقامت خلافة أبى بكر وعمر على حق (قرابتهما) من النبى صلى الله عليه وآله! بل تجرأ رواة القرشيين ووضعوا على لسان النبى صلى الله عليه وآله أن عشيرته الأقربين هم كل قريش!

قال فى الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردويه عن عدى بن حاتم أن النبى(ص)ذكر قريشاً فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، يعنى قومى!

وفى مسند أحمد:۲/۳۳۳:

عن أبى هريرة قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، جعل يدعو بطون قريش بطناً بطناً يا بنى فلان أنقذوا أنفسكم من النار.. حتى انتهى إلى فاطمة فقال: يا فاطمة ابنة محمد، أنقذى نفسك من النار، لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها.

ولكن روايات أخرى فلتت منهم واعترفت بأن عشيرته الاقربين تعنى بنى هاشم فقط!

قال فى الدر المنثور:۵/۹۸: قوله تعالى: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ.. الآيتين، أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ، بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ. انتهى.

فالرواية تعترف بأن عشيرته الاقربين هم أهل بيته وفصيلته، لكنها تجعل الآية التى بعدها لبقية المسلمين! ولكن من هم المسلمون الذين شق عليهم ذلك! وهل كان يوجد مسلم من غير بنى هاشم عند نزول الآية؟!

لقد كان الأولى بالرواية أن تقول: شقَّ ذلك على قريش قبل إسلامها، وبعد أن اضطرت للدخول فى الإسلام، فجعلت خلافة النبى صلى الله عليه وآله إرثاً لها دون بنى هاشم!

روايات أخرى غير منطقية أيضا

من عادة المفسرين عندما يصلون إلى آية فى حق أهل البيت (عليهم السلام) أن يحشدوا الآراء والإحتمالات والروايات المتناقضة فيها، ليضيعوا بذلك مناقب عترة نبيهم صلى الله عليه وآله! ومما حشده المفسرون هنا:

ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۶ قال:

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة (رض): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ، قال ذكر لنا أن نبى الله(ص)نادى على الصفا بأفخاذ عشيرته فخذاً فخذاً يدعوهم إلى الله فقال فى ذلك المشركون: لقد بات هذا الرجل يهوت منذ الليلة.

قال وقال الحسن (رض): جمع نبى الله(ص)أهل بيته قبل موته فقال: ألا إن لى عملى ولكم عملكم، ألا إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ألا إن أوليائى منكم المتقون، ألا لا أعرفنكم يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، ويأتى الناس يحملون الآخرة. يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد إعملا فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئاً. انتهى.

أما رواية قتادة فإن النداء على الصفا يناسب المرحلة العامة التى أمر النبى فيها أن يصدع بالدعوة لكل الناس.. أما إنذار عشيرته الخاصين الذين كان عدد رجالهم أربعين نفراً فيناسبه أن يدعوهم إلى طعام ويحدثهم كما ورد فى الروايات المعقولة.

وأما رواية قتادة عن الحسن البصرى إن صحت فلا علاقة لها بالموضوع، لأنها عند وفاته صلى الله عليه وآله والآية نزلت فى أول بعثته!

ومع أن الحسن البصرى غلامٌ فارسى، فهو مع قبائل قريش وحساسيتها ضد أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ويريد أن يقول بهذه الرواية إن النبى صلى الله عليه وآله كان يخاف من حرص ابنته فاطمة وعمته صفية وعترته على الدنيا، ولذلك جمعهم وحذرهم!

وقال فى الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن رسول الله(ص)قال: يا بنى هاشم ويا صفية عمة رسول الله، إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، إياكم أن يأتى الناس يحملون الآخرة وتأتون أنتم تحملون الدنيا، وإنكم تردون على الحوض ذات الشمال وذات اليمين، فيقول القائل منكم يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، فأعرف الحسب وأنكر الوصف، فإياكم أن يأتى أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على ظهره فرساً ذات حمحمة، أو بعيراً له رغاء، أو شاة لها ثغاء، أو يحمل قشعاً من أدم، فيختلجون من دونى، ويقال لى إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك! فطيبوا نفساً وإياكم أن ترجعوا القهقرى من بعدى!

قال عكرمة (رض): إنما قال لهم رسول الله(ص)هذا القول حيث أنزل الله عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ انتهى.

ومع أن عكرمة غلامٌ لابن عباس الهاشمى، لكنه معروفٌ ببغضه لعترة النبى صلى الله عليه وآله حتى أنه انضم إلى الخوارج. وهو بهذا التفسير يقول إن علياً وفاطمة وعترة النبى انحرفوا بعد النبى صلى الله عليه وآله ورجعوا بعده القهقرى! لانهم عارضوا خلافة قريش ولم يطيبوا نفساً عن الخلافة لقريش، ولذلك سوف يمنعون من ورود الحوض، ولا تنالهم شفاعة النبى صلى الله عليه وآله

لقد أخذ عكرمة عبارات النبى صلى الله عليه وآله التى روت الصحاح أنه قالها عن صحابته الذين يرتدون من بعده ويمنعون من ورود

حوضه يوم القيامة، وجعلها لعشيرة النبى صلى الله عليه وآله الأقربين، ثم ادعى عكرمة أن النبى كان يعرف هذا الإنحراف من أول يوم أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين!

وقد روى السيوطى نفس مضمون عكرمة عن أبى أمامة أيضاً.

ثم قال فى الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر والديلمى عن عبد الواحد الدمشقى قال: رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده وأهل بيته جلوس فى جانب الدار يتحدثون، فقيل له: يا أبا الدرداء ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين؟! فقال: إنى سمعت نبى الله(ص)يقول: إن أزهد الناس فى الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون! وذلك فيما أنزل الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.. إلى آخر الآية. انتهى.

فهؤلاء الرواة الشاميون يريدون أن يقولوا على لسان أبى الدرداء: إن أولاد النبى وعترته صلى الله عليه وآله كانوا لاهين عن علمه كأولاد أبى الدرداء! وإن بنى هاشم كانوا أشد الناس على النبى صلى الله عليه وآله فقد كذبوه وأرادوا قتله، وحاصروه فى شعب بنى أمية!! لكن القرشيين حموه من بنى هاشم، وتحملوا معه الحصار أربع سنوات، فحق لهم أن يرثوه ويحكموا من بعده، خاصة آل أبى سفيان الكرام!!

ويطول بنا الكلام إذا أردنا أن ننقد كل ما رووه فى تفسير هذه الآية، وكيف جردوا عترة النبى وعشيرته الاقربين صلى الله عليه وآله من كل فضيلة، وحرموهم من كل امتياز أعطاهم إياه الله تعالى ورسوله!

ولكنا نشير هنا إلى أن الرواة خلطوا عن عمد وبعضهم عن جهل بين أربع حوادث: الأولى: نزول الآية وبداية إنذار النبى صلى الله عليه وآله لبنى عبد المطلب بدعوتهم إلى طعام.

والثانية: مرحلة الإنذار العام عندما صعد النبى صلى الله عليه وآله على الصفا فى المرحلة الثانية من الدعوة، ونادى واصباحاه، وبدأ يدعو قريشاً والعالم.

والثالثة: عندما دخل النبى صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، وخضع له أبو سفيان وبقية أئمة الكفر من قريش، وأحس بعض بنو عبد المطلب بالنصر والفخر، وامتلات قلوب القرشيين حسداً لهم، وتفكيراً فى مرحلة ما بعد النبى صلى الله عليه وآله.

والرابعة: فى مرض وفاته صلى الله عليه وآله عندما شكى له بنو هاشم ما يحسونه من خطر قبائل قريش عليهم من بعده وتحالفهم على إبعادهم.

وإليك أهم ما بقى من روايات السيوطى المخلوطة فى تفسير آية الاقربين:

قال فى الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردويه عن البراء قال لما نزلت على النبى (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، صعد النبى(ص)ربوةً من جبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعوا فحذرهم وأنذرهم، ثم قال: لا أملك لكم من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك من الله شيئاً. انتهى.

وأخرج مسدد ومسلم والنسائى وابن جرير والبغوى فى معجمه والباوردى والطحاوى وأبو عوانة وابن قانع والطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن قبيصة بن مخارق وزفير بن عمرو قالا: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، انطلق رسول الله(ص)إلى ربوة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم قال: يا بنى عبد مناف إنى نذير لكم، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشئ أن يسبقوه إلى أهله، فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه، أُتيتم أُتيتم.

وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن مردويه عن أبى موسى الأشعرى قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وضع رسول الله (ص) اصبعيه فى أذنيه ورفع صوته وقال: يا بنى عبد مناف يا صباحاه.

وأخرج ابن مردويه عن الزبير بن العوام قال: لمانزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، صاح على أبى قبيس: يا آل عبد مناف إنى نذير فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم.

وأخرج سعيد بن منصور والبخارى وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، ورهطك منهم المخلصين خرج النبى(ص)حتى صعد على الصفا فنادى: يا صباحاه فقالوا: من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟

قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً.

قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: تبت يدا أبى لهب وتب. انتهى.

فهذه الروايات تناسب بداية مرحلة الدعوة العامة كما أشرنا، وقد جعلوها لمرحلة الدعوة الخاصة ببنى هاشم، وذكروا فيها فاطمة الزهراء عليها السلام قبل ولادتها!!

أما الرواية اليتيمة المعقولة التى رواها السيوطى فهى حديث الدار المعروف..

قال فى الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل من طرق عن على (رض) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، دعانى رسول الله(ص)فقال: يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنى مهما أبادؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليها حتى جاء جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لى صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واجعل لنا عِسَّاً من لبن، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به، ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول النبى(ص)بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة، ثم قال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما ترى إلا آثار أصابعهم! والله إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم!

ثم قال: إسق القوم يا على، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله!

فلما أراد النبى(ص)أن يكلمهم بدره أبولهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم النبى(ص).

فلما كان الغد قال: ياعلى إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا بمثل الذى صنعت بالامس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لى ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلم النبى (ص) فقال:

يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم أحداً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرنى على أمرى هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً: إنه أنا، فقام القوم يضحكون. انتهى.

ورواها السيوطى بسند آخر عن ابن مردويه عن البراء بن عازب، قال: لما نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، جمع رسول الله(ص)بنى عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، منهم العشرة يأكلون المسنة ويشربون العس... الخ. انتهى.

– وقد روى المحدثون ومؤرخو السيرة هذا الحديث، لكن السيوطى بتره هنا ولم يذكر بقية كلام النبى صلى الله عليه وآله.. وهو أسلوب دَأَبَ رواة خلافة قريش على ارتكابه ضد عترة النبى وأسرته صلى الله عليه وآله، والسبب فى ذلك أن بقية الحديث تقول إن الله أمر رسوله من ذلك اليوم أن يختار وزيراً وخليفة من عشيرته الأقربين!

قال الأمینی فی الغدیر:۱/۲۰۷:

وهـا نحن نـذکر لفـظ الطبری بنصه حتی یتبین الرشـد من الغی، قـال فی تاریخه:۲/۲۱۷ من الطبعـة الأولی: إنی قـد جئتکم بخیر الـدنیا والآخرة، وقد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه، فأیکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی ووصیی وخلیفتی فیکم؟

قال: فأحجم القوم عنها جمیعاً، وقلت وإنی لاحدثهم سـناً وأرمصـهم عیناً وأعظمهم بطناً، وأحمشـهم ساقاً: أنا یا نبی الله أکون وزیرک علیه. فأخذ برقبتی ثم قال: إن هذا أخی ووصیی وخلیفتی فیکم فاسمعوا له وأطیعوا.

قال: فقام القوم یضحکون ویقولون لابی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیع!!

وقال الأمینی فی:۲/۲۷۹:

وبهـذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الاسـکافی المتکلم المعتزلی البغـدادی المتوفی ۲۴۰ فی کتـابه نقض العثمانیـة وقال: إنه روی فی الخبر الصحیح.

ورواه الفقیه برهـان الـدین فی (أنبـاء نجبـاء الأبنـاء)/ ۴۶ – ۴۸ وابـن الاـثیر فی الکامـل ۲/۲۴ وأبو الفـداء عمـاد الـدین الدمشـقی فی تاریخه:۱/۱۱۶ وشـهاب الدین الخفاجی فی شـرح الشفا للقاضی عیاض: ۳/۳۷ (وبتر آخره) وقـال: ذکر فی دلایل البیهقی وغیره بسـند صحیـح. والخازن علاء الدین البغدادی فی تفسـیره/۳۹۰ والحافظ السـیوطی فی جمع الجوامع کمـا فی ترتیبه:۶/۳۹۲ نقلاـ عن الطبری وفی/۳۹۷ عن الحفاظ السـتة: ابن إسـحاق وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه وأبی نعیم والبیهقی. وابن أبی الحدید فی شرح نهج البلاغة ۳/۲۵۴. انتهی.

ثم شکا صاحب الغدیر من تحریف الذین حرفوا الحدیث لارضاء قریش، ومنهم الطبری الذی رواه فی تفسیره بنفس سنده المتقدم فی تاریخه، ولکن أبهم کلام النبی صـلی الله علیه وآله فی حق علی (رض) فقال: ثم قال: إن هـذا أخی وکذا وکذا. وتبعه علی ذلک ابن کثیر فی البدایة والنهایة ۳/۴۰ وفی تفسیره ۳/۳۵۱

وقال فی مناقب آل أبی طالب:۱/۳۰۵ وما بعدها:

وأما بیعة العشیرة، قال النبی صلی الله علیه وآله: بعثت إلی أهل بیتی خاصة، وإلی الناس عامة

وهذا النص النبوی هو أصح تفسیر لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ.

وقد ذکر فی المناقب أن السید الحمیری نظم هذه المنقبة لبنی هاشم فقال:

وقیل له أنذر عشیرتک الآلی وهم من شباب أربعین وشیبِ

فقال لهم إنی رسول الیکم ولست أرانی عندکم بکذوب

وقد جئتکم من عند رب مهیمن جزیل العطایا للجزیل وهوب

فأیکم یقفوا مقالی فأمسکوا فقال ألا من ناطق فمجیبی

ففاز بها منهم علیٌّ وسادهم وما ذاک من عاداته بغریب

وله أیضاً:

ویوم قال له جبریل قد علموا أنذر عشیرتک الادنین إن بصرو

فقام یدعوهم من دون أمته فما تخلـف عنه منهم بشـر

فمنهم آکلٌ فی مجلس جذعاً وشاربٌ مثل عس وهو مختفر

فصدهم عن نواحی قصعة شبعاً فیها من الحب صاع فوقه الوزر

فقال یا قوم إن الله أرسلنی الیکـم فأجیبـوا الله وادَّکِـرو

فأیکم یجتبی قولی ویؤمن بی إنی نبی رسول فانبری غُـدَرُ

فقـال تبـاً أتدعـونا لتلفتنـا عن ديننا ثم قام القوم فانشمرو

من الذى قال منهم وهو أحدثهم سناً وخيرهم فى الذكر إذ سطرو

آمنت بالله.. قد أعطيتَ نافلةً لم يعطها أحد جنٌّ ولا بشـر

وإن مـا قلتـه حـقٌّ وإنهـم إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسرو

ففاز قدماً بها والله أكرمـه فكان سباق غايات إذا ابتدرو

وقال دعبل:

سقيـاً لبيعـة أحمـد ووصيـه أعنى الإمام ولينا المحسود

أعنى الذى نصر النبى محمداً قبل البرية ناشياً ووليد

أعنى الذى كشف الكروب ولم يكن فى الحرب عند لقائها رعديد

أعنى الموحد قبل كل موحد لا عابداً وثناً ولا جلمود

وقال فى هامش بحار الأنوار:۳۲/۲۷۲:

وناهيـك من ذلـك مؤاخـاته مع رسـول الله صـلى الله عليه وآله بـأمر من الله عز وجـل فى بـدء الإسـلام حين نزل قوله تعـالى: وَأَنْـذِرْ عَشِيرَتَكَ أَلاَقْرَبِينَ...

راجع تاريخ الطبرى ۲ – ۳۲۱ كامل ابن الاثير ۲ – ۲۴ تاريخ أبى الفداء ۱ – ۱۱۶ والنهج الحديدى ۳ – ۲۵۴ مسند الإمام ابن حنبل ۱ – ۱۵۹ جمع الجوامع ترتيبه ۶ – ۴۰۸ كنز العمال ۶ – ۴۰۱.

وهـذه المؤاخـاة مع أنها كانت بأمر الله عزوجل إنما تحققت بصورة البيعـة والمعاهـدة (الحلف) ولم يكن للنبى صـلى الله عليه وآله أن يأخـذ أخـاً ووزيراً وصاحباً وخليفـة غيره ولا لعلى أن يقصـر فى مؤازرته ونصـرته والنصـح له ولـدينه كمؤازرة هارون لموسـى على ما حكـاه الله عزو جـل فى القرآن الكريم. ولـذلك ترى رسول الله صـلى الله عليه وآله حين يؤاخى بعـد ذلـك المجلس بين المهـاجرين بمكة فيؤاخى بين كل رجل وشـقيقه وشـكله: يؤاخى بين عمر وأبى بكر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وعبد الله بن مسـعود، وبين عبيـدة بن الحـارث وبلالـ، وبين مصـعب بن عمير وسـعد بن أبى وقـاص، وبين أبى عبيـدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبى (راجع سيرة ابن هشام ۱–۵۰۴ المحبر ۷۱–۷۰ البلاذرى ۱/۲۷۰)

يقول لعلى عليه السـلام: والذى بعثنى بالحق نبياً ما أخرتك إلا لنفسـى فأنت منى بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبى بعدى، وأنت أخى ووارثى وأنت معى فى قصرى فى الجنة. ثم قال له: وإذا ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، ولا يدعيها بعدى إلا كاذب مفتر (الرياض النضرة ۲–۱۶۸ منتخب كنز العمال ۵–۴۵ و ۴۶).

ولذلك نفسه تراه صـلى الله عليه وآله حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا إليه رؤسهم ثم عرض نفسه على بنى عامر بن صعصعة قال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: والله لو أنى أخذت هـذا الفتى من قريش لأـكلت به العرب ثم قـال لرسول الله: أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضـعه حيث يشاء! قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه (راجع سـيرة ابن هشام ۱–۴۲۴ الروض الأنف ۱–۲۶۴ بهجة المحافل ۱–۱۲۸ سيرة زينى دحلان ۱–۳۰۲ السيرة الحلبية ۲–۳). فلولا أنه صـلى الله عليه وآله كان تعاهـد مع على عليه السـلام بالخلافة والوصاية بأمر من الله عز وجل، قبل ذلك لَمَا ردهم بهذا الكلام المؤيس، وهو بحاجة ماسة من (..) نصرة أمثالهم. انتهى.

وختاماً فإن ما أوردناه يكفى لإثبات أن قبائل قريش كانت قبل الإسـلام تحسـد قبيلـة بنى هاشم حسـداً إلى العظم، وأنها بعـد إسـلامها وخضوعها للنبى صـلى الله عليه وآله ابن بنى هاشم! لم تشف من هـذا المرض، بل انتقل حسدها وحساسيتها إلى عشيرة النبى وعترته

من أهل بيته صلى الله عليه وآله واتفقوا عزلهم سياسياً بعد النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى هـذا الأساس يجب على المؤمن والباحث أن يكون حـذراً فى تصديق أحاديث المصادر القرشـية فى هذا الموضوع، وفى كل ما يتعلق ببنى هاشم.. ومن ذلك الأحاديث التى تنفى وعد الرسول صلى الله عليه وآله لاسرته بالشفاعة الخاصة فى الآخرة..

اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم

كل مطلع على سيرة النبى صـلى الله عليه وآله يعرف أن عمه أبا طالب كان حاميه وناصـره، وأنه بحمايته ونصـرته اسـتطاع أن يصـدع بدعوته، وبحكمة أبى طالب ونفوذه المعنوى وقف الهاشـميون فى وجه قريش إلى جانب النبى صلى الله عليه وآله وصمدوا فى حصار الشعب أربع سنوات، وبإخلاصه واستماتته فى الدفاع عن النبى صلى الله عليه وآله أفشل الله أكثر خطط قريش فى إهانة النبى وقتله.

ويعرف أن أبا طالب له ديوان شـعر نقلته مصادر السـيرة والتاريخ وكله فى تأييد النبى والإيمان به وفى ذم قادة المشـركين الذين وقفوا ضده.. وأن رواة الخلافة القرشـية لو وجدوا بيتين من الشـعر لشخصية قرشية يحبونها من المعاصرين لأبى طالب لطبلوا بأحدهما وزمروا بالاخر واستخرجوا منهما عشرين دليلاً على إيمانه.

ويتفق فقهاء المذاهب أن القاضـى إذا شك فى إسلام شخص متوفى، يكفيه لاثبات إسلامه إقراره أو شهادة شاهدين عاديين بأنه كان مسلماً.. ولكن إثبات إسلام أبى طالب لا يكفى له عندهم إقراراته الصريحة، ولا ألوف الشهود!

ثم إن أهـل البيت أدرى بمـا فيه والأبنـاء أعرف بآبـائهم، وإن علياً وأبنـاءه الصادقين المصـدقين الطاهرين المطهرين بنص القرآن، قد شهدوا بأن أبا طالب كان مسلماً مؤمناً يكتم إيمانه، وأن مَثَلَه مَثَلُ مؤمن آل فرعون.. ولكن ذلك لم يكف أيضاً فى نظر قريش لإثبات إسلام أبى طالب!

والسبب فى كل هذا التشدد والتعنت أن قريشاً لا تريد إعطاء هذا الوسام لابى طالب، وعندها لذلك مبررات عديدة:

أولاً: أبو طـالب بن عبـد المطلب، هو رئيس بنى هـاشم وزعيم قريش بعـد أبيه عبـدالمطلب. وإذا أعطى هـذا الوسـام فإن أولاده أولى بملك ابن عمهم النبى محمد! صـلى الله عليه وآله..ولا إخالك تقول هنا إن هذا منطق قبلى غير إسـلامى، فإن نظام الخلافة الإسـلامى إنمـا قـام على أسـاس القبليـة، وإنمـا كـانت حجـة عمر وأبى بكر فى السـقيفة قرابتهما القبليـة من محمـد وأنه من قريش وقريش أولى بسلطانه!

فالمنطق الـذى حكم بعـد وفاة النبى صـلى الله عليه وآله وقامت عليه خلافـة قريش هو المنطق القبلى وقد كان هو المنطق العام الحاكم عنند الجميع! لا يستثنى منه إلا منطق النص الذى قال به أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ولم يصغ لهم أحدٌ إلا الاقلُّون عدداً!

ثانياً: إن شـعر أبى طـالب رضـوان الله عليه مـا زال يرنُّ فى آذان قـادة قريش!! وفيه لهم من التوبيـخ والتعنيف لهم، ووصـفهم بالحسـد والبغى والجحود والكفر وقطيعة الرحم، والحقارة..وأسوأ الصـفات!! فالإعتراف بإسـلامه إعطاء شـعره الصـفة لشعره الذى نشر به غسيل قريش!

ثالثاً: إن أبا طالب والـد على، وعلى يطالب بخلافـة النبى بالنص، وهو المعارض الأول لأن تكون خلافـة محمـد لكل قريش تـدور بين قبائلها بقاعدة من غلب! وهذه المعارضة ذنبٌ يجب أن يدفع ثمنه علىٌّ وأولاده وأبوه أبو طالب!

والظاهر أن أكبر ذنب لابى طالب عندهم أنه والد على..فلو كان والد معاوية لاحبته قريش وقالت عنه إنه أسلم وحسن إسلامه، وشملته شفاعة النبى صلى الله عليه وآله

فقد غفرت قريش لأبى سـفيان ما لم يغفره الله ورسوله، ونسـيت أنه إمام الكفر، ومحزب الأحزاب، والعدو اللدود الذى لم يلق سـلاحه فى وجه الإسـلام إلا مكرهاً، ولم يسـلم إلا مكرهاً! بل غفرت له قولته عنـدما وصـلت الخلافـة إلى بنى أمية (تلقفوها يا بنى أمية تلقُّفَ الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار)!

لهذه الأسباب وغيرها صدر حكم قريش بحق أبى طالب بأن حمايته للنبى صلى الله عليه وآله ودفاعه عنه وتحمله الشدائد من أجله واتصالاته بالقبائل ورسائله إليهم وإلى النجاشئ وعمله الدائب من أجل تمكين النبى من نشر دعوته..كل ذلك كان عصبيةً هاشميةً فقط، وأنه مات كافراً وليس له أى حق فى وراثة النبى صلى الله عليه وآله وليس لأولاده أى امتياز بسبب حماية أبيهم للنبى، بل هم من قريش وقريش هى التى ترث سلطان محمد! وقد قال عمر للأنصار فى السقيفة: نحن قومه وعشيرته فمن ذا ينازعنا سلطان محمد؟!

إنسجاماً مع هذه الثقافة تجد فى مصادر السنيين أعجب الأحاديث عن أبى طالب، ولعل أعجبها على الإطلاق حديث شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لهذا العم الذى أحبه ورباه وحماه وفداه بنفسه وأولاده..فشفع له النبى صلى الله عليه وآله ووضعه فى مكان من جهنم يغلى منه دماغه!

قال البخارى فى:۷/۲۰۳:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله(ص)وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه!!

ورواه فى:۴/۲۰۲ وروى نحوه أحمد فى:۱/۲۹۰ وص ۲۹۵ وص ۲۰۶ وص ۲۰۷ وج ۳/۹ وص ۵۰ وص ۵۵ والحاكم فى:۴/۵۸۲ والبيهقى فى البعث والنشور/۵۹ والذهبى فى تاريخ الإسلام:۱/۲۳۴ وغيره من مصادرهم. وقال ابن الاثير فى النهاية:۳/۱۳: ضحضاح: الضحضاح: فى الأصل مارق من الماء على وجه الأرض وما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

وقال البخارى فى:۴/۲۴۷:

باب قصة أبى طالب. حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحرث، قال حدثنا العباس بن عبد المطلب (رض): قال للنبى (ص): ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار!!

ورواه فى: ۷/۱۲۱ وص ۲۰۳ ورواه مسلم:۱/۱۳۵ ورواه أحمد فى: ۱/۲۰۶ و۲۰۷ و ۲۱۰ وج ۳/۵۰ و ۵۵ قال: عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أباطالب بشئ فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك! قال: نعم هو فى ضحضاح من النار لولا ذلك لكان فى الدرك الأسفل من النار. انتهى.

فهذه الرواية تريد بيان التأثير الكبير لشفاعة النبى صلى الله عليه وآله لعمه وأن أبا طالب بالأساس يستحق الدرك الأسفل من النار مثل أبى لهب وأبى جهل وفراعنة قريش الذين كذبوا النبى وأرادوا قتله، والذين نص الله تعالى على طغيانهم وعقابهم! فحماة الأنبياء فى منطق هذه الأحاديث مثل أعدائهم، بل أسوأ حالاً منهم!

وقد رووا أن أبا طالب كان فى طمطام من النار فخفف الله عنه! وطمطام النار هو وسطها الملتهب!

قال فى مجمع الزوائد:۱/۱۱۸ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله: وقد وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى وإحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار. انتهى.

لقد تحير علماء ثقافة قريش فى هذا النوع من الشفاعة المخترعة، لأن الشفاعة إما أن يأذن بها الله تعالى لرسوله فيخلص المشفوع له من النار ويدخله الجنة، وإما أن لا يأذن بها فيبقى الشخص فى مكانه فى النار..وما ذكرته أحاديث الضحضاح ليس بشفاعة! ولكنهم ابتكروا له اسماً خاصاً وهو شفاعة التخفيف والنقل من الدرك الاسفل من النار إلى مستنقع من النار وضحضاحها!

قال القسطلانى فى إرشاد السارى:۹/۳۲۸:

الشفاعات كما قال عياض خمسة، وقد زاد سادسة هى التخفيف عن أبى طالب. انتهى.

ثم احتاط القسطلانى لئلا يقال كيف تسمون الضحضاح شفاعة؟ فقال هى شفاعة مجازية وليست حقيقية!

قال فى إرشاد السارى:۹/۳۲۴: إن أبا طالب لما بالغ فى إكرام النبى (ص) والذب عنه، جوزى بالتخفيف، وأطلق على ذلك شفاعة!

انتهى.

وهكذابالغ النبى بزعم رواة قريش فى إكرام عمه كما بالغ عمه فى إكرامه!!

على أن مقصود القرشيين من رواية الضحضاح قد يكون تشديد العذاب على أبى طالب لا- تخفيفه، فيكون ما تصوره النووى من المبالغة فى إكرام أبى طالب مبالغةً فى عذابه! فقد روت مصادر الثقافة القرشية أن العذاب فى الضحضاح أشد من بقيتها!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۲۷:

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى الآية قال: إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح فى النار، فإذا أتوه تلقَّاهم عقارب كأنهن البغال الدهم، وأفاع كأنهن البخاتى، فضربنهم، فذلك الزيادة!

بماذا يفسرون قول النبى سأبلها ببلاله

لم يقنع حديث الضحضاح المسلمين بعدم شمول شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لعمه الحبيب أبى طالب، خاصةً أن رواة الضحضاح رووا أن أبا طالب له رحم مع النبى صلى الله عليه وآله وأن النبى وعد أنه سيبلها ببلالها، فهل لهذا الوعد تفسيرٌ إلا الشفاعة؟ وهل يسمى وضع أبى طالب فى ضحضاح من نار بلالاً من النبى لرحمه؟!

والطريف أن البخارى نقل حديثاً عن عمرو بن العاص (وزير معاوية) تبرأ فيه النبى من آل أبى طالب وأعلن قطع الولاية والرحم بينه وبينهم! وفى نفس الحديث وعدٌ من النبى أن يبل رحمهم ببلالها!!

قال البخارى فى:۷/۷۳: الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. باب يبل الرحم ببلالها. عن قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص قال: سمعت النبى(ص)جهاراً غير سر يقول: إن آل (أبى طالب) قال عمر وفى كتاب محمد بن جعفر بياض، ليسوا بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين. زاد عنبسة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبى (ص): ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلاها، يعنى أصلها بصلتها. قال أبو عبدالله (أى البخارى) ببلاها كذا وقع وببلالها أجود وأصح وببلاها لا أعرف له وجهاً. وروى نحوه مسلم فى:۱/۱۳۳ والترمذى:۵/۱۹ والنسائى:۶/۲۴۸-۲۵۰ وأحمد:۲/۳۶۰ وص ۵۱۹

وفى بعض رواياتهم توجه الوعد النبوى إلى أبى طالب خاصة، كما فى كنز العمال:۱۲/۱۵۲: إن لابى طالب عندى رحماً سأبلها ببلالها (ابن عساكر عن عمرو ابن العاص). وراجع كنز العمال:۱۶/۱۰ وج ۱۲/۴۲

ومعنى بلال الرحم: صلتها حتى ترضى. قال الجوهرى فى الصحاح: ۴/۱۶۳۹: ويقال أيضاً: فى سقائك بلال أى ماء... ومنه قولهم: إنضحوا الرحم ببلالها أى صلوها بصلتها وندوها... ويقال أيضاً: لا تبلك عندى بلال مثال قطام قالت ليلى الاخيلية:

فلا وأبيك يا ابن أبى عقيل تبلك بعدها عندى بلال

وقال فى الصحاح:۵/۱۹۲۹: والرحم أيضاً: القرابة والرحم بالكسر مثله.

قال الأعشى: أما لطالب نعمة يممتهاووصال رحم قد بردت بلاله

وقال فى الدرجات الرفيعة/۵۱۴:

إن المكارم أصبحت لهفانةً حرَّى وأنت بلالها وبليله

وإذا المكارم ذللت أو ضللت يوماً فأنت دلالها ودليله

وقال ابن الاثير فى البداية والنهاية:۳/۵۱: سأبلها ببلائها: وفى البيهقى ببلالها: معناه سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه بلوا أرحامكم: أى صلوها. انتهى.

والنبى صلى الله عليه وآله عندما استعمل هذا التعبير ووعد هذا الوعد كان يعرف أن معنى بلال الرحم عند العرب إكرام القريب بسخاء حتى يرضى وفوق الرضا، فهو صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، وأعرف الناس بمعانيها.

لهذا يبقى السؤال للبخارى وكافة علماء الخلافة القرشية: إذا وعد نبى أسرته وأهل بيته بأنه سيصل رحمهم ويرضيهم، فكيف تتعقلون أنه يجعل عمه العزيز عليه منهم الذى له عليه فضل خاص، فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟!

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

لعل الراوى الاساسى لحديث ضحضاح النار هو المغيرة بن شعبة الثقفى، ثم أخذه عنه الآخرون، أو نسب إليهم.. وسبب إسلام المغيرة أنه كان فى سفر فى تجارة مع عدد من رفقائه الثقفيين من أهل الطائف، فغدر بهم وقتلهم جميعاً وسرق أموالهم، وفر إلى المدينة و... أسلم! وهو معروف بدهائه وفساد أخلاقه، وبغضه لعلى عليه السلام وبنى هاشم، وتاريخه مدونٌ معروف!

ولا يبعد أن يكون أخذ تعبير (الضحضاح) من حديث ضحضاح النور الذى ورد فى حق أهل البيت (عليهم السلام) فجعله ضحضاح نار لأبى طالب!

فقد روى الشيخ الطوسى فى الغيبة/۱۴۷ قال: وأخبرنا جماعة عن التلعكبرى، عن أبى على أحمد بن على الرازى الأيادى قال: أخبرنى الحسين بن على، عن على بن سنان الموصلى العدل، عن أحمد بن محمد الخليلى، عن محمد بن صالح الهمدانى، عن سليمان بن أحمد، عن زياد بن مسلم، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلام قال: سمعت أبا سلمى راعى النبى صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت ليلة أسرىَ بى إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه. قلت: والمؤمنون. قال: صدقت يا محمد... إنى اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك إسماً من أسمائى فلا أذكر فى موضع إلا وذكرت معى، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له اسماً من أسمائى فأنا الأعلى وهو على. يا محمد إنى خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده أشباح نور من نورى، وعرضت ولايتكم علىالسماوات وأهلها وعلى الأرضين ومن فيهن، فمن قبل ولايتكم كان عندى من المقربين ومن جحدها كان عندى من الكفار الضالين.

يا محمد لو أن عبداً عبدنى حتى ينقطع أو يصير كالشن البالى، ثم أتانى جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم.

يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب قال التفت عن يمين العرش فالتفتُّ فإذا أنا بأشباح على وفاطمة والحسن والحسين والأئمة كلهم حتى بلغ المهدى، فى ضحضاح من نور قيام يصلون والمهدى فى وسطهم كأنه كوكب درى، فقال لى: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، فوعزتى وجلالى إنه حجةٌ واجبة لاوليائى منتقمٌ من أعدائى. انتهى.

ورواه فرات الكوفى فى تفسيره/۷۴ عن الإمام الباقر ۷ وقال فى هامشه: وأخرجه الحموينى فى الفرائد ۲-۵۷۱ ط ۱ والخوارزمى فى مقتله والطوسى فى الغيبة وصاحب المقتضب كما فى البرهان بأسانيدهم إلى أبى سلمى راعى إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول... (مثله تقريباً). وأخرج صدره القاضى أبو جعفر الكوفى فى المناقب ح ۱۳۰ وأورده بكامله مع تاليه العلامة المجلسى فى البحار ۳۷-۸۲ انتهى. ورواه ابن شاذان فى المنقبة السابعة عشرة من مناقب على ۷. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۱۵/۲۴۷ وج ۱۸:۱۸/۲۹۷ وج ۲۶/۳۰۱

محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم

وجد المفسرون للثقافة القرشية أن أحسن طريقة للتخلص من الوعد النبوى الذى انتشرت روايته فى الناس، أن يبعدوه عن الآخرة كلياً، ويقولوا إنه ليس وعداً بالشفاعة!

قال ابن الاثير فى النهاية:۱/۱۵۳: سألبها ببلالها: أى أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئاً، والبلال جمع بلل. انتهى.

ولكن ذلك لا يصح:

أولاً، لأنه ورد فی سیاق حدیث النبی صلی الله علیه وآله عن الآخرة وإنقاذ النفس من النار فالأصل أن یکون هذا استثناء متصلاً من موضوع الحدیث ومصبه، لا من خارجه!

وثانیاً، أن الحدیث فی مقام نفع نسبه وسببه صلی الله علیه وآله فی الآخرة وقد صح عند الجمیع أنه النسب الوحید الذی لا ینقطع یوم القیامة. وتقدمت روایته عن عمر أن النبی: قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع؟! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی، فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة!

وثالثاً، لم یکن النبی یملک دنیاً عند نزول أمره تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ، حتی یعد أقاربه بها، بل لا معنی لوعده إیاهم فی ذلک الوقت حتی بالشفاعة فی الآخرة، لأنه فی مرحلة عرض الإسلام علیهم..وهذا مما یضعف الروایة بأن هذا الوعد النبوی صدر عند نزول الآیة.

ورابعاً، أنهم رووا هذا الحدیث بشأن أبی طالب بعد وفاته کما تقدم فی کنز العمال عن ابن عساکر وغیره، فهل وعده النبی بأن یعطیه مالاً بعد وفاته! أم وعد بأن یعطی ذریته ثروة فلم یعطهم وترکهم فقراء!

وخامساً، رووا فی نفس هذا الوعد أن النبی صلی الله علیه وآله خاطب کل قریش ووعدهم ببلال الرحم، فإن قالوا إنه وعدٌ بإعطائهم مالاً فی الدنیا دون الآخرة، لزم أن لا تشمل شفاعة النبی صلی الله علیه وآله أحداً من قریش أبداً!، فهل یلتزمون بذلک!

قال النووی فی المجموع:۱۵/۳۵۶:

وأخرج الشیخان عن أبی هریرة واللفظ لمسلم (لما نزلت هذه الآیة: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ، دعا رسول الله(ص)قریشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: یا بنی کعب بن لؤی أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی مرة بن کعب أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی هاشم أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی عبد مناف أنقذوا أنفسکم من النار، یا بنی عبد المطلب أنقذوا أنفسکم من النار، یا فاطمة أنقذی نفسک من النار، فإنی لا أملک لکم من الله شیئاً، غیر أن لکم رحماً سأبلها ببلالها) وفی هذا دلیل علی أن کل من ناداهم النبی(ص)یطلق علیهم لفظ الأقربین، لانه(ص)فعل ذلک ممتثلاً لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ، وهو دلیل علی صحة ما ذهب إلیه الشافعی (رض) من دخول النساء لذکره فاطمة، ودخول الکفار.انتهی.

وسادساً، رووا أحادیث عدیدة صرحت بالوعد النبوی بالشفاعة فی الآخرة، کالذی رواه الحاکم فی:۳/۵۶۸ ورواه مجمع الزوائد:۱/۸۸ وکنز العمال: ۱۲/۴۱: والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبکم لحبی! أیرجون أن یدخلوا الجنة بشفاعتی ولا یرجوها بنو عبد المطلب؟! انتهی.

بل روی فی کنز العمال:۱۲/۱۰۰ أن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله مخصوصةٌ بمن أحب أهل بیته، قال: شفاعتی لامتی، من أحب أهل بیتی وهم شیعتی! انتهی.

وبذلک یتضح أن محاولة إبعاد وعد النبی صلی الله علیه وآله لبنی هاشم عن الشفاعة.. محاولة مردودة، بل مشبوهة.

عمل المعروف ینجی الکفار من النار إلا أبا طالب

روی ابن ماجة فی سننه:۲/۴۹۶:

عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله (ص): یُصَفُّ الناس یوم القیامة صفوفاً، وقال ابن نمیر أهل الجنة، فیمر الرجل من أهل النار علی الرجل فیقول: یا فلان أما تذکر یوم استسقیت فسقیتک شربة؟ قال فیشفع له. ویمر الرجل فیقول: أما تذکر یوم ناولتک طهوراً؟ فیشفع له. قال ابن نمیر ویقول: یا فلان أما تذکر یوم بعثتنی فی حاجة کذا وکذا فذهبت لک؟ فیشفع له. انتهی.

والرجل من (أهل النار) یعنی الکافر أو یشمل الکافر الذی قدم خدمة ولو صغیرة للمسلم.. فإذا کانت مکانة المسلم العادی کبیرة عندالله تعالی بحیث یشفِّعه فی من قدم له خدمة ولو بسیطة، فکیف بخدمات أبی طالب لأفضل الخلق صلی الله علیه وآله!

ويؤيد حديث ابن ماجة ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۲/۲۴۹: عن ابن مسعود قال قال رسول الله(ص)فى قوله: فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال: أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع اليهم المعروف فى الدنيا.

وما رواه فى الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص):إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم أمر منادياً ينادى: ألا ليقم أهل المعروف فى الدنيا، فيقومون حتى يقفوا بين يدى الله، فيقول الله: أنتم أهل المعروف فى الدنيا؟ فيقولون نعم، فيقول وأنتم أهل المعروف فى الآخرة، فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة حتى تدخلوا عليهم المعروف فى الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف فى الدنيا!

ويؤيده من مصادرنا مارواه المجلسى فى بحار الأنوار:۸/۲۸۸

عن ثواب الأعمال للصدوق/۱۶۳ قال: أبى، عن سعد، عن النهدى، عن ابن محبوب، عن على بن يقطين، عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: كان فى بنى إسرائيل رجلٌ مؤمن وكان له جارٌ كافر فكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف فى الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً فى النار من طين، فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتوليه من المعروف فى الدنيا!

وقال المجلسى: هذا الخبر الحسن الذى لا يقصر عن الصحيح، يدل على أن بعض أهل النار من الكفار يرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة، فلا يبعد أن يخصص الآيات الدالة على كونهم معذبين فيها لا يخفف عنهم العذاب، لتأيده بأخبار أخر.

وفى بحار الأنوار:۸/۴۱ عن ثواب الأعمال أيضاً/۱۶۷:

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به فى الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به، قال فيقول له: يا فلان أغثنى فقد كنت أصنع إليك المعروف فى الدنيا وأسعفك فى الحاجة تطلبها منى فهل عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك المؤكل به: خلِّ سبيله، قال فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن، فيخلى سبيله. انتهى.

هذه الشفافية فى الرحمة الإلهية وإكرامه تعالى لأنبيائه وعباده المؤمنين.. تتبخر عند قبائل قريش ورواتهم عندما يصلون إلى أسرة النبى صلى الله عليه وآله!

بل تتحول إلى قسوة وخشونة ينسبونها إلى الله ورسوله ضد هذه الأسرة التى جعل الله مودتها أجراً لتبليغ الإسلام، لأنه الضمانة الوحيدة لسلامة الإسلام!

احاديث نجت من الرقابة القرشية

مع كل المحاولات المتقدمة بقيت أحاديث عديدة، منها صحيح عندهم، استطاعت أن تعبر نقاط التفتيش، وتنجو من رقابة الثقافة القرشية الحاكمة، وفيما يلى نماذج منها:

تقدمت رواية الهيثمى فى مجمع الزوائد:۸/۲۱۶ عن عمر وما قاله لصفية عمة النبى وما أجابه به النبى صلى الله عليه وآله فقد جاء فيها: قال فغضب النبى(ص)وقال: يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع؟! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى! فإنها موصولة فى الدنيا والآخرة! انتهى.

وقد حاولت رواية أن تعتذر عن قول الخليفة عمر هذا باتهام أم هانى أخت على عليه السلام بأنها كانت متبرجة، فنهاها عمر عن ذلك، وقال لها ذلك القول! ولكن الظاهر أن حادثة أم هانى حادثة أخرى غير حادثة صفية، وقد كان جواب النبى صلى الله عليه وآله فيها أيضاً حاسماً:

قال فی مجمع الزوائد:۹/۲۵۷:

عن عبد الرحمن بن أبی رافع أن أم هانی بنت أبی طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعملی فإن محمداً لا یغنی عنک شیئاً، فجاءت إلی النبی(ص)فأخبرته به، فقال رسول الله (ص): ما بال أقوام یزعمون أن شفاعتی لا تنال أهل بیتی؟! وإن شفاعتی تنال حا وحکم!! وحا وحکم قبیلتان. انتهی.

وذکرت مصادرنا کما فی بحار الأنوار:۹۳/۲۱۹:

أن عمر قال لها: غطی قرطک فإن قرابتک من رسول الله لاتنفعک شیئاً! فقالت له: هل رأیت لی قرطاً یا ابن اللخناء؟! ثم دخلت علی رسول الله صلی الله علیه وآله فأخبرته بذلک وبکت، فخرج رسول الله صلی الله علیه وآله فنادی الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لاتنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت فی حاء وحکم! لایسألنی الیوم أحد من أبواه إلا أخبرته! فقام إلیه رجل فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال: أبوک غیر الذی تدعی له، أبوک فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال: أبوک الذی تدعی له! ثم قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما بال الذی یزعم أن قرابتی لاتنفع لا یسألنی عن أبیه؟ فقام إلیه عمر فقال: أعوذ بالله یا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنی عفا الله عنک...

ونقل البیهقی فی البعث والنشور/۵۹:

حادثة ثالثة: عن أبی هریرة قال کانت امرأه من بنی هاشم تحت رجل من قریش، فکان بینه وبینها شئ فقال لها ستعلمین والله أنه لا ینفعک قرابتک من رسول الله (ص) شیئاً! فخرج رسول الله مغضباً فقال: ما بال رجال یزعمون أن قرابتی لا تنفع! وإنی لترجو شفاعتی صدی أو سهلب!

وفی الانساب للسمعانی:۱/۳۰:

عن أبی هریرة وعمار بن یاسر رضی الله عنهما أن النبی(ص)قال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! والله إن شفاعتی لتنال حاء وحکم وسلهب وصداء، تنالها یوم القیامة!

وسلهب فی نسب الیمن من دوس. قال ابن إسحاق: هذا مما یصدق نسابة مضر أن هذه القبائل من معد.

وقال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۳۹۹ ح ۶۶۸۳:

أبو سعید: ما بال أقوام یزعمون أن رحمی لا تنفع؟! والله إن رحمی لموصولة فی الدنیا والآخرة.

وقال ابن الاثیر فی أسد الغابة:۱/۱۳۴:

عن شهر بن حوشب قال أقام فلانٌ (یقصد معاویة) خطباء یشتمون علیاً رضی الله عنه وأرضاه ویقعون فیه حتی کان آخرهم رجلٌ من الأنصار أو غیرهم یقال له أنیس، فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: إنکم قد أکثرتم الیوم فی سب هذا الرجل وشتمه، وإنی أقسم بالله أنی سمعت رسول الله (ص) یقول: إنی لاشفع یوم القیامة لأکثر مما علی الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحدٌ أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل الیکم وتعجز عن أهل بیته؟! ورواه فی مجمع الزوائد:۹/۱۷۰: عن شهر بن حوشب وفیه (أفیرجوها غیره ویقصر عن أهل بیته)

تاریخ المدینة:۲/۲۶۴:

حدثنا أبو حذیفة، قال حدثنا سفیان، عن أبیه، عن أبی الضحی، عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: جاء العباس إلی رسول الله(ص)فقال: إنک ترکت فینا ضغائن منذ صنعت الذی صنعت. فقال رسول الله (ص): لن یبلغوا الخیر - أو قال: الإیمان - حتی یحبوکم لله ولقرابتی! أیرجو سؤلهم شفاعتی من مراد، ولا یرجو بنو عبد المطلب شفاعتی! وروی نحوه فی کنز العمال:۱۳/۵۱۲ وص ۵۱۴

الدر المنثور:۶/۴۰۹:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وأبى هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهم قالوا: قدمت درة بنت أبى لهب مهاجرةً، فقال لها نسوة أنت درة بنت أبى لهب الذى يقول الله تبت يدا أبى لهب، فذكرت ذلك للنبى(ص)، فخطب فقال: يا أيها الناس مالى أوذى فى أهلى، فوالله إن شفاعتى لتنال بقرابتى حتى أن حكماً وحاء وصدا وسلهباً تنالها يوم القيامة بقرابتى! ورواه فى كنز العمال:۱۳/۶۴۴ عن فردوس الديلمى.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰:

باب فى أول من يشفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار. انتهى.

ولو تتبعنا المصادر لوجدنا الكثير من هذه الأحاديث. وهى مليئة بالحقائق والفوائد، ونكتفى منها بما يلى:

أولاً: أن حديث (مالى أوذى فى أهل بيتى) أصله هنا، ولكن صار نصه فى الصحاح (مالى أوذى فى أهلى) وصار أهله صلى الله عليه وآله بمعنى زوجته عائشة، فقد ادعوا أن قصة الافك التى اتهم فيها المنافقون المؤمنة الطاهرة الغافلة مارية القبطية، كانت المتهمة فيها عائشة ورضوا هنا أن تكون عائشة من (المؤمنات الغافلات) اللواتى ذكرتهم الآية، لكى تكون البراءة النازلة من السماء لها وليس لمارية، وادعوا أن قول النبى صلى الله عليه وآله: مالى أوذى فى أهلى، صدر بتلك المناسبة! وصار المؤذى للنبى صلى الله عليه وآله علياً بن أبى طالب، الذى زعموا أنه أشار على النبى صلى الله عليه وآله بطلاق عائشة!

ثانياً: أن أذى القرشيين للنبى فى آله صلى الله عليه وآله كان كثيراً متكرراً وقد نصت مصادر السنيين على عدد من حوادثه كما تقدم فى حادثة (برك على قدميه) وتقدم هنا: قول فلان من قريش (كمثل نخلة نبتت فى كناسة) وقول عمر لصفية، وقوله لأم هانى وقول (صهر بنى هاشم) الذى لم يصرحوا باسمه، وقصة بنت أبى لهب، وشكوى العباس المتكررة.

كما أن تعدد الايذاء وتعدد جواب النبى صلى الله عليه وآله يفهم من تعدد أسماء القبائل الغريبة البعيدة التى ذكرها النبى صلى الله عليه وآله عمداً، بما آتاه الله من جوامع الكلم لتبقى أسماؤها ترنُّ فى الأذان ويبقى حديثه فى الأذهان.. الأمر الذى يدل على أن روح الايذاء للنبى فى آله صلى الله عليه وآله كانت فى القرشيين مرضاً لا عرضاً!

ثالثاً: ينبغى أن يسأل الذين يدافعون عن جميع الصحابة ويقدسونهم، عن حكم هؤلاء الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأغضبوه مراراً فى أهل بيته، فقد ثبت عليهم الحكم الذى نزل به القرآن فى حقهم، ولم يثبت أنهم جددوا إسلامهم وخرجوا من تبعات هذا الحكم.

رابعاً: إن هذه الأحاديث وحدها تكفى للمسلم لأن يعرف أن فى الأمر شيئاً كبيراً يتعلق بآل النبى صلى الله عليه وآله وأنه يجب إعادة النظر فى الروايات التى تنفى أن النبى صلى الله عليه وآله لم يوص لهم، ولم يجعل لهم حقاً على الأمة، ولم يعدهم بشفاعة خاصة.. وتكفيه لأن يحتمل أن تكون رواياتهم فى أبى طالب من هذا النوع. وهذا الإحتمال كاف للتوقف عن تصديقها.

بخلهم على أبى طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم

من ظلامة الخلافة القرشية أنها بخلت على أبى طالب بكلمة شكر، فى حين تبنت مشركين فى مقابله لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله فجعلتهم من أهل الجنة، بل جعلتهم فى مرتبة الأنبياء! ومن أبرز هؤلاء ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل.. والنص التالى يبين بعض الرتب التى أعطوها لهؤلاء فى الجنة، بالمقايسة إلى الرتبة النازلة التى أعطوها لخديجة أم المؤمنين ورتبة الضحضاح لأبى طالب رضوان الله عليهما.

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد:۹/۴۱۶:

عن جابر بن عبد الله قال سئل النبى(ص)عن عمه أبى طالب، هل تنفعه نبوتك؟ قال: نعم أخرجته من غمرات جهنم إلى ضحضاح

منها.

وسئل عن خديجة، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن، فقال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة فی بيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: يبعث يوم القيامة أمةً وحده، بينی وبين عيسى عليه السلام. رواه أبو يعلى وفيه مجالد، وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن جابر قال سألنا رسول الله(ص)عن زيد بن عمرو بن نفيل فقلنا: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول دينی دين إبراهيم وإلهی إله إبراهيم وكان يصلی ويسجد؟ قال: ذاك أمة وحده، يحشر بينی وبين يدی عيسى بن مريم.

وسئل عن ورقة بن نوفل وقيل: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول إل هی إله زيد ودينی دين زيد، وكان يتوجه ويقول:

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عنيت بتنور من النار حامی

بدينك ديناً ليس دين كمثله وتركك حنَّان الجبال كما هی

قال: رأيته يمشئ فی بطنان الجنة، عليه حلة من سندس. انتهی.

وإنما جعلوا بيت القصب لخديجة، لأنها بزعمهم توفيت قبل فرائض الصلاة والصوم والزكاة والحج، فهی تستحق درجة سفلی فی الجنة وبيتاً عادياً من قصب أو سعف النخل..أما عائشة المحترمة عند دولة الخلافة فهی فی الفردوس فی قصر من ياقوت ولؤلؤ!

ويتألم المسلم عندما يرى فی المصادر الإسلامية افتراءً على أم المؤمنين خديجة يصل إلى حد اتهامها بأنها كانت تعبد اللات والعزى وتلح على النبی صلى الله عليه وآله أن يعبدهما قبل منامه، فيمتنع عن ذلك!!

فقد روى أحمد فی مسنده:۴/۲۲۲ و:۵/۳۶۲:

عن عروة بن الزبير يعنی ابن أخت عائشة قال: حدثنی جار لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبی (ص) وهو يقول لخديجة: أی خديجة والله لا أعبد اللات والعزى، والله لا أعبد أبداً! قال فتقول خديجة:خل اللات خل العزى، قال كانت صنمهم التی كانوا يعبدون ثم يضطجعون)!! انتهی.

فكأن مدح عائشة يستلزم ذم ضرتها، والتی توفيت قبل أن يتزوج النبی بها! لأن النبی صلى الله عليه وآله كان يذكرها دائماً بالخير، ويباهی بها!!

وأما ورقة المعاصر لأبی طالب أيضاً، فهو فی بطنان الجنة أی فی وسطها، يرفل بالسندس، مع أنه مات بعد البعثة ولم يسلم! والسبب فی استحقاقه الجنة أنه كان يقول: أنا على دين زيد بن نفيل! بينما ذكروا أن الدليل على كفر أبی طالب أنه كان يقول: أنا على دين عبد المطلب!!

وأما زيد بن نفيل فقد عاش سنوات بعد البعثة ولم يسلم، ورووا عنه أنه نهى المشركين ذات مرة عن تعذيب بلال، ولكنهم جعلوه فی مرتبة نبی لأنه ابن عم الخليفة عمر..بل هو بزعمهم أتقى من النبی صلى الله عليه وآله، لأن النبی كان قبل البعثة مشركاً يذبح للأصنام ويأكل مما ذبح على النصب، بينما كان زيد على دين إبراهيم لا يذبح للأصنام ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وقد نصح النبی صلى الله عليه وآله ذات مرة أن لا يأكل مما ذبح على النصب فاقتدى النبی به!!

إنها الكارثة الفكرية فی الأمة.. عندما تفضل حكامها وأقاربهم على نبيها سيد الأنبياء، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام!!

قال فی مجمع الزوائد:۹/۴۱۷: باب ما جاء فی زيد بن عمرو بن نفيل...

قال فمر زيد بن عمرو بالنبی(ص)وزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفرة فدعياه فقال: يابن أخی لا آكل ما ذبح على النصب، قال فما رؤی النبی(ص)يأكل ماذبح على النصب من يومه ذلك، حتی بعث.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبی(ص)فقال: يا رسول الله إن زيداً كان كما رأيت أو كما بلغك، فأستغفر له؟ قال: نعم، فاستغفروا له

فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. رواه الطبرانی والبزار باختصار عنه، وفيه المسعودی وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

وعن سعيد بن زيد قال: سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله(ص)عن زيد بن عمرو؟ فقال: يأتی يوم القيامة أمة وحده. رواه ابو يعلى وإسناده حسن.

وعن زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله(ص)يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردفی إلى نصب من الأنصاب! وقد ذبحنا له (أی للصنم)شاة فأنضجناها، قال فلقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيّا كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال النبی (ص): يا زيد مالی أری قومك قد شنفوا لك؟ قال: والله يا محمد ذلك لغير نائلة لی منهم، ولكنی خرجت أبتغی هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك، وجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قال قلت ماهذا الدين الذی أبتغی، فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قلت ما هذا الدين الذی أبتغی، فقال شيخ منهم إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخٌ بالحيرة، قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآنی قال ممن أنت؟ قلت من أهل بيت الله، من أهل الشوك والقرظ، فقال إن الدين الذی تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبی قد ظهر نجمه، وجميع من رأيتهم فی ضلال، فلم أحس بشئ بعد يا محمد!!

قال: وقرب إليه السفرة فقال: ما هذا يا محمد؟ فقال شاة ذبحناها لنصب من الانصاب! فقال: ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه!

قال زيد بن حارثة: فأتى النبی(ص)البيت فطاف به وأنا معه، وبين الصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبی (ص): لا تمسحهما فإنهما رجس، فقلت فی نفسی لامسنهما حتى أنظر ما يقول النبی(ص)؟ فقال النبی(ص) لزيد: إنه يبعث أمة وحده. رواه أبو يعلى والبزار والطبرانی إلا أنه قال فيه: فأخبرته بالذی خرجت له فقال: كل من رأيت فی ضلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته، وقد خرج فی أرضك نبی أو هو خارج فارجع فصدقه وآمن به. وقال أيضاً فقال زيد إنی لا آكل شيئاً ذبح لغير الله، ورجال أبی يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبرانی رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وعن أسماء بنت أبی بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل فی الجاهلية يقف عند الكعبة ويلزق ظهره إلى صفحتها، ويقول: يا معشر قريش ما على الأرض على دين إبراهيم غيری، وكان يفدی الموؤودة أن تقتل، وقال عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عنی كذلك يفعل الجلد الصبور

رواه الطبرانی وإسناده حسن. انتهى.

فقد ثبت عندهم بهذه الأحاديث الصحيحة والحسنة، أن النبی صلى الله عليه وآله كان يعبد الأصنام ويذبح لها! وثبت أن زيد بن عمرو كان موحداً على دين إبراهيم، وكان ينتظر النبوة، وكان أولى بها من محمد، ولكن زيداً إلى تاريخ لقائه بالنبی صلى الله عليه وآله وهو فی طريقه إلى الصنم لم يحس بالوحی ولعله أحس به بعد ذلك!!

وقد روت الصحاح افتراءهم على النبی صلى الله عليه وآله بأنه ذبح للصنم وقصة اللحم الذی كان يأكل منه بزعمهم ويعافه ابن نفيل!! فقد رواها البخاری: ۴/۲۳۲ وأضاف فيه

(ثم قال زيد إنی لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمر كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله!! إنكاراً لذلك وإعظاماً له!) انتهى.

وروى نحوها أيضاً فی:۶/۲۲۵ وكذلك أحمد فی:۱/۱۸۹ وج ۲/۶۸ و۸۹ و۱۲۷

وعلى هذه الروايات الصحاح والحسان! يكون زيد بن عمرو بن نفيل أتقى من محمد صلى الله عليه وآله وأوعى منه، وأولى بالنبوة منه، ولكن الحظ جعلها لمحمد صلى الله عليه وآله.

ولذلك لم يؤمن به زيد عندما بعث لأنه لا يحتاج إلى ذلك!

کما أن ابن عمه عمر یستحق النبوة ولکن الحظ جعلها لمحمد، فقد نسبوا إلی النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: لو لم أبعث لبعث عمر بن الخطاب!! وهذا یعطی الشرعیة لکل مناقشات عمر للنبی صلی الله علیه وآله واعتراضاته علیه، بل ومخالفاته له!!

ویلاحظ فی روایاتهم عن زید بن عمرو، أن عدداً منها عن لسان ولده سعید وابن عمه عمر، وأنها ترید التأکید علی أن زیداً العدوی وحده کان علی ملة إبراهیم لا عبد المطلب الهاشمی ولا أبو طالب، ولا حتی النبی صلی الله علیه وآله، وهو عملٌ یقصد منه المساس بشخصیة النبی وأجداده صلی الله علیه وآله من أجل تکبیر شخصیات مشرکة من أقارب الحکام!!

لکن المتأمل فی روایاتهم یجد فیها حقیقة مهمة، وهی أنهم شهدوا علی زید بن عمرو بن نفیل بأنه لم یسلم ومات کافراً رغم معرفته المزعومة ببعثة النبی صلی الله علیه وآله، ولو أنه أسلم لما سألوا النبی صلی الله علیه وآله عنه، ولملاوا الکتب بفضائله ومناقبه! کما ملؤوها بذم أبی طالب وضحضاحه!!

اهم الأدلة علی إیمان أبی طالب

تکفلت کتب مستقلة بإثبات إیمان أبی طالب رضوان الله علیه..ومن أشهرها کتاب (أبو طالب مؤمن قریش) لمؤلفه الشیخ عبد الله الخنیزی الذی صادره الوهابیون وحبسوا مؤلفه (السعودی) بسببه، وحکموا علیه بالإعدام! ولکن الدولة السعودیة خشیت من العواقب فأقنعت مفتیهم بتخفیف الحکم فخففه إلی الحبس والتعزیر!!

وقد کتب علماؤنا عن إیمان أبی طالب بحوثاً مستفیضة فی مصادر السیرة والعقائد، من أهمها ما کتبه المجلسی فی البحار:۳۵ والامینی فی الغدیر: ۷ و ۸ والشیخ نجم الدین العسکری فی مقام الإمام علی علیه السلام والسید جعفر مرتضی فی الصحیح من السیرة:۳/۲۲۷.

ونورد فیما یلی خمسة أدلة علی إیمانه مستفادة من المصادر المذکورة وغیرها:

الدلیل الأول: النصوص الصریحة الثابتة عندنا عن النبی والأئمة من آله صلی الله علیه وآله وهم الطاهرون المطهرون الصادقون المصدقون، غیر المتهمین فی شهادتهم لآبائهم وأقربائهم وأنفسهم.

منها: عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: والله ما عبد أبی ولا جدی عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف، صنماً قط. قیل له فما کانوا یعبدون؟ قال: کانوا یصلون إلی البیت علی دین إبراهیم متمسکین به. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر:۷/۳۸۴: رواه شیخنا الصدوق بإسناده فی کمال الدین/۱۰۴ والشیخ أبوالفتوح فی تفسیره ۴: ۲۱۰ والسید فی البرهان ۳: ۷۹۵

ومنها: ع أبی عبد الله الصادق علیه السلام قال: نزل جبرئیل علیه السلام علی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا محمد إن ربک یقرؤک السلام ویقول: إنی قد حرمت النار علی صلب أنزلک وبطن حملک وحجر کفلک. فالصلب صلب أبیه عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذی حملک آمنة بنت وهب، وأما حجر کفلک فحجر أبی طالب. وزاد فی روایة: وفاطمة بنت أسد. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر: روضة الواعظین/۱۲۱. راجع الکافی لثقة الإسلام الکلینی/۲۴۲، معانی الأخبار للصدوق، کتاب الحجة السید فخار بن معد/۸، ورواه شیخنا للمفسر الکبیر أبو الفتوح الرازی فی تفسیره ۴-۲۱۰، ولفظه: إن الله عز وجل حرم علی النار صلباً حملک وبطناً حملک وثدیاً أرضعک وحجراً کفلک..إلخ.

ومنها: ما رواه فی مقام الإمام علی:۳/۱۴۰: قال السید الحجة فخار بن معد فی کتابه (الحجة علی الذاهب إلی تکفیر أبی طالب)/۱۶ بالإسناد إلی الکراجکی عن رجاله، عن أبان، عن محمد بن یونس، عن أبیه، عن أبی عبدالله أنه قال: یا یونس ما تقول الناس فی أبی طالب؟ قلت جعلت فداک یقولون: هو فی ضحضاح من نار، وفی رجلیه نعلان من نار تغلی منهما أم رأسه! فقال: کذب أعداء الله! إن أبا طالب من رفقاء النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئک رفیقاً.

ومنها: فی المصدر المذکور أیضاً، عن علی بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن کثیر قال: قلت لابی عبد الله علیه السلام: إن الناس

یزعمون أن أبا طالب فی ضحضاح من نار؟ فقال: کذبوا ما بهذا نزل جبرئیل علی النبی صلی الله علیه وآله! قلت وبما نزل؟ قال: أتی جبرئیل فی بعض ما کان علیه فقال: یا محمد إن ربک یقرؤک السلام ویقول لک: إن أصحاب الکهف أسروا الإیمان وأظهروا الشرک فآتاهم الله أجرهم مرتین، وإن أبا طالب أسر الإیمان وأظهر الشرک فآتاه الله أجره مرتین، وماخرج من الدنیا حتی أتته البشارة من الله تعالی بالجنة. ثم قال علیه السلام: کیف یصفونه بهذا وقد نزل جبرئیل لیلة مات أبو طالب فقال: یا محمد أخرج من مکة فما لک بها ناصر بعد أبی طالب!

ومنها: فی المصدر المذکور أیضاً عن أبی بصیر لیث المرادی قال: قلت لابی جعفر: سیدی إن الناس یقولون: إن أبا طالب فی ضحضاح من نار یغلی منه دماغه؟ فقال علیه السلام: کذبوا، والله إن إیمان أبی طالب لو وضع فی کفةِ میزان وإیمان هذا الخلق فی کفة لرجح إیمان أبی طالب علی إیمانهم، ثم قال: کان والله أمیر المؤمنین یأمر أن یحج عن أب النبی وأمه صلی الله علیه وآله وعن أبی طالب فی حیاته، ولقد أوصی فی وصیته بالحج عنهم بعد مماته. انتهی.

الدلیل الثانی: تصریحات أبی طالب رضی الله علیه بصدق النبی صلی الله علیه وآله وأنه رسول رب العالمین.

قال السید جعفر مرتضی فی الصحیح من السیرة:۳/۲۳۰:

ویکفی أن نذکر نموذجاً من أشعاره التی عبر عنها ابن أبی الحدید المعتزلی بقوله: إن کل هذه الاشعار قد جاءت مجی التواتر من حیث مجموعها (شرح النهج:۱۴/۷۸) ونحن نذکر هنا اثنی عشر شاهداً من شعره، علی عدد الأئمة المعصومین من ولده علیه وعلیهم السلام تبرکاً وتیمناً، والشواهد هی:

۱ – ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبیاً کموسی خط فی أول الکتب

۲ – نبی أتاه الوحی من عند ربه ومن قال لا، یقرع بها سن نادم

۳ – یا شاهد الوحی من عند ربه إنی علی دین النبی أحمد

۴ – أنت الرسول رسول الله نعلمه علیک نزِّل من ذی العزة الکتب

۵ ـ أنت النبی محمدُ قرمٌ أغرُّ مُسَوَّدُ

۶ ـ أو تؤمنوا بکتاب منزل عجب علی نبی کموسی أو کذی النون

۷ ـ وظلم نبی جاء یدعو إلی الهدی وأمر أتی من عند ذی العرش قیم

۸ ـ لقد أکرم الله النبی محمداً فأکرم خلق الله فی الناس أحمد

۹ ـ وخیر بنی هاشم أحمدٌ رسول الاله علی فترةِ

۱۰ ـ والله لا أخذل النبی ولا یخذله من بنیَّ ذو حسب

۱۱ ـ وقال رحمه الله یخاطب ملک الحبشة ویدعوه إلی الإسلام:

أتعلم ملک الحسن أن محمداً نبیاً کموسی والمسیح ابن مریم

أتی بالهدی مثل الذی أتیا به فکلٌّ بأمر الله یهدی ویعصم

وإنکم تتلوته فی کتابکم بصدقِ حدیث لا حدیث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا فإن طریق الحق لیس بمظلم

۱۲ –ـ وقال مخاطباً ولده حمزة رحمه الله:

فصبراً أبا یعلی علی دین أحمد وکن مظهر للدین وفقت صابر

وحط من أتی بالحق من عند ربه بصدق وعزم لاتکن حمز کافر

فقد سرنی أن قلت إنک مؤمنٌ فکن لرسول الله فی الله ناصر

وباد قريشاً فى الذى قد أتيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحر

وأشعار أبى طالب الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر لنفسخ المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل ويقال فى هذا الموضوع. انتهى.

ونضيف إلى ماذكره صاحب الصحيح ما قاله الطبرسى فى الاحتجاج: ۱/۳۴۵: وقد اشتهر عن عبدالله المأمون أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروقِ

أذب وأحمى رسول الاله حماية حام عليه شفيق

وما إن أدبُّ لأعدائه دبيب البكار حذار الفنيق

ولكن أزير لهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيق

وما ذكره أبو الفداء فى تاريخه: ۱/۱۷۰ قال: ومن شعر أبى طالب مما يدل على أنه كان مصدقاً لرسول الله(ص)قوله:

ودعوتنى وعلمت أنك صادقٌ ولقد صدقت وكنت ثم أمين

الدليل الثالث: تحليل مقومات شخصية أبى طالب (رض) وعلاقته بالنبى صلى الله عليه وآله منذ أن أوصاه به أبوه عبد المطلب وكفله إياه، ونصرته له من أول بعثته، وفى أصعب مراحلها..إلى أن توفى فى السنة العاشرة من البعثة..فإن أى باحث ينظر فى ذلك يقتنع بأن نصرته وحمايته للنبى صلى الله عليه وآله لايمكن أن تصدر إلا عن مؤمن قوى الإيمان.

بل لا يحتاج الأمر إلى دراسة مقومات شخصيته وكل حياته، فيكفى دراسة بعض مواقفه لإثبات ذلك.

منها: الموقف الذى رواه فى الغدير: ۷/۳۸۸: عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الفهيرة ويذبحونها على النصب، فلم يسلِّم عليهم. فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبى طالب فلا يسلم علينا! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبى صلى الله عليه وآله وهو ساجدٌ فملا به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبى صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يا ابن أخى؟! فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالابطح. فنادى فى قومه: يا آل عبد المطلب! يا آل هاشم! يا آل عبد مناف! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنية لا يقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف! ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلثة أفهار، ثم قال: يا محمد سألتنى من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومى بيده إلى النبى صلى الله عليه وآله:

أنت النبيُّ محمَّدُ قَرْمٌ أعَزُّ مُسَوَّدُ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبى صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعرى السهمى الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها! ثم أمر بالفرث والدم فأمرَّ على رؤس الملا كلهم! ثم قال: يا ابن أخ أرضيت؟

ثم قال: سألتنى من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام ثم قال:

أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً!

يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذى تعرفونى!

رواه السيد ابن معد فى الحجة/۱۰۶ وذكر لِدَهْ هذه القضية الصفورى فى نزهة المجالس ۲: ۱۲۲ وفى طبع/۹۱، وابن حجة الحموى فى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ۲: ۳ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبى ۱۳

ومنها: الموقف الذى رواه الطبرسى فى الإحتجاج: ۱/۳۴۵ قال:

لما رأى المشركون موقف أبى طالب من نصرة الرسول، وسمعوا أقواله اجتمعوا بينهم، وقالوا ننافى بنى هاشم ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة، أن لا نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدثهم، ولا نجتمع معهم فى مجمع، ولا نقضى لهم حاجة، ولا نقتضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً، حتى يسلّموا الينا محمداً، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهى عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا. وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب، قال يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عنى على ذات بينِها لؤيّاً وخصَّا من لؤىٍّ بنى كعبِ

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ فى أول الكتْبِ

وأن عليه فى العباد محبةً ولا حيفَ فيمن خصَّهُ الله بالحب

وأن الذى لفقتم فى كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن تُحْفَر الزُّبَى ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حرباً عواناً وربَّمَا أمَرَّ على من ذاقهُ حَلَبُ الحرب

فلسنا وبيتِ الله نسلم أحمداً لعزَّاءَ من عضِّ الزمان ولا حرب

ولَمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ وأيد أبيدت بالمهندة الشهب

بمعترك ضَنْك ترى كِسَرَ القنا به نَواً لضباعِ العُرْجِ تعكف كالسرب

كأن مجال الخيل فى حجراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ورواها فى البحار:۳۵/۱۶۰ وزاد فيها:

ولسنا نملُّ الحرب حتى تملَّنا ولا نشتكى مما ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

ومنها: إيمانه بمعجزات النبى وكراماته صلى الله عليه وآله، ونظمه إياها شعراً.

قال الطبرسى فى الاحتجاج:۱/۳۴۳:

روى أن أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بنى غالب وانتهوا عن الغى من بعض ذا المنطق

وإلا فإنى إذن خائفٌ بوائقَ فى داركم تلتقى

تكون لغيركمُ عبرةً وربِّ المغارب والمشرق

كما نال من كان من قبلكم ثمودٌ وعادٌ وماذا بقى

غداةَ أتاهم بها صرصرٌ وناقة ذى العرش قد تستقى

فحلَّ عليهم بها سَخْطَةٌ من الله فى ضربة الأزرق

غداة يعضُّ بعرقوبها حساماً من الهند ذا رونق

وأعجب من ذاك فى أمركم عجائب فى الحجر الملصق

بكف الذى قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقى

فأثبته الله فى كفه على رغمِ الجائر الأحمق

أحيمق مخزومكم إذ غوى لغيِّ الغواةِ ولم يَصْدُقِ

الدليل الرابع: استدل به سبط ابن الجوزى على إيمان أبى طالب، ومفاده: أن خصوم على عليه السلام من الأمويين والزبيريين وغيرهم، كانوا حريصين على انتقاصه بأى عيب ممكن فى نفسه وأبيه وأمه وعشيرته، وقد سجل التاريخ مراسلات على عليه السلام ومعاوية ومناظرات أنصارهم، وقد تضمنت ماذمهم على عليه السلام به وإزراؤه عيهم بكفر آبائهم وأمهاتهم، بل سجل التاريخ أن علياً عليه السلام فاخر معاوية بأبى طالب، فكتب له فى رسالة (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق) ومع ذلك لم يتكلم معاوية ولا غيره من أعداء على عليه السلام بكلمة ذم فى أبى طالب!!

فلو أنه كان مشركاً ومات على الشرك كما يدعون، لاغتنم أعداء على هذه النقطة وعيروه بها وشنعوا عليه بها. ولو كان حديث ضحضاح أبى طالب صادراً عن النبى صلى الله عليه وآله لسمعت أخباره شعراً ونثراً فى صفين وبعدها..!

وهذا يدل على أن أحاديث شرك أبى طالب وأنه فى النار والضحضاح، قد وضعت فى عهد الأمويين بعد شهادة على عليه السلام!

الدليل الخامس: ترحم النبى صلى الله عليه وآله على أبى طالب واستغفاره له، وتسميته عام وفاته ووفاة خديجة رضوان الله عليهما (عام الحزن).

قال الأمينى فى الغدير:۷/۳۷۲:

أخرج ابن سعد فى طبقاته ۱: ۱۰۵ عن عبيد الله بن أبى رافع عن على قال: أخبرت رسول الله(ص)بموت أبى طالب فبكى ثم قال: إذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفى لفظ الواقدى: فبكى بكاء شديداً ثم قال: إذهب فاغسله.. الخ. وأخرجه ابن عساكر كما فى أسنى المطالب/۲۱ والبيهقى فى دلائل النبوة. وذكره سبط ابن الجوزى فى التذكره/۶ وابن أبى الحديد فى شرحه ۳-۳۱۴ والحلبى فى السيرة ۱-۳۷۳ والسيد زينى دحلان فى السيرة هامش الحلبية ۱-۹۰ والبرزنجى فى نجاة أبى طالب وصححه كما فى أسنى المطالب/۳۵ وقال: أخرجه أيضاً أبوداود وابن الجاوود وابن خزيمة وقال: إنما ترك النبى(ص)المشئ فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

عن الأسلمى وغيره: توفى أبوطالب للنصف من شوال فى السنة العاشرة من حين نبئ رسول الله(ص)، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام، فاجتمعت على رسول الله(ص)عليها وعلى عمه حزناً شديداً، حتى سمى ذلك العام عام الحزن. انتهى.

وقد روى الخطيب البغدادى فى تاريخه:۱۳/۱۹۶ عن ابن عباس ترحم النبى صلى الله عليه وآله واستغفاره لابى طالب بعد موته، وكذا الذهبى فى تاريخ الإسلام:۱/۲۳۵، وروت مصادرنا أحاديث كثيرة فى ذلك كما فى مناقب آل أبى طالب:۱/۱۵۰ عن آخرين وبحار الأنوار:۱۹/۱۵ وص ۲۵ وج ۲۲/۵۳۰

هذا وقد ثبت أن أبا طالب كان على دين عبد المطلب، وسوف يتضح لك إيمان عبد المطلب ومقامه، رضوان الله عليهما، فى فصل شفاعة الأنبياء (عليهم السلام).

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

كان اليهود أسبق الأمم إلى تحريف قانون العقوبة الإلهى، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخرى، وخففوا قانون العقوبة الإلهى وشوشوه بالنسبة إلى الجرائم الأخرى التى يرتكبونها!

ومن الطبيعى أن يسرى ذلك إلى عقيدتهم بالله تعالى، فصوروه بأنه قاس عصبىُّ المزاج، ولذا فإن عقوباته شديدة وغير منطقية! وذلك

واضح لمن قرأ صفحات قليلة من توراتهم.

وقد أخذ المسيحيون هذه الثقافة من اليهود، وما زالوا.. وقد سمعت أن من المسائل الفكرية المطروحة أخيراً عند الكتاب الغربيين، خاصةً فى فرنسا، موضوع: هل يجب أن يكون فى الدين الإلهى محرمات، أم لا..

ذلك أن اليهود والكتاب المتأثرين بهم يريدون من الكنيسة المسيحية أن تقدم ديناً بلا محرمات، وتفتى بأن المهم هو الإيمان الذى هو أمرٌ فى القلب، مهما كان عمل الناس!

وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذى زرعه اليهود فى عقائد المسلمين، عن طريق بعض الصحابة!

أما زارعوه الجدد فليسوا كعب الأحبار ولا وهب بن منبه، بل هم ذرارى النصارى واليهود الصرحاء! والمزروع فيهم ليسوا صحابة، بل هم ذرارى المسلمين المتغربين!

اخبار النبى بظهور المرجئة والقدرية و تحذيره منهم

روت مصادر السنة والشيعة تنبؤ النبى صلى الله عليه وآله بظهور المرجئة والقدرية فى أمته وتحذيره من خطرهم، وأنهم لا تنالهم شفاعته، لأنهم يحرفون الإسلام ويشوشون أمر الأمة من بعده.

فقد روى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۷/۲۰۷:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): صنفان من أمتى لا يردا علىَّ الحوض ولا يدخلان الجنة، القدرية والمرجئة. رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروى وهو ثقة. انتهى. وروى الترمذى شبيهاً به فى:۳/۳۰۸

ورواه فى كنز العمال:۱/۱۱۹ عن حلية الأولياء لأبى نعيم عن أنس، وعن مسند الطيالسى، عن واثلة عن جابر. وروى نحوه فى:۱/۳۶۲ عن السلفى فى انتخاب حديث القراء عن على. ورواه ابن حبان فى كتاب المجروحين:۲/۱۱۲ عن عكرمة.

وفى مجمع الزوائد:۷/۲۰۳:

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى عليه وسلم: ما بعث الله نبياً قط إلا وفى أمته قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته. ألا وإن الله قد لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً. رواه الطبرانى وفيه بقية بن الوليد وهو لين ويزيد بن حصين لم أعرفه. انتهى. ورواه ابن حبان عن أبى هريرة فى كتاب المجروحين:۱/۳۶۲ وفيه (أمته من بعده..سبعين نبياً أنا آخرهم)

وفى كتاب الخصال للصدوق/۷۲:

أخبرنى الخليل بن أحمد قال: أخبرنا ابن منيع قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا على بن ثابت عن إسماعيل بن أبى إسحاق، عن ابن أبى ليلى، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. انتهى.

ورواه فى ثواب الأعمال/۲۱۲.وقال فى صحيفة الرضا/۲۷۸: وبإسناده قال قال رسول الله ۹: صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. رواه فى ثواب الأعمال: ۲۵۲ ح۳ بالإسناد رقم ۱۰ عنه البحار: ۵-۱۱۸ ح ۵۲. ورواه الشيخ حسن بن سليمان فى المختصر: ۱۳۵ بالاسناد رقم ۵۷ والكراجكى فى كنزه: ۵۱ بالإسناد رقم ۱۴ عنه البحار: ۵-۷ ح ۸. ورواه الصدوق فى الخصال: ۱-۷۲ ح ۱۱۰ بإسناده عن ابن عمر عن النبى ۹ عنه البحار: ۵-۷ ح ۷.

وفى دعائم الإسلام:۲/۵۱۱:

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تجوز شهادة أهل الاهواء على المؤمنين، قال أبو جعفر عليه السلام: لا تجوز شهادة حرورى، ولا قدرى ومرجئ، ولا أموى، ولاناصب، ولا فاسق، يعنى من باين بذلك وظهرت عداوته ونصبه، فأما من كتم ذلك وأسره فظهر منه الخير وكان عدلاً فى مذهبه، جازت شهادته وعلى هذا العمل.

تعريف المرجئة و مذهبهم

قال النووى فى شرح مسلم:١ جزء ١/٢١٨:

قال القاضى عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد فى النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن.

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

فى أن الله تعالى يعفو عن الكبائر. الإجماع منعقد على أنه تعالى عفوٌّ، وأن عفوه ليس فى حق الكافر بل فى حق المؤمنين، فقالت المعتزلة: هو عفوٌّ عن الصغائر قبل التوبة، وعن الكبائر بعدها. وقالت المرجئة: عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً!!

تفسير الرازى:١۶ جزء ٣١/٢٠٣:

قوله تعالى (لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى) إن المرجئة يتمسكون بهذه الآية فى أنه لا وعيد إلا على الكفار! قال القاضى: ولا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه: أحدها أنه يقتضى أن لا يدخل النار إلا الأشقى الذى كذب وتولى... وثانيهما أن هذا إغراء بالمعاصى... وثالثهما... معلوم من حال الفاسق أنه ليس بأتقى... الخ.

وقال فى هامش بحار الأنوار:٨/٣۶۴:

الوعيدية: فرقة من الخوارج يكفِّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج به عن الملة، ويقابلهم المرجئة وهم يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وليس العمل على مذهبهم، وإن كان من الإيمان. فعليه معنى الارجاء تأخير العمل عن النية والعقد.

وروى فى الكافى:١/۴٠٣:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن على بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثورى: إذهب بنا إلى جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله فى مسجد الخيف، قال: دعنى حتى أذهب فى حاجتى فإنى قد ركبت فإذا جئت حدثتك، فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدثتنى، قال: فنزل فقال له سفيان: مر لى بدواة وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ثم قال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله فى مسجد الخيف: نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها، وبلغها من لم تبلغه.

يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسليمن، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطةٌ من ورائهم، المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام. وجئت أنا وسفيان، فلما كنا فى بعض الطريق قال لى: كما أنت حتى أنظر فى هذا الحديث، قلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً!

فقال: وأى شئ ذلك؟

فقلت له: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم؟ وكل من لاتجوز الصلاة خلفهم؟! وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأى الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدرى يقول: لا يكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء إبليس؟! أو حرورى يتبرأ من على بن أبى طالب ويشهد عليه

بالكفر؟! أو جهمى يقول إنما هى معرفة الله وحده ليس الإيمان شئ غيرها؟!

قال: ويحك وأى شئ يقولون؟!

فقلت يقولون: إن على بن أبى طالب والله الإمام الذى وجب علينا نصيحته، ولزوم جماعتهم: أهل بيته. قال: فأخذ الكتاب فخرَّقه، ثم قال. لا تخبر بها أحداً.

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر

رأينا كيف وسعت دولة الخلافة القرشية شفاعة النبى صلى الله عليه وآله حتى شملت كل من يشهد بالتوحيد فقط ولو لم يشهد بالنبوة..

ثم وسعتها إلى جميع الخلق، كما تقدم من رواياتهم وكلام ابن تيمية.

ثم استغنت عن شفاعة الأنبياء جميعاً، وأوجبت الجنة بأعمال وكلمات بسيطة.

ثم استغنت عن كل ذلك، وقالت بفناء النار ونقل أهلها إلى الجنة!!

ولعل الخليفة عمر وكعب الأحبار رائدى هذه الافكار ومن تابعهم عليها لم يلتفتوا إلى خطورتها الزائدة، وأنها تمثل مشروعاً خطيراً لإسقاط كل المحرمات وتعويم الإيمان، فى أمة نهضت بالإسلام والإيمان وأخذت تفتح بلاد الإمبراطورية الفارسية والرومانية، بلداً بعد آخر.. وهى بأمسِّ الحاجة إلى حفظ شخصية جنودها وجديتهم، وعدم التساهل فى مفاهيم إيمانهم.

على أى حال فالذى وقع فى حياة الأمة، أن هذه الأفكار بمساعدة فكرة الجبر وأن الله تعالى قد فرغ من الأمر وكتب كل شئ وانتهى الأمر ولا بداء.. سرعان ما أثمرت مذهبين عقائديين مواليين للسلطة هما: المرجئة والقدرية، وقد تبنتهما السلطة وأيدت علماءهما وهيأت لهم الظروف لنشر أفكارهم فى الأمة.

ويتلخص مذهب المرجئة بمقولتهم المشهورة (الإيمان لا تضر معه معصية) فالإيمان عندهم مجرد القول بالشهادتين، وبذلك يضمن الإنسان دخول الجنة مهما كان عمله!!

ويتلخص مذهب القدرية أو الجبرية: بأن مسؤولية الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة أو منتفية، لأن الخير والشر من الله تعالى، وكل شئ مكتوب ومقدر منه تعالى!!

ومن الواضح أن هذين المذهبين هما نفس الأفكار والأحاديث التى رأيناها فى توسيع الشفاعة وتوسيع دخول الجنة، لكن بصيغة (ممذهبة).

كما أن أحدهما مكمل للآخر فى تخفيف مسؤولية الإنسان، لأن جوهرهما واحد وهو (تعويم) قانون العقوبة الإلهى، بل تطمين الناس بأنه قد تم شطبه!!

وقد مر معنا فى بحث توسيعات الشفاعة ما رواه السيوطى فى الدر المنثور:۲/۱۱۶ عن البيهقى، وادعاؤهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال لعمر: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس، ولكن تسأل عن الفطرة! وهذا نفس ما يقوله المرجئة!

وفى سنن الترمذى:۳/۸۷:

أن النبى صلى الله عليه وآله سمع ذات يوم رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: على الفطرة. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار! انتهى. ونحوه فى صحيح مسلم ج۲/۴ ومسند أحمد:۳/۲۴۱ وكنز العمال:۸/۳۶۶

بل وجدنا نفس تعبير (الإيمان لا تضر معه خطيئة) فى عدة روايات فى مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص:۲/۱۷۰ قال: قال رسول الله (ص): من لقى الله لا يشرك به شيئاً لم تضره معه خطيئة! انتهى.

وقال عنه فى مجمع الزوائد:۱/۱۹: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح ماخلا التابعى فإنه لم يسم، ورواه الطبرانى

فجعله من روایة مسروق عن عبد الله بن عمرو. وقال فی کنز العمال:۱/۸۱ إنه صحح! انتهی.

ومصدر ابن عمرو إما أن یکون الخلیفة عمر، وإما أن یکون أخذه من أحادیث (العِدْلَین) أی الکیسین الکبیرین اللذین أخذهما بعد معرکة الیرموک من الشام من رایات الیهود وکتبهم، وکان یحدث المسلمین منهما!

اول من تصدی لمذهب المرجئة علی

روی الصدوق فی علل الشرائع:۲/۶۰۲:

حدثنا الحسین بن أحمد رحمه الله عن أبیه عن محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو عبد الله الرازی، عن علی بن سلیمان بن راشد، بإسناده رفعه إلی أمیر المؤمنین علیه السلام قال: یحشر المرجئة عمیاناً، إمامهم أعمی، فیقول بعض من یراهم من غیر أمتنا: ماتکون أمة محمد إلا عمیاناً! فأقول لهم: لیسوا من أمة محمد، لانهم بدَّلوا فبدل ما بهم، وغیَّروا فغیر ما بهم.

وروی فی الخصال/۶۱۱:

حدثنا أبی (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنی محمد بن عیسی بن عبید الیقطینی، عن القاسم بن یحیی، عن جده الحسن بن راشد، عن أبی بصیر ومحمد بن مسلم، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: حدثنی أبی عن جدی عن آبائه (علیهم السلام)أن أمیر المؤمنین علیه السلام علم أصحابه فی مجلس واحد أربع مائة باب مما یصلح للمسلم فی دینه ودنیاه.

قال علیه السلام: إن الحجامة تصحح البدن وتشد العقل، والطیب فی الشارب من أخلاق النبی صلی الله علیه وآله وکرامة الکاتبین، والسواک من مرضات الله عز وجل وسنة النبی صلی الله علیه وآله ومطیبة للفم، والدهن یلین البشرة ویزید فی الدماغ ویسهل مجاری الماء ویذهب بالقشف ویسفر اللون، وغسل الرأس یذهب بالدرن وینفی القذاء، والمضمضة والاستنشاق سنة وطهور للفم والانف، والسعوط مصحة للرأس وتنقیة للبدن وسائر أوجاع الرأس، والنورة نشرة وطهور للجسد، واستجادة الحذاء وقایة للبدن وعون علی الطهور والصلاة. وتقلیم الاظفار یمنع الداء الأعظم... الخ.

وهو حدیث طویل فیه تعلیمات هامة دینیة ودنیویة، وقد جاء فیه عن المرجئة: علموا صبیانکم ما ینفعهم الله به، لا تغلب علیهم المرجئة برأیها... انتهی.

وقال فی هامشه: قال العلامة المجلسی رحمه الله: إعلم أن أصل هذا الخبر فی غایة الوثاقة والإعتبار علی طریقة القدماء، وإن لم یکن صحیحاً بزعم المتأخرین، واعتمد علیه الکلینی رحمه الله وذکر أکثر أجزائه متفرقة فی أبواب الکافی، وکذا غیره من أکابر المحدثین.

أقول: عدم صحة السند عند المتأخرین لمقام القاسم بن یحیی، والظاهر أن أصل الروایة فی کتابه، قال الشیخ فی الفهرست: القاسم بن یحیی الراشدی له کتاب فیه آداب أمیر المؤمنین علیه السلام، والراشدی نسبة إلی جده الحسن بن راشد البغدادی مولی المنصور الدوانیقی الذی کان وزیراً للمهدی وموسی وهارون الرشید. قال ابن الغضائری: ضعیف. وقال البهبهانی فی التعلیقة: لا وثوق بتضعیف ابن الغضائری إیاه، وروایة الاجلة سیما مثل أحمد بن محمد بن عیسی عنه تشیر إلی الاعتماد علیه، بل الوثاقة وکثرة روایاته والافتاء بمضمونها یؤیده. ویؤید فساد کلام ابن الغضائری فی المقام، عدم تضعیف شیخ من المشایخ العظام الماهرین بأحوال الرجال إیاه، وعدم طعن من أحد ممن ذکره فی ترجمته وترجمة جده وغیرها، والعلامة رحمه الله تبع ابن الغضائری بناء علی جواز عثوره علی مالم یعثروا علیه، وفیه ما فیه. انتهی. ورواه ابن شعبة الحرانی مرسلاً فی تحف العقول/۱۰۴

هذا وقد صرح القاضی النعمانی المغربی المتوفی سنة ۳۶۳ بأن اسم المرجئة أول ما أطلق علی المتخلفین عن بیعة علی علیه السلام ونصرته علی الفئة الباغیة، وهو یدل علی أن بعض الصحابة تمسکوا بفکرة کعب وعمر التی تکتفی لدخول الجنة بالتوحید بدون عمل، فیکون مذهب المرجئة قد تمت ولادته بعد وفاة عمر بقلیل وفی حیاة کعب الأحبار!

قال القاضی النعمانی فی شرح الأخبار:۲/۸۲:

فأما المتخلفون عن الجهاد مع على صلوات الله عليه، وقتال من نكث بيعته ومن حاربه وناصبه، فإنه تخلف عنه فى ذلك من المعروفين من الصحابة: سعد بن أبى وقاص وكان أحد الستة الذين سماهم عمر للشورى، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة، واقتدى بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه، ولم يشهدوا شيئاً من حروبه معه ولا مع من حاربه. وهذه الفرقة هم أصل المرجئة وبهم اقتدوا، وذهب إلى ذلك من رأيهم جماعة من الناس وصوبوهم فيه وذهبوا إلى ما ذهبوا إليه، فقالوا فى الفريقين فى على عليه السلام ومن قاتل معه وفى الذين حاربوه وناصبوه ومن قتل من الفريقين: إنهم يخافون عليهم العذاب ويرجون لهم الخلاص والثواب، ولم يقطعوا عليهم بغير ذلك وتخلفوا عنهم. والإرجاء فى اللغة التأخير فسموا مرجئة لتأخيرهم القول فيهم، وتأخرهم عنهم ولم يقطعوا عليهم بثواب ولا عقاب، لأنهم زعموا أنهم كلهم موحدون ولا عذاب عندهم على من قال: لا إله إلا الله، فقدموا المقال وأخروا الأعمال فكان هذا أصل الإرجاء ثم تفرق أهله فرقاً إلى اليوم يزيدون على ذلك من القول وينقصون. انتهى.

وقال فى شرح الأخبار:۱/۳۶۵:

ثم هذه الفرق التى ذكرناها تتشعب ويحدث فى أهلها الإختلاف إلى اليوم وأصلها ست فرق: شيعة وعامة وخوارج ومعتزلة ومرجئة وحشوية.

فالشيعة: هم شيعة على صلوات الله عليه القائلون بإمامته، وهم أقدم الفرق وأصلها الذى تفرعت عنه، ورسول الله صلوات الله عليه وآله سماها بهذا الاسم. وقال: شيعة علىٍّ هم الفائزون. وقال لعلى عليه السلام: أنت وشيعتك.. فى آثار كثيرة رويت عنه. وسنذكر فى هذا الكتاب ما يجرى ذكره إن شاء الله تعالى. وغير ذلك من الفرق محدثةٌ أحدثت بعد النبى صلوات الله عليه وآله. انتهى.

ويدل النصان التاليان على وجود المرجئة على شكل مذهب متكامل فى عصر الإمام الباقر عليه السلام المتوفى سنة ۹۴ هجرية، أى فى الجيل الأول من التابعين بعد الصحابة مباشرة.

قال الصدوق فى ثواب الأعمال/۲۱۳:

وحدثنى محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنى محمد بن جعفر قال: حدثنى أحمد بن محمد العاصمى قال: حدثنى على بن عاصم الهمدانى، عن محمد بن عبد الرحمن المحررى، عن يحيى بن سالم، عن محمد بن سلمة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود، ولا من القدرية بالنصرانية.

وفى علل الشرائع:۲/۵۲۸:

وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن سعيد قال: حدثنا عبدالكريم الهمدانى، عن أبى ثمامة قال: دخلت على أبى جعفر عليه السلام وقلت له: جعلت فداك إنى رجل أريد أن ألازم مكة وعلىَّ دينٌ للمرجئة فما تقول؟ قال: قال إرجع (وأد) دينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون. انتهى.

أما فى عصر الإمام الصادق عليه السلام وما بعده فقد كان للمرجئة وجودٌ واسع وصولةٌ، وانتشر مذهبهم حتى شمل أكثر الرواة وعلماء الدولة..كما اتسع تصدى أهل البيت (عليهم السلام) لأفكارهم، ففى دعائم الإسلام للقاضى النعمان: ۱/۳ قال: روينا عن جعفر بن محمد أنه قال: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهذا الذى لا يصح غيره، لا كما زعمت المرجئة أن الإيمان قولٌ بلا عمل، ولا كالذى قالت الجماعة من العامة إن الإيمان قولٌ وعملٌ فقط، وكيف يكون ما قالت المرجئة إنه قول بلا عمل وهم والأمة مجمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التى افترضها على عباده منكراً لها أنه كافر حلال الدم ما كان مصراً على ذلك، وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه، إلا أنه يقول هذه الفريضة ليست مما جاء به، وقد قال الله عز وجل: وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ أَلَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخرة هُمْ كَافِرُونَ، فأخرجهم من الإيمان بمنعهم الزكاة، وبذلك استحل القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دماء بنى حنيفة وسبى ذراريهم، وسموهم أهل الردة إذ منعوهم الزكاة. انتهى.

قال الكلينى فى الكافى:۲/۴۰:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسأله رجل عن قول المرجئة فى الكفر والإيمان، وقال إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن! فقال: سبحان الله وكيف يستوى هذان؟! والكفر إقرارٌ من العبد، فلا يكلف بعد إقراره ببينة، والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببينة، وبينته عمله ونيته، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن. والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل، والأحكام تجرى على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجرى عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

وقال فى الايضاح/۴۴:

ومنهم المرجئة الذين يروى عنهم أعلامهم مثل إبراهيم النخعى وإبراهيم بن يزيد التيمى، ومن دونهما مثل سفيان الثورى وابن المبارك ووكيع وهشام وعلى بن عاصم، عن رجالهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة. فقيل له: ما المرجئة قالوا: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وأصل ما هم عليه أنهم يدينون بأن أحدهم لو ذبح أباه وأمه وابنه وبنته وأخاه وأخته وأحرقهم بالنار أو زنى أو سرق أو قتل النفس التى حرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبش القبور أو أتى أى كبيرة نهى الله عنها.. أن ذلك لا يفسد عليه إيمانه ولا يخرجه منه، وأنه إذا أقر بلسانه بالشهادتين أنه مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل صلى الله عليهما، فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب ما نهى الله عنه!

ويحتجون بأن النبى صلى الله عليه وآله قال: أمرنا أن نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. وهذا قبل أن يفرض سائر الفرائض وهو منسوخ. وقد روى محمد بن الفضل، عن أبيه، عن المغيرة بن سعيد، عن أبيه، عن مقسم، عن سعيد بن جبير قال: المرجئة يهود هذه الأمة. وقد نسخ احتجاجهم قول النبى صلى الله عليه وآله حين قال: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان.

كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم

الكافى:۲/۴۰۹:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مروك بن عبيد، عن رجل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. قال قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين!

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون! فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم فى كتابه: لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين.. قال كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا. انتهى.

ومعنى كلام الإمام الصادق عليه السلام: أن المرجئة زعموا أن قتلة الإمام الحسين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم! وبذلك صار المرجئة شركاءلبنى أمية فى الجريمة، لأن من رضى بعمل قوم فقد شركهم فيه!

ويدل النص التالى على أن المرجئة كانوا يجادلون المعارضين لبنى أمية ليأخذوا عليهم مستمسكاً للخليفة لكى يضطهدهم!

- وقال الكلينى فى الكافى:۸/۲۷۰:

عن عبد الحميد بن أبى العلاء قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت مولى لابى عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبى عبدالله، فإذا أنا بأبى عبد الله ساجداً فانتظرته طويلاً فطال سجوده علىَّ، فقمت وصليت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: قبل أن تأتينا، فلما سمع كلامى رفع رأسه ثم قال: أبا محمد أدن منى فدنوت منه فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الاصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدونى فقم بنا، فقمت معه فلما أن رأوه

نهضوا نحوه فقال لهم: كفوا أنفسكم عنى ولا تؤذونى وتعرضونى للسلطان، فإنى لست بمفت لكم، ثم أخذ بيدى وتركهم ومضى، فلما خرج من المسجد قال لى يا أبا محمد والله لو أن إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عز ذكره ما لم يسجد لادم، كما أمره الله عز وجل أن يسجد له.

وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وبعد تركهم الإمام الذى نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله لهم فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عز وجل من حيث أمرهم، ويتولوا الإمام الذى أمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذى فتحه الله عز وجل ورسوله لهم.

يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد صلى الله عليه وآله خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم فى أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لاحد من المسلمين فى ترك ولايتنا، لا والله مافيها رخصة.

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء

للمرجئة فى المذاهب الأربعة وفى الصحاح الستة مكانةٌ محترمةٌ حتى أن بعض أئمة المذاهب أنفسهم اتهموا بأنهم مرجئة..قال فى هامش كتاب المجروحين: ۳/۶۳: هناك تعليقات كثيرة على المخطوطة هاجمت ابن حبان لتحامله على أبى حنيفة، ومما هوجم من أجله والد أبى حنيفه بأنه كان خبازاً واعتبر المعلق ذلك غيبة تخرج عن حد الرأى فى المحدث.

ونشير هنا إلى أن جد أبى حنيفة كان أحد أمراء بلاد الافغان (مرزبان) واختلفت أقوال حفيده فى مسألة أسر جده ثم عتقه، قال أحدهما: والله ما وقع لنا رقٌّ قط.

يراجع الإمام الاعظم: اتهام أبى حنيفة بالإرجاء وأنه داعية إلى البدع، غير مقبول من ابن حبان ومن شاركه هذا القول على إطلاقه، ونلخص القول فى ذلك بما جاء فى كتاب اللكنوى (الرفع والتكميل ۱۵۴):

جملة التفرقة بين اعتقاد أهل السنة وبين اعتقاد المرجئة: أن المرجئة يكتفون فى الإيمان بمعرفة الله ونحوه ويجعلون ما سوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصى غير مضرة ولا نافعة ويتشبثون بظاهر حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

وأهل السنة يقولون: لا تكفى فى الإيمان المعرفة، بل لا بد من التصديق الإختيارى مع الإقرار اللسانى، وأن الطاعات مفيدة والمعاصى مضرة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران.

والذى يجب علمه على العالم المشتغل بكتب التواريخ وأسماء الرجال أن (يعرف أن) الإرجاء يطلق على قسمين: أحدهما الارجاء الذى هو ضلال. وثانيهما الإرجاء الذى ليس بضلال، ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً.

ولهذا ذكروا أن المرجئة فرقتان: مرجئة الضلالة، ومرجئة أهل السنة. وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيره من الرواة الإثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة.

ثم يقول أيضاً فى ختام مناقشته لهذا الموضوع ۱۶۱: وخلاصة المرام فى هذا المقام أن الإرجاء: قد يطلق على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الزاعمين بالخلود النارى لصاحب الكبيرة، وقد يطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخلة فى الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان ـ وهو مذهب أبى حنيفه وأتباعه ـ من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال فى الإيمان. وهذا النزاع وإن كان لفظياً كما حققه المحققون من الأولين والآخرين لكنه لما طال وآل الأمر إلى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين، أدى ذلك إلى أن أطلقوا الإرجاء على مخالفيهم وشنعوا بذلك عليهم، وهو ليس بطعن فى الحقيقه، على ما لا يخفى على مهرة الشريعة.

أقول: إذا عرفت هذا علمت أن قول ابن حبان فى إطلاقه الإرجاء على أبى حنيفة وأصحابه فيه اتهام غير محدد وتعمية تضلل الباحث، وهو يقصد إلى ذلك قصداً ما كان يجدر به أن يقع فى مثل ذلك. انتهى.

ولا كلام لنا فى دفاعهم عن نسب أبى حنيفة وحسبه، فقد كان على أتباعه أن يجعلوه من ملوك الأفاغنة وأبناء المرازبة أو الأكاسرة، حتى يواجهوا به مذهب أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ونسبهم الشامخ من عَلْيَا قريش وذروة بنى هاشم..

ولكنا نسأل: من أين جاؤوا بهذا التقسيم للمرجئة إلى مرجئة من أهل السنة ومرجئة ضلالة، وحكموا بأن أبا حنيفة من النوع الجيد لا الردئ..! فما هو الفرق العلمى والعقائدى بين هذين النوعين حتينقبل الجيد ونترك الردئ؟!

وهل يكفى التخلص اللفظى من مذهب المرجئة بمثل قول اللكنوى المتقدم بأن مذهب أهل السنة (أن الطاعات مفيدة والمعاصى مضرة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران) مع أن الأحاديث التى تشبث بها المرجئة على حد تعبيره ثابتة وصحيحة عندهم!

تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء

أما إذا نظرت إلى الصحاح فيأخذك العجب عندما تجد نسبةً كبيرةً من رواتها المحترمين مرجئة!! وهو موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة ولا يتسع المجال لأكثر من إشارة إلى بعضهم:

فمنهم: الفأفاء، وهو رأس فى المرجئة متعصب لبنى أمية مبغض لعلى عليه السلام بل مبغض للنبى صلى الله عليه وآله! وكان يقرأ لخلفاء بنى أمية القصائد فى هجاء النبى! وقد قتله العباسيون فى ثورتهم.. ومع ذلك فهو معتمدٌ عند ابن المدينى شيخ البخارى ويقول عنه قتل مظلوماً، ومعتمدٌ عند البخارى فقد روى عنه فى الأدب المفرد وكذلك عند مسلم والنسائى وابن ماجة والترمذى وأبى داود!

قال فى تهذيب التهذيب:۳/۸۳: خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى أبو سلمة، ويقال أبو المقسم المعروف بالفأفاء الكوفى، أصله حجازى، روى عن عبدالله البهى وعيسى وموسى ابنى طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن المسيب وأبى بردة بن أبى موسى والشعبى وغيرهم. وعنه أولاده عكرمة ومحمد وعبد الرحمن، والسفيانان، وشعبة، ومسعر، وزائدة، وزكرياء بن أبى زائدة وابنه يحيى بن زكرياء، وحماد بن زيد، وغيرهم.. وحدث عنه عمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وهما أكبر منه.

قال البخارى عن ابن المدينى له نحو عشرة أحاديث.

وقال أحمد وابن معين وابن المدينى ثقة، وكذا قال ابن عمار ويعقوب بن شيبة والنسائى.

وقال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه.

وقال ابن عدى: هو فى عداد من يجمع حديثه، ولا أرى بروايته بأساً.

وذكره ابن حبان فى الثقات.

وقال ابن سعد: هرب من الكوفة إلى واسط لما ظهرت دعوة بنى العباس، فقتل مع ابن هبيرة.

وقال محمد بن حميد عن جرير: كان الفأفأ رأساً فى المرجئة، وكان يبغض علياً.

وقال يعقوب بن شيبة: يقال إن بعض الخلفاء قطع لسانه ثم قتله، ذكره على بنالمدينى يوماً فقال: قتل مظلوماً.

وقال أبو داود عن الحسن بن على الخلال: سمعت يزيد بن هارون يقول دخلت المسودة واسط سنة ۱۳۲ فنادى مناديهم بواسط: الناس آمنون إلا ثلاثة: العوام بن حوشب، وعمر بن ذر، وخالد بن سلمة المخزومى. فأما خالد فقتل، وأما العوام فهرب وكان يحرض على قتالهم، وكان عمر بن ذر يقص بهم ويحرض على قتالهم عندنا بواسط. له عند مسلم حديث واحد.

قلت: وقع فى صحيح البخارى ضمناً حيث قال فى الحيض وقالت عائشة كان رسول الله(ص)يذكر الله على كل أحيانه، فإن مسلماً أخرجه من طريق خالد بن سلمة.

هذا وذكر ابن المدينى فى العلل الكبرى أن الفأفاء لم يسمع من عبد الله بن عمر، وذكر ابن عائشة: أنه كان ينشد بنى مروان الأشعار التى هجى بها المصطفى (ص)!!. انتهى.

ومنهم: الحمانى، الذى روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة.. قال فى تهذيب التهذيب:۶/۱۰۹: عبد الحميد بن

عبد الرحمن الحمانى أبو يحيى الكوفى ولقبه بشمين. أصله خوارزمى. روى عن يزيد بن أبى بردة، والأعمش، والسفيانين، وأبى حنيفة وجماعة. وعنه أبو بكر ومحمد بن خلف الحدادى، والحسن بن على الخلال، وأحمد بن عمر الوكيعى، وأبو كريب، وموسى بن عبد الرحمن المسروقى، وأبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة، وسفيان بن وكيع، والحسين بن يزيد الكوفى، ومحمد بن عبد بن ثعلبة، ويحيى بن موسى خت، وعمرو بن على الفلاس، وأبو سعيد الأشج، والحسن بن على بن عفان العامرى، وغيرهم. قال ابن معين: ثقة.

وقال أبو داود: كان داعية فى الإرجاء!!

وقال النسائى: ليس بقوى، وقال فى موضع آخر: ثقة، وذكره ابن حبان فى الثقات. وقال ابن عدى: هو وابنه ممن يكتب حديثه. قال هارون الحمال مات سنة اثنتين ومائتين. قلت: وفيها أرخه ابن قانع وزاد فى جمادى الأولى وهو ثقة.

وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفاً. وقال العجلى: كوفى ضعيف الحديث مرجئ. وقال البرقى: قال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف العقل!.انتهى.

ومنهم: شعيب بن اسحاق مولى بنى أمية الذى روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة.. قال فى تهذيب التهذيب:۴/۳۰۴: شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الدمشقى الأموى، مولى رملة بنت عثمان، أصله من البصرة. روى عن أبيه وأبى حنيفة وتمذهب له، وابن جريج والأوزاعى، وسعيد بن أبى عروبة، وعبيد الله بن عمرو، وهشام بن عروة، والثورى وغيرهم. وعنه ابن ابنه عبد الرحمن بن عبد الصمد بن شعيب، وداود بن رشيد، والحكم بن موسى، وأبو النضر الفراديسى، وعمرو بن عون، وإبراهيم بن موسى الرازى، وإسحاق بن راهويه، وسويد بن سعيد، وأبو كريب محمد بن العلاء، وهشام بن عمار، وغيرهم.

وحدث عنه الليث بن سعد، وهو فى عداد شيوخه.

قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما أصح حديثه وأوثقه.

وقال أبو داود: ثقة وهو مرجئ، سمعت أحمد يقول: سمع من سعيد بن أبيعروبة بآخر رمق.

وقال هشام بن عمار عن شعيب: سمعت من سعيد سنة ۱۴۴

وقال ابن معين ودحيم والنسائى: ثقة.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعى يقربه ويدنيه.

قال دحيم: ولد سنة ۱۸ ومات سنة ۱۸۹ وكذا أرخه ابن مصفى وزاد فى رجبوفيها أرخه غير واحد. ووقع فى الكمال سنة ۹۸ وهو وهم. قلت: وفى سنة ۸۹ أرخه ابن حبان فى الثقات، ونقل أبو الوليد الباجى عن أبى حاتم قال: شعيب ابن اسحاق ثقة مأمون. انتهى.

ومنهم: الغنوى الذى روى عنه مسلم والأربعة..قال فى تهذيب التهذيب: ۱/۴۱۱: بشير بن المهاجر الغنوى الكوفى، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن بريدة والحسن البصرى وعكرمة وغيرهم. وعنه ابن المبارك، ووكيع، وابن نمير، والثورى، وجعفر بن عون، وأبو نعيم، وخلاد بن يحيى، وغيرهم... وقال العجلى: كوفى ثقة، وقال العقيلى: مرجئ متهم متكلم فيه. وقال الساجى: منكر الحديث عنده. انتهى.

وقد سجل ابن شاذان هذا التناقض على أصحاب الصحاح فقال فى الإيضاح /۵۰۲: ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم وتروون عن القدرية ويروون عنكم وتروون عن الجهمية ويروون عنكم فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها، فلا الحق أنتم منه على ثقة، ولا الباطل أنتم منه على يقين وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة.

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم

قال الدكتور حسن إبراهيم فى كتابه تاريخ الإسلام:۱/۴۱۶ عن المرجئة:

وهى طائفة المرجئة التى ظهرت فى دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثانى من القرن الأول الهجرى.

وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث. كما يتحرجون عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها....

وهؤلاء هم فى الحقيقة كتلة المسلمين التى رضيت حكم بنى أمية، مخالفين فى ذلك الشيعة والخوراج. ومع هذا فإنهم يتفقون فى العقيدة إلى حد ما مع طائفة المحافظين وهى أهل السنة، وإن كانوا ـ كما يرى فون كريمر ـ قد ألانوا من شدة عقائد هؤلاء السنيين باعتقادهم (أنه لا يخلد مسلم مؤمن فى النار) وعلى العموم فهم يضعون العقيدة فوق العمل.

وكانت آراؤهم تتفق تماماً مع رجال البلاط الأموى ومن يلوذ به، بحيث لا يستطيع أحد من الشيعيين أو الخوارج أن يعيش بينهم، فى الوقت الذى تمكن فيه المسيحيون وغيرهم من المسلمين أن ينالوا الحظوة لديهم، أو يشغلوا المناصب العالية!. انتهى.

ويمكنك ملاحظة التناقض بين ما ذكره الدكتور والمستشرقون عن تقوى المرجئة وتحرجهم عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها وحكمهم عليه بأنه من أهل الجنة بحكم عقيدتهم، وبين تقواهم فى أنهم كانوا يتعايشون مع الحكام الأمويين والنصارى واليهود ولا يتعايشون مع من خالفهم من المسلمين.

ولعل السبب فى ذلك أن الحكام الأمويون أساتذتهم فى عملية إسقاط المحرمات، بينما اليهود والنصارى أساتذتهم فى نظرية إسقاط المحرمات!!

ثم قال الدكتور حسن إبراهيم:

وبزوال الدولة الأموية أفل نجم طائفة المرجئة ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً، ومع ذلك فقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب المذهب المشهور. انتهى.

ولكن حكمه بزوال المرجئة مع أسيادهم الأمويين غير دقيق، لانهم سقطوا سياسياً لا ثقافياً، فقد بقيت أفكارهم ورواياتهم وعقائدهم فى مصادر المسلمين..ويكفى دليلاً على ذلك اتهام أبى حنيفة وغيره بأنهم منهم..فإن خط المرجئة عاد إلى النفوذ والحكم بقرار من الدولة العباسية لكى تواجه به أهل البيت (عليهم السلام)

غاية الأمر أن اسمهم صار الأشعرية والحنابلة وأهل الحديث وأهل السنة، فإن أكثرية هؤلاء من المرجئة!

ويكفى دليلاً ـ على ذلك أن كبار علمائهم لا يستطيعون التفريق بين رأيهم فى الشفاعة وبين رأى المرجئة، وأن إطاعتهم للعباسيين كإطاعة المرجئة للأمويين!

بل يمكن القول إنه بعد زوال العباسيين وكثير من الفرق لم ينته المرجئة، لأن أساس مذهبهم ومنبع أفكارهم الأحاديث التى دخلت الصحاح كما رأيت، ومن أراد أن يأخذ بها ويلتزم بلوازمها فلا بد له أن يكون مرجئاً ويقول بسقوط المحرمات عملياً، ويكتفى بالشهادتين كما مر فى توسيع الشفاعة!!

وأخيراً فقد نقل الدكتور المذكور تأسف المستشرق فون كريمر على ضياع تاريخ المرجئة بعد زوالهم قال فى:۱/۴۱۸:

ويقول فون كريمر: ومما يؤسف له كثيراً أنه ليس لدينا غير القيل من الأخبار الصحيحة عن هذه الطائفة، فقد استمروا طوال ذلك العصر وذاقوا حلوه ومره، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التى وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين، ومن ثَمَّ كان لزوماً علينا أن نستقى معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة فى مؤلفات كتاب العرب فى ذلك العصر الثانى. انتهى.

وهو تأسف ظاهره علمى وواقعه البكاء على المرجئة لما اشتهر عنهم وعن الأمويين من تفضيلهم التعايش مع المسيحيين واليهود على التعايش مع من خالفهم من المسلمين..وهو تأسف يجعلنا نلمس صدق قول الإمام محمد الباقر عليه السلام عن المرجئة بأنهم أشبه

باليهود من الليل بالليل، وذلك لجرأتهم على إسقاط قانون العقوبة الالهى، وقولهم إن المسلم مهما ارتكب من جرائم فلن تمسه النار حتى أياماً معدودة، فليس غريباً أن يحبهم ويتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى!

المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم

مع أن مذهب المرجئة مذهبٌ فى الثواب والعقاب ولا علاقة له بالقضاء والقدر والجبر والتفويض..ومع أن النسبة بين المرجئة وبين القدرية والمفوضة عمومٌ من وجه، لأن المرجئ فى الأعمال قد يكون مفوضاً أو قدرياً، كما أن القدرى والمفوض قد يكون مرجئاً أو غير مرجئ..

ولكن ذلك كله فى مقام الإثبات والنظرية، أما فى مقام الثبوت والتطبيق فالأعم الأغلب فى المرجئة أنهم قدرية جبرية، والسبب فى ذلك أن الأحاديث التى استندوا إليها فى القول بالإرجاء أو (تشبثوا) بها على حد تعبير اللكنوى رافقتها أحاديث الجبر التى تنسب أفعال الإنسان إلى الله تعالى وتحمله مسؤوليتها، لكى ترفعها عن الإنسان، كما رأيت فى أحاديث توسيع الشفاعة وفناء النار!

وبما أن مسائل القضاء والقدر متعددة، لذا نكتفى هنا بإعطاء تصور كلى عنها ليتضح ارتباطها بموضوع الشفاعة والإرجاء فنقول:

ورد تعريف القدر الإلهى فى نص بديع عن الإمام الرضا عليه السلام بأنه (الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء) كما سيأتى. وقد وقع الخلاف بين المسلمين فى مسائله العديدة، وتكونت على أساس آرائهم مذاهبهم العقائدية.

قال السيد الطباطبائى فى هامش الكافى:۱/۱۵۷:

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان فى أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية الأولى: مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شئ والأخبار تقضى فيها بالإثبات...

الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى فى الأفعال والأخبار تدل فيها أيضاً على الإثبات.

الثالثة: مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفى كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً فى طول ملك وسلطنة فى ظرف سلطنة.

واعلم أيضاً أن تسمية هؤلاء بالقدرية مأخوذة مما صح عن النبى صلى الله عليه وآله (إن القدرية مجوس هذه الأمة الحديث) فأخذت المجبرة تسمى المفوضة بالقدرية لأنهم ينكرون القدر ويتكلمون عليه والمفوضة تسمى المجبرة بالقدرية لأنهم يثبتون القدر. والذى يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطلقون الحديث النبوى عليهما.

أما المجبرة فلانهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله عليه السلام فى هذا الخبر مبنى على هذا النظر.

وأما المفوضة فلانهم قائلون بخالقين فى العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أن المجوس قائلون بإله الخير وإله الشر وقوله عليه السلام فى الروايات التالية (لا جبر ولا قدر) ناظر إلى هذا الإعتبار. انتهى.

ونضيف إلى ما ذكره السيد الطباطبائى رحمه الله: مسألة البداء، وهى هل أن تقدير الله تعالى فى كل الأمور حتمى عليه، فلا يمكنه تغيير شئ منه، لأنه فرغ من الأمر على حد تعبير بعض المسلمين، أو لأن يده مغلولة على حد تعبير اليهود..أم أن القدر مفتوح له تعالى، وله الحق والقدرة على البداء والتغيير كما يشاء، لأنه فرغ من الأمر ولم يفرغ منه على حد تعبير أهل البيت (عليهم السلام).

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

محور الخلاف فى مسألة القدر هو: سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة والكون، وفعله فيها.

فالذين ينفون هذه السلطة يسمون (المفوضة) لانهم يزعمون أن الإنسان مفوضٌ فى أعماله، ولا دخل لله تعالى ولا لسلطته فيها.

وقد يكون المفوضة مؤمنين بوجود الله تعالى، ولكنهم يقولون إنه فوض ذلك إلى الإنسان وقوانين الطبيعة..

وقد يكونون ملحدين دهريين أو مشككين، ويعبر عنهم بالمفوضة أيضاً، لانهم ينفون سلطة الله تعالى وفاعليته فى أفعال الإنسان وحركة الطبيعة.

وهم فى عصرنا فئات الماديين من الملحدين والطبيعيين وأكثر العلمانيين، وبعض المتأثرين بالثقافة الغربية من المسلمين.

والتفويض فى القدر مرفوض كلياً عند أهل البيت (عليهم السلام) ومنه التفويض الذى يذهب إليه أكثر المعتزلة أيضاً. قال فى شرح المواقف: ۸/۱۴۶: وقالت المعتزلة أى أكثرهم: هى (الأفعال الإختيارية) واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال الكلينى فى الكافى:۱/۱۵۷:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لى أبو الحسن الرضا عليه السلام:

يا يونس، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس!

فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين.

وقال إبليس: رب بما أغويتنى.

فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكنى أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدروقضى.

فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

يايونس تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال: هى الذكر الأول.

فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال: هى العزيمة على ما يشاء.

فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال: هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لى شيئاً كنت عنه فى غفلة. انتهى.

وفى مجمع الزوائد:۷/۲۰۵:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة. انتهى. ورواه البيهقى فى سننه:۱۰/۲۰۲ وقال: أخرجه أبو داود فى كتاب السنن هكذا. انتهى.

فهذان النصان يردَّان على القدرية المفوضة.

وينبغى الالتفات إلى أن اسم المرجئة لا يستعمل فى الأحاديث فى ضد معناه، بينما يستعمل اسم القدرية للمؤمن بالقدر ولمنكر القدر.. ويعرف ذلك من سياق الكلام.

القدريۀ الجبريۀ (الذين يثبتون القدر)

أمـا الـذين يثبتون فعل الله تعالى فى حركـۀ الكون وأفعال الإنسان فيسـمون (القدريـۀ) لانهم يؤمنون بوجود سـلطۀ لله تعالى على أفعال الإنسان وحركۀ الطبيعۀ بشـكل من الإشـكال، وهؤلاء منهم من يفرط فى إثبات الفعل الإلهى فى أفعال الإنسان فينسـبون أفعال الإنسان إلى الله تعالى نسبۀً كاملۀ فيسمون (الجبريۀ) وهم أكثر المرجئۀ، ولعلهم أكثر إخواننا السنۀ، وإن لم يصرحوا بذلك.. والسبب فى ذلك وجود أحاديث ثبتت عندهم عن الخليفۀ عمر ومن تبعه من الصـحابۀ توجب القول بذلك، وهى نقطۀ التقاء شديدۀ بينهم وبين المرجئۀ وقد أشـرنا إلى أن السـبب فى جبريۀ المرجئۀ أن أحاديث الارجاء التى صحت عندهم رافقتها أحاديث الجبر مرافقۀ الأخت لأختها، بل كانت نفسها فى بعض الأحيان..ومن هنا قلنا إن الارجاء والجبر أخوان شقيقان لأب وأم.

قال فى شرح المواقف:۸/۱۴۶:

المقصـد الأول فى أن أفعال العباد الإختياريـۀ واقعـۀ بقدرۀ الله سـبحانه وتعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سـبحانه أجرى عـادته بأن يوجـد فى العبـد قـدرۀً واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانعٌ أوجـد فيه فعله المقـدور مقارناً لهما، فيكون فعل العبـد مخلوقاً لله إبـداعاً وإحـداثاً، ومكسوباً للعبـد، والمراد بكسـبه إياه مقارنته لقـدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مـدخل فى وجوده سوى كونه محلاً له! وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى.انتهى.

وأقـدم الأحاديث فى الجبر مروية عن الخليفۀ عمر وكعب الأحبار، وقد تقدم عدد منها فى توسـيع الشـفاعۀ وفناء النار، ونذكر فيما يلى بعضها:

روى أحمد فى مسنده:۱/۲۹:

عن ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما أنه قال للنبى (ص): أرأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو فى شئ مبتدأ أو أمر مبتدع؟ قال: فيما قد فرغ منه. فقـال عمر ألا نتكل؟ فقال: إعمل يا ابن الخطاب فكل ميسـر، أما من كان من أهل السـعادۀ فيعمل للسـعادۀ، وأما أهل الشـقاء فيعمل للشقاء!

ورواه فى:۲/۷۷، ونحوه فى الترمذى:۴/۳۵۲ ونحوه الحاكم:۲/۴۶۲ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه فى مجمع الزوائـد:۷/۱۹۴ عن أبى بكر وعن عمر وقـال: رواه البزار ورجـاله رجال الصـحيح. ورواه فى كنز العمال بعـدۀ روايات فى:۱/۱۲۸ وص ۳۳۹

ورواه البخارى بصيغۀ أخرى تذكر أن الله تعالى يتحمل مسؤوليۀ خطيئۀ آدم عليه السلام، عيناً كما فى التوراۀ!..قال فى صحيحه:۴/۱۳۱ عن أبى هريرۀ: قال قال رسول الله (ص): احتـج آدم وموسـى فقال له موسـى: أنت آدم الـذى أخرجتك خطيئتك من الجنـۀ؟ فقال له آدم: أنت موسـى الـذى اصـطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومنى على أمر قـدر على قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله (ص): فحج آدم موسى مرتين! انتهى.

ورواه بصيغۀ أخرى أيضـاً فيها تعنيفٌ لادم قال فى:۷/۲۱۴ فيهـا (فقـال له موسـى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنـۀ)، وروى نحوه أيضاً فى:۸/۲۰۳

فهذه النصوص الصحيحۀ عندهم تقول بالجبر فى أفعال الإنسان، وفى تكوين الكون معاً.

القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض

أما مذهب أهل البيت (عليهم السـلام) فهو يثبت القدر ويؤمن بسلطۀ الله تعالى على أفعال الإنسان وفعله فيها، ولكنه يقول لا تصح نسبۀ المعصيۀ إليه تعالى وإن كان الأقدار عليها منه تعالى، أما نسبتها التى تستلزم تحمل مسؤوليتها فهى لفاعلها الذى هو الإنسان..

فالإنسان فی هـذا المذهب لیس مجبوراً فی أفعاله الاختیاریة ولا مفوضاً إلیه، ولا مجرد مجری لأفعاله کمجری النهار، بل حاله من نوع آخر یوجـد فیه القدر الالهی بشـکل کامل لصـغیر الأمور وکبیرها ویوجد فیه حریة الإنسان ومسؤولیته. وهذا معنی (لا جبر ولا تفویض ولکن أمر بین أمرین).

وقد أکد أهل البیت (علیهم السلام) علی هذا النوع من القدر، وقاوموا المفوضة لإنکارهم سلطان الله تعالی علی صغیر الأمور وکبیرها. کما قاوموا القائلین بالجبر فی أفعال الإنسان لانهم ینسبون المعاصی إلی الله تعالی، وینسبون إلیه الظلم بمجازاة الإنسان علیها! وکذلک القائلین بالجبر فی الخلق والتکوین والتخطیط، لأنهم یریدون تصویر الکون بأنه آلة وضع الله مخططها وأطلقها ولا یمکنه البداء والتغییر والتبدیل فیها وهم الیهود الذین قالوا (یَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) والمسلمون الذین قلدوهم فقالوا (فرغ من الأمر).

روی الصدوق فی معانی الأخبار/۱۸:

عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال فی قول الله عز وجل: وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، لم یعنوا أنه هکذا ولکنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا یزید ولا ینقص، فقال الله جل جلاله تکذیباً لقولهم: غُلَّتْ أیدیهم ولُعِنُوا بما قالو بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء. ألم تسـمع الله عز وجل یقول: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ.

وقال الحویزی فی تفسیر نور الثقلین:۲/۵۱۴:

فی عیون الأخبـار فی باب مجلس الرضا علیه السـلام مع سـلیمان المروزی قال الرضا علیه السـلام بعـد کلام طویل لسـلیمان: ومن أین قلت ذلک وما الـدلیل علی أن إرادته علمه؟ وقـد یعلم ما لا یریـده أبداً وذلک قوله تعالی: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ فهو یعلم کیف یذهب به ولا یذهب به أبداً؟

قال سلیمان: لأنه قد فرغ من الأمر فلیس یزید فیه شیئاً.

قال الرضا علیه السلام: هذا قول الیهود، فکیف قال: أدعونی أستجب لکم؟

قال سلیمان: إنما عنی بذلک أنه قادر علیه!

قـال: أفیعـد بما لا یفی به؟! فکیف قال: یزیـد فی الخلق ما یشاء؟ وقال عز وجل: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ، وقـد فرغ من الأمر؟!

فلم یَحِرْ جواباً.

وفی هذا المجلس أیضاً قال الرضا علیه السلام:

یا سلیمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالی، یقدم منها ما یشاء ویؤخر ما یشاء.

یا سلیمان إن علیاً علیه السلام کان یقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائکته ورسلهفإنه یکون ولا یکذب نفسه ولا ملائکته ورسله.

وعلم عنده مخزونٌ لم یطلع علیه أحداً من خلقه، یقدم منه ما یشاء ویؤخر مایشاء، ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء. انتهی.

وبـذلک یتضـح أن البداء الذی یؤکد أهل بیت النبی صـلی الله علیه وآله علی أنه جزءٌ من الإسـلام، وأنه ما عبد الله بشـئ کما عبد به، إنما هو نفی الجبریة علی الله تعالی، ونفی زعم الیهود أن یده مغلولة بحجة أنه فرغ من الأمر!

ویتضح منه أن الذین یشنعون علی الشیعة بعقیدة البداء..لم یفهموها!

ردة فعل الخوارج علی توسیع الدولة للشفاعة

من الواضـح للباحث أن بـذور تفکیر الخوارج ولـدت فی عهـد الخلیفـة عمر، وکانت تأخـذ شـکل اعتراضات علی عدم تطبیق الخلیفة للقرآن، کما نلاحظ فی أسئلة الوفد المصری (الدر المنثور:۲/۱۴۵)

ثم نمت فی عهد الخلیفة عثمان..

ثم أخذت شكل اتجاه فكرى فى فهم الدين، وشكل حزب سياسى معارض فى عهد الإمام على عليه السلام ثم استمرت مذهباً وحزباً مسلحاً فى معارضة الأمويين والعباسيين وتكفيرهم وقتالهم..

ومن أبرز صفات الخوارج الفكرية: جمودهم فى فهم الدين، وميلهم إلى إصدار الأحكام الكلية بدون شروط ولا تفاصيل ولا استثناءات، وتكفيرهم من خالفهم من فرق المسلمين، وفتواهم بهدر دمائهم ووجوب جهادهم.

وهذا المنحى الذهنى يقع فى الجهة المضادة لمذهب المرجئة الذى تتبناه السلطة، المنحى المتساهل فى أداء الواجبات وترك المحرمات، المفرط فى تأميل الناس بالشفاعة والجنة مهما عصوا.. ماعدا المعارضين للدولة طبعاً.

لقد ساعد مذهب الإرجاء الدولة وأتباعها فى تخفيف المسؤولية المشددة فى القرآن و السنة على الحكام، ولكنه سبب ردات فعل فى الأمة فظهرت فئات تنكر أصل الشفاعة التى تتذرع بها الدولة، وتكذب كل أحاديثها وتؤول كل آياتها..ولم يكن ذلك منحصراً بالخوارج، وإن اشتهروا به.

بل تدل روايات السنيين على أن ردود الفعل على توسيع الشفاعة بدأت من زمن الخليفة عمر، ولكنه لم يستطع أن يؤدب أصحابها بالسوط، إما لأنه لم يعرفهم بالضبط، أو لسبب آخر، فخطب محذراً منهم بشدة!

قال فى مجمع الزوائد:۷/۲۰۷:

عن ابن عباس قال: خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا إنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة!

وروى نحوه فى مسند أحمد:۱/۲۳ وفى الدر المنثور:۳/۶۰: عن سعيد بن منصور والبيهقى عن ابن عباس وفى كنز العمال:۱/۳۸۷ وج ۵/۴۲۹ وص ۴۳۱ وفيه (قال أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...).

ويظهر من النص التالى أن بنى أمية أفرطوا فى التأكيد على الشفاعة أيضاً، ففى فردوس الأخبار للديلمى:۱/۱۱۶ ح ۲۵۴: عن معاوية: إشفعوا إلى تؤجروا، فإن الرجل ليسألنى الحاجة فأرده كى تشفعوا له فتؤجروا! انتهى.

أما الخوارج فقد ثبت أنهم كانوا يقولون: إن مرتكب المعصية الكبيرة أو الصغيرة كافر، وإذا مات ولم يتب فهو مخلد فى النار، وأنه لا شفاعة لاحد أبداً ولا خروج من النار!

وأول من تصدى لرد مقولتهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ثم تبعهم غيرهم.

قال البرقى فى المحاسن:۱/۱۸۴:

عن على بن أبى حمزة قال: قال رجل لابى عبد الله عليه السلام: إن لنا جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً صلى الله عليه وآله يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

وقال العياشى فى تفسيره:۲/۳۱۴:

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطاياً وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم، يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع، ويطلب فيعطى.

وفى تفسير القمى:۲/۲۰۱:

قال: حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة على بن الحسين عليه السلام

علی أبی جعفر علیه السلام یقال له أبو أیمن فقال: یا أبا جعفر یغرون الناس ویقولون شفاعة محمد شفاعة محمد؟!

فغضب أبو جعفر علیه السلام حتی تربَّدَ وجهه، ثم قال: ویحک یا أبا أیمن! أغرَّک أن عفَّ بطنک وفرجک؟! أما لو قد رأیت أفزاع القیامة لقد احتجت إلی شفاعة محمد صلی الله علیه وآله! ویلک! فهل یشفع إلا لمن وجبت له النار؟!

ثم قال: ما أحد من الأولین والآخرین إلا وهو محتاج إلی شفاعة محمد صلی الله علیه وآله یوم القیامة.

ثم قال أبو جعفر علیه السلام: إن لرسول الله صلی الله علیه وآله الشفاعة فی أمته، ولنا الشفاعة فی شیعتنا، ولشیعتنا الشفاعة فی أهالیهم.

ثم قال: وإن المؤمن لیشفع فی مثل ربیعة ومضر، فإن المؤمن لیشفع حتی لخادمه ویقول: یارب حق خدمتی کان یقینی الحر والبرد.

ورواه فی بحار الأنوار:۸/۳۸ وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۱۰۲ و۳۳۴

وفی الأدب المفرد للبخاری/۲۲۴:

عن طلق بن حبیب قال: کنت أشد الناس تکذیباً بالشفاعة فسألت جابراً فقال: یا طلق سمعت النبی یقول: یخرجون من النار بعد الدخول.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۸۶:

وأخرج ابن مردویه عن صهیب الفقیر قال: کنا بمکة ومعی طلق بن حبیب، وکنا نری رأی الخوارج، فبلغنا أن جابر بن عبد الله یقول فی الشفاعة فأتیناه فقلنا له: بلغنا عنک فی الشفاعة قول الله مخالف لک فیها فی کتابه! فنظر فی وجوهنا فقال: من أهل العراق أنتم؟! قلنا نعم، فتبسم وقال: وأین تجدون فی کتاب الله؟ قلت: حیث یقول: ربنا إنک من تدخل النار فقد أخزیته، ویریدون أن یخرجوا من النار وما هم بخارجین منها، وکلما أرادوا أن یخرجوا منها من غم أعیدوا فیها، وأشباه هذا من القرآن.

فقال: أنتم أعلم بکتاب الله أم أنا؟ قلنا بل أنت أعلم به منا. قال: فوالله لقد شهدت تنزیل هذا علی عهد رسول الله(ص)وشفاعة الشافعین، ولقد سمعت تأویله من رسول الله(ص)وإن الشفاعة لنبیه فی کتاب الله، قال فی السورة التی تذکر فیها المدثر: مَا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ الآیة. ألا ترون أنها حلت لمن مات لم یشرک بالله شیئاً؟!

وفی تفسیر الطبری:۴/۱۴۱:

عن الأشعث الحملی قال قلت للحسن: یا أبا سعید أرأیت ما تذکر من الشفاعه حق هو؟ قال: نعم حق.

وفی فتح القدیر للشوکانی:۵/۵۶۷:

وأخرج بن المنذر عن طریق حرب بن شریح قال: قلت لأبی جعفر محمد بن علی بن الحسین: أرأیت هذه الشفاعة التی یتحدث بها أهل العراق أحقٌّ هی؟ قال: إی والله.

وفی دلائل النبوة للبیهقی:۱/۲۵:

عن شبیب بن أبی فضالة المالکی: لما بنی مسجد الجامع ذکروا عند عمران بن حصین الشفاعة فقال رجل من القوم: إنکم تحدثونا بأحادیث لم نجد لها أصلاً فی کتاب الله، وعمران یقول أنتم أخذتم هذا الشأن منا، وأخذنا نحن عن نبی الله.

وفی الجواهر الحسان للثعالبی:۱/۳۵۶:

قوله تعالی: إِنَّ اللهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ... قالت المعتزلة: إذا کان صاحب کبیرة فهو فی النار ولا بد، وقالت الخوارج إذا کان صاحب کبیره أو صغیره فهو فی النار مخلد.

وفی تطهیر الجنان لإبن حجر/۳۸:

إن قلت: فی هذا الحدیث (کل ذنب عسی الله أن یغفره إلا رجل یموت کافراً أو یقتل مؤمناً متعمداً) دلیل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالی علی أن الکبیرة لا تغفر؟

قلت: لا دلیل لهم فیها أبداً، لقوله تعالی: وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا، لوجوب حملها علی المستحل... بدلیل قوله

تعالى: إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وهو مخصص أيضاً بقوله تعالى: إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا... قد ضل... فرقٌ من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد، وهؤلاء المعتزلة والخوارج، والفرق بينهما إنما هو من حديث إن الميت فاسقاً هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر؟ فالخوارج على الأول والمعتزلة على الثانى.

وفى مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۱۲۴:

وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قولٌ واحد، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم فى النار خالدون.

وفى مقالات الإسلاميين: ۱/۸۶ ـ ۸۷:

وأجمعوا (الخوارج) على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات، فإنها لاتقول ذلك. وأجمعوا أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات.

والأزارقة (من الخوارج) تقول إن كل كبيرة كفر، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففى النار خالداً مخلداً، ويكفرون علياً (رض)فى التحكيم.

وقال فى شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۳۴:

إن مرتكب الكبيره من أهل الصلاة... مؤمن... ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه مؤمن ولا كافر.

وقال الرازى فى تفسيره:۱ جزء ۳/۲۳۸:

إن المعصية عند المعتزلة وعندنا لا توجب الكفر، أما عندنا فلان صاحب الكبيرة مؤمن، وأما عند المعتزلة فلانه وإن خرج عن الإيمان فلم يدخل فى الكفر، وأما عند الخوارج فكل معصية كفر.

وقال الرازى فى تفسيره:۶ جزء ۱۲/۵:

قالت الخوارج: كل من عصى الله فهو كافر... احتجوا بهذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ...) وقالوا إنها نص فى أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافراً.

وقال الرازى فى:۱۵ جزء ۳۰/۲۳۹:

إن الخوارج احتجوا بهذه الآية (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) على أنه لا واسطة بين المطيع والكافر قالوا: لأن الشاكر هو المطيع والكفور هو الكافر، والله تعالى نفى الواسطة وذلك يقتضى أن يكون كل ذنب كفراً.

وقال النووى فى شرح مسلم:۱ جزء ۱/۲۱۸:

قال القاضى عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد فى النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن..

وقال المجلسى فى بحار الأنوار:۸/۶۲:

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم: قال القاضى عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار، واحتجوا بقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ وأمثاله وهى فى الكفار.

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث فى الكتاب وغيره صريحة فى بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

(راجع شرح مسلم للنووى:۲ جزء ۳/۳۵)

وفی شرح مسلم للنووی:۲ جزء ۳/۵۰:

رأی الخوارج.. أنهم یرون أن أصحاب الکبائر یخلدون فی النار.

وفی إرشاد الساری للقسطلانی:۱/۱۱۵:

لا ینسب إلی الکفر باکتساب المعاصی والإتیان بها إلا بالشرک أی بارتکابه، خلافاً للخوارج القائلین بتکفیره بالکبیرة، والمعتزلة القائلین بأنه لا مؤمن ولا کافر.

وفی فتاوی ابن باز:۲/۲۷:

وذهب الخوارج إلی أن صاحب المعصیة مخلد فی النار وهو بالمعاصی کافر أیضاً ووافقهم المعتزلة بتخلیده فی النار.

وفی فتاوی ابن باز:۳/۳۶۷:

قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة... المعاصی التی دون الشرک لا تحبط الأعمال الصالحة ولا تبطل ثوابها..

وفی بحار الأنوار:۸/۳۶۴:

قال العلامة رحمه الله فی شرحه علی التجرید: أجمع المسلمون کافة علی أن عذاب الکافر مؤبد لا ینقطع، واختلفوا فی أصحاب الکبائر من المسلمین، فالوعیدیة علی أنه کذلک، وذهبت الإمامیة وطائفة کثیرة من المعتزلة والأشاعرة إلی أن عذابه منقطع. والحق أن عقابهم منقطع لوجهین:

الأول، أنه یستحق الثواب بإیمانه لقوله تعالی: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ.

والإیمان أعظم أفعال الخیر فإذا استحق العقاب بالمعصیة فإما یقدم الثواب علی العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإیمان دائم علی ما تقدم، أو بالعکس وهو المراد، والجمع محال.

الثانی، یلزم أن یکون من عبد الله تعالی مدة عمره بأنواع القربات إلیه ثم عصی فی آخر عمره معصیة واحدة مع بقاء إیمانه مخلداً فی النار کمن أشرک بالله مدة عمره، وذلک محال لقبحه عند العقلاء. انتهی.

وفی بحار الأنوار:۸/۳۷۰:

وقال شارح المقاصد: اختلف أهل الإسلام فیمن ارتکب الکبیرة من المؤمنین ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب بل کلاهما فی مشیئة الله تعالی، لکن علی تقدیر التعذیب نقطع بأنه لا یخلد فی النار بل یخرج البتة، لا بطریق الوجوب علی الله تعالی، بل مقتضی ما سبق من الوعد وثبت بالدلیل کتخلید أهل الجنة.

وعند المعتزلة القطع بالعذاب الدائم، من غیر عفو ولا إخراج من النار، وما وقع فی کلام البعض من أن صاحب الکبیرة عند المعتزلة لیس فی الجنة ولا فی النار فغلطٌ نشأ من قولهم: إن له المنزلة بین المنزلتین، أی حالة غیر الإیمان والکفر.

وأما ما ذهب إلیه مقاتل بن سلیمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنین لا یعذبون أصلاً وإنما النار للکفار تمسکاً بالآیات الدالة علی اختصاص العذاب بالکفار مثل: قد أوحی إلینا أن العذاب علی من کذب وتولی، إن الخزی الیوم والسوء علی الکافرین.

فجوابه: تخصیص ذلک العذاب بما یکون علی سبیل الخلود.

وأما تمسکهم بمثل قوله علیه السلام: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنی وإن سرق، فضعیف، لأنه إنما ینفی الخلود لا الدخول.

لنا وجوه: الأول، وهو العمدة: الآیات والأحادیث الدالة علی أن المؤمنین یدخلون الجنة البتة، ولیس ذلک قبل دخول النار وفاقاً، فتعین أن یکون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام، قال الله تعالی: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَرَهُ. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثَی وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

تبادل المواقع بین الخوارج والمرجئة

يحسن هنا أن نسجل أمراً طريفاً نلاحظه فى عصرنا، وهو تبادل المواقع بين ورثة الخوارج، وورثة الخلافة الأمويين والمرجئة!

فورثة الخوارج (الأباضيون) تنازلوا عن العنف الفكرى وسجلوا ليونتهم العقائدية والفقهية تجاه فرق المسلمين..بينما ورثة الخلافة الأموية (التكفير والهجرة والوهابيون) تخلوا عن أفكار الليونة والتسامح، وتبنوا مذهب العنف والشدة، وأفتوا بكفر كل فرق المسلمين، ماعدا فرقتهم! ولعلهم يتخلون أيضاً عن شمول الشفاعة لكل المسلمين ويحصرونها بفرقتهم..كما يشم ذلك من فكرهم!

وهكذا تتغير المواقع الفكرية والسياسية مع العصور من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. وسبحان من لا يتغير.

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج

قال ابن ناصر الدين فى توضيح المشتبه:۸/۲۰۴:

ولد واصل سنة ثمانين بالمدينة وكان يجلس إلى الحسن البصرى، فلما ظهر بين أهل السنة القول من الخوارج بتكفير أهل الكبائر، ومن المرجئة بجعلهم إيمان أهل الكبائر كإيمان جبرئيل وميكائيل، أبدع واصل (بن عطاء مولى بنى ضبة) قوله فى المنزلة بين المنزلتين... مات واصل سنة إحدى وثلاثين ومئة.

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة

مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۲۷۰:

واختلفت المعتزلة.. فى الصغائر والكبائر.. فقال قائلون منهم: كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير، وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير..

وقال جعفر بن ميثر: كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمداً لها فهو مرتكب لكبيرة...

واختلفت المعتزلة فى غفران الصغائر... فقال قائلون: إن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلاً.. وقال قائلون: لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۰۳:

أوجب جميع المعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، ولم يجوزوا أن يعفو الله عنه، لوجهين: الأول أنه تعالى أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر به أى بالعقاب عليها، فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف فى وعيده والكذب فى خبره، وإنه محال.

الجواب: غايته وقوع العقاب فأين وجوبه الذى كلامنا فيه، إذ لا شبهة فى أن عد الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفاً ولا كذباً.

قالت المعتزلة والخوارج: صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد فى النار ولا يخرج منها أبداً. وعمدتهم فى إثبات ما ادعوه دليل عقلى هو أن الفاسق يستحق العقاب بفسقه، واستحقاق العقاب بل العقاب مضرة خالصة لا يشوبها ما يخالفها دائمة لا تنقطع أبداً. واستحقاق الثواب بل الثواب منفعة خالصة عن الشوائب دائمة. والجمع بينهما أى بين استحقاقهما محال، كما أن الجمع بينهما محال.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۳۴:

مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة أى من أهل القبلة مؤمن، وقد تقدم بيانه فى مسألة حقيقة الإيمان وغرضنا هاهنا ذكر مذهب المخالفين والجواب عن شبهتهم: ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر.

حجة الخوارج وجوه: الأول قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، فإن كلمة (من) عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل، فيدخل فيه الفاسق المصدق. وأيضاً فقد علل كفرهم بعدم الحكم، فكل من لم يحكم بما أنزل الله كان كافراً، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله.

قلنا: الموصولات لم توضع للعموم، بل هى للجنس تحتمل العموم والخصوص.

وفى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف/۱۳:

المعتزلـة طائفـة من المسـلمين يرون أن أفعـال الخير من الله وأفعـال الشـر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محـدث ليس بقـديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين.

تأويلات أهل السنة للحنفى:۱/۶۳۰:

وقوله تعالى: وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، فيه دليل على أن من السيئات ما يكفرها الصدقـة... وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها، ولا التعذيب على الصغائر. فأما إن كانت الآية فى الكبائر فبطل قولهم (لا يكفر بغير التوبة) أو فى الصغائر يبطل قولهم إنها مغفورة، إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبيره فى النار، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات بالصدقة.

و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

أجمعت الأمـة على ثبوت أصل الشـفاعة المقبولة له عليه الصـلاة والسـلام، ولكن هى عندنا لأهل الكبائر من الأمة فى إسـقاط العقاب عنهم... وقـالت المعتزلـة: إنمـا هى لزيادة الثواب لا لـدرأ العقاب، لقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَـيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وهو عام فى شفاعة النبى عليه الصلاة والسلام وغيره.

الجواب: أنه لا عموم له فى الاعيان، لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم.

تأويلات أهل السنة:۱/۵۹۰:

قال المعتزلة: لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات خاصة، الذين لا ذنب لهم أو كان لهم ذنب فتابوا عنه.

تفسير الرازى ۱۱ جزء ۲۲/۱۶۰:

احتجت المعتزلـة بقوله تعـالى: وَلا يَشْـفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَـى، على أن الشـفاعة فى الآخرة لا تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يقال فى أهل الكبائر إن الله يرتضيهم.

تفسير الرازى ۱۱ جزء ۲۲/۱۱۸:

المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضى عند الله تعالى، فوجب أن لا يشفع الرسول (ص) فى حقه لأن هذه الآية (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) دلت على أن المشفوع له لابد وأن يكون مرضياً عند الله.

تفسير الرازى:۱۲ جزء ۲۳/۶۶:

أما قوله (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) احتجت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الشفاعة.

وقال فى:۱۴ جزء ۲۷/۳۳:

احتج الكعبى بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة فى حصول زيادة الثواب للمؤمنين، لا فى إسقاط العقاب عن المذنبين.

وقال فى:۴ جزء ۷/۱۰:

قال القفال: إنه لا يأذن فى الشـفاعة لغير المطيعين... وأقول إن هذا القفال عظيم الرغبة فى الإعتزال... ومع ذلك فقد كان قليل الاحاطة بأصولهم. وذلـك لأـن من مـذهب البصـريين أن العفو عن صـاحب الكبيرة حسن فى العقول.. إلاـ أن السـمع دل... لاـ يقع، وإذا كان كذلك كان الإستدلال العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطأ على قولهم.

وفى إرشاد السارى للقسطلانى:۸/۳۴۰:

قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ، استدل بهذه الآية المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن شئ من السيئات.

وفى إرشاد السارى:۹/۴۴۷:

المعصية لا تخرج المسلم عن الإيمان، خلافاً للمعتزلة المكفرين بالذنب، القائلين بتخليد العاصى بالنار.

وفی معجم الادباء للحموی:۹ جزء ۱۷/۸۱:

قال عبدالعزیز بن محمد الطبری: کان أبو جعفر (الطبری) یذهب فی جل مذاهبه إلی ما علیه الجماعة من السلف... وکان یذهب إلی مخالفة أهل الاعتزال فی جمیع ماخالفوا فیه الجماعة، من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤیة الله فی القیامة، وفی قولهم بتخلید أهل الکبائر فی النار، وإبطال شفاعة رسول الله(ص)، وفی قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله.

وفی طبقات الشافعیة للسبکی:۳/۳۴۷:

یصف تحول الأشعری من الاعتزال إلی خط الدولة (أهل السنة والجماعة) قام علی بن اسماعیل بن أبی بشر علی الاعتزال أربعین سنة حتی صار للمعتزلة إماماً... وهو الذی قال: تکافأت عندی الأدلة ولم یترجح عندی شئ علی شئ فاستهدیت الله فهدانی إلی اعتقاد ما أودعته فی کتبی هذه وانخلعت من جمیع ما کنت أعتقده.. ودفع الکتب التی ألفها علی مذاهب أهل السنة للناس.. وأخذ فی نصرة الأحادیث فی الرؤیة والشفاعة. انتهی.

هذا وقد تقدمت نصوص عن رأی المعتزلة فی آراء المرجئة والخوارج فی هذا الفصل وفی تعریف الشفاعة فی الفصل الأول.

المزید من تأثیر الإسرائیلیات علی أحادیث الشفاعة

اتفق الجمیع نظریا علی أن الشفاعة من مختصات نبینا

قد یستشکل علی أحادیث اختصاص الشفاعة بنبینا صلی الله علیه وآله الواردة فی مصادر الفریقین، بأنها تنافی الأحادیث الصحیحة التی تثبت الشفاعة لغیر نبینا صلی الله علیه وآله.

والجواب: أن وجه الجمع بین الأحادیث أن باب الشفاعة إنما یفتح یوم القیامة إکراماً لنبینا صلی الله علیه وآله.. وکل من یشفع من الملائکة والأنبیاء والأوصیاء والعلماء والشهداء والمؤمنین، فإنما یشفع بإجازته وبالسهم الذی یعطیه إیاه شفیع المحشر صلی الله علیه وآله!

فلا منافاة بین أحادیث اختصاصه بالشفاعة صلی الله علیه وآله وبین مادل علی ثبوتها لغیره من الأنبیاء (علیهم السلام) إلا ما دل منها علی أن لغیره شفاعة مستقلة أو أنه یشفع قبله کما فی أحادیث الإسرائیلیات الآتیة.

من لا یحضره الفقیه:۱/۲۴۰:

قال النبی صلی الله علیه وآله: أعطیت خمساً لم یعطها أحدٌ قبلی: جعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لی المغنم، وأعطیت جوامع الکلم، وأعطیت الشفاعة. ورواه فی وسائل الشیعة:۲/۴۳۸ وفی سائل الشیعة:۳/۴۲۲ وفی مستدرک الوسائل:۲/۵۲۹

علل الشرائع:۱/۱۲۷:

حدثنا أبوالحسین محمد بن علی بن الشاه قال: حدثنا أبوبکر محمد بن جعفر بن أحمد البغدادی بآمد قال: حدثنا أبی قال: حدثنا أحمد بن السخت قال: حدثنا محمد بن الأسود الوراق عن أیوب بن سلیمان عن حفص بن البختری عن محمد بن حمید عن محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله:

أنا أشبه الناس بآدم وإبراهیم أشبه الناس بی خلقه وخلقه.

وسمانی الله من فوق عرشه عشرة أسماء وبین الله وصفی وبشرنی علی لسان کل رسول بعثه الله إلی قومه.

وسمانی ونشر فی التوراة باسمی وبث ذکری فی أهل التوراة والإنجیل وعلمنی کتابه ورفعنی فی سمائه وشق لی إسماً من أسمائه فسمانی محمداً وهو محمود.

وأخرجنى فى خير قرن من أمتى وجعل اسمى فى التوراة أحيد فبالتوحيد حرم أجساد أمتى على النار.

وسمانى فى الانجيل أحمد فأنا محمود فى أهل السماء.

وجعل أمتى الحامدين وجعل اسمى فى الزبور ماحى محى الله عز وجل بى من الأرض عبادة الأوثان.

وجعل اسمى فى القرآن محمداً فأنا محمود فى جميع القيامة فى فصل القضاء لا يشفع أحد غيرى.

وسمانى فى القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمى.

وسمانى الموقف أوقف الناس بين يدى الله عز وجل.

وسمانى العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدى رسول.

وجعلنى رسول الرحمة ورسول الملاحم والمقتفى قفيت النبيين جماعة وأنا المقيم الكامل الجامع ومن على ربى وقال لى يا محمد صلى الله عليك فقد أرسلت كل رسول إلى أمته بلسانها وأرسلتك إلى كل أحمر وأسود من خلقى ونصرتك بالرعب الذى لم أنصر به أحداً وأحللت لك الغنيمة ولم تحل لاحد قبلك وأعطيتك لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً وترابها طهوراً وأعطيتك ولأمتك التكبير وقرنت ذكرك بذكرى حتى لا يذكرنى أحد من أمتك إلا ذكرك مع ذكرى فطوبى لك يا محمد ولأمتك.

تفسير القمى:۱/۱۹۴:

ثم قال حكاية عن قريش: وقالوا لولا أنزل عليه ملك، يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون، فأخبر عز وجل أن الآية إذا جاءت والملك إذا نزل ولم يؤمنوا هلكوا، فاستعفى النبى صلى الله عليه وآله من الآيات رأفةً ورحمةً على أمته، وأعطاه الله الشفاعة.

صحيح البخارى:۱/۸۶:

جابر بن عبد الله أن النبى(ص)قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.

ورواه أيضاً فى ص:۱ جزء ۱/۱۱۳ وج ۲ جزء ۲/۱۰۵ ونحوه فى مسلم:۲/۶۳ وفى سنن النسائى:۱/۲۰۹ وفى سيرة ابن هشام:۲/۲۳۴ وفى مسند أحمد: ۵/۱۴۹.

وفى:۴/۴۱۷ منه:

عن أبى موسى قال قال رسول الله (ص): أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلى، ونصرت بالرعب شهراً، وأعطيت الشفاعة وليس من نبى إلا وقد سأل شفاعة وإنى أخبأت شفاعتى ثم جعلتها لمن مات من أمتى لم يشرك بالله شيئاً. ونحوه فى:۱/۳۰۱ وفى الدر المنثور:۳ ص۲۰۴ وج ۵/۲۳۷ وسنن الدارمى:۱/۳۲۲ وسنن البيهقى:۹/۴ وتفسير الطبرى:۳/۲ وصفة الصفوة لابن الجوزى جزء ۱ و۲/۷۶ وتفسيرالمنار لرشيد رضا: ۹/۳۰۰

ولكن الهيثمى ضعف روايته فى مجمع الزوائد:۸/۲۵۹ فقال:

ابن يزيد قال قال رسول الله (ص): فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة، ودخرت شفاعتى لأمتى، ونصرت بالرعب شهراً أمامى وشهراً خلفى، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى. رواه الطبرانى وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وهو متروك.

نبينا أول شافع يوم القيامة

فى مصادرنا نصوص واضحة صريحة فى أن نبينا صلى الله عليه وآله هو خطيب المحشر والشفيع الأول قبل الأنبياء، بل هو شفيع الأنبياء

صلوات الله عليهم جميعاً.. وقد تقدم بعضها آنفاً وفي تفسير قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) وفي بعضها أن الله تعالى قد أذن لنبينا صلى الله عليه وآله بالشفاعة وهو في الدنيا فلا يحتاج إلى إذن يوم القيامة.

في تفسير القمي:۲/۲۰۱:

قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال: ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله! ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا الشفاعة في شيعتنا ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم.

ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد.

ورواه في بحار الأنوار:۸/۳۸ وفي تفسير نور الثقلين:۴/۳۳۴، وقد تقدم ذلك في الرد على الخوارج.

الصحيفة السجادية:۲/۲۹۰:

اللهم أنزل محمداً في أشرف منازل الأبرار، اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل... اللهم أحسن عنا جزاءه، وعظم حباءه، وأكرم مثواه، وتقبل شفاعته في أمته، وفي من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشفعه فيه، واجعلنا برحمتك ممن يرد حوضه يوم القيامة. ونحوه في المقنعة/۴۱۱

الصحيفة السجادية:۲/۳۰:

اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم. ونحوه في المقنعة/۱۲۵

تهذيب الأحكام:۳/۱۲۱:

اللهم إني أسألك من فضلك بأفضله. اللهم واجعل محمداً صلى الله عليه وآله أدنى المرسلين منك مجلسا، وأفسحهم في الجنة عندك منزلاً وأقربهم اليك وسيلة، واجعله أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل، وابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والاخرون يا أرحم الراحمين.

تأويل الآيات:۲/۳۷:

قال علي بن إبراهيم: روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا يقبل الله الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء والرسل حتى يأذن في الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة فالشفاعة له ولأمير المؤمنين وللائمة من ولده ثم بعد ذلك للأنبياء (عليهم السلام) أجمعين. (ورواه في تفسير القمي:۲/۲۰۱ ونحوه في تفسير نور الثقلين: ۴/۳۳۴).

بحار الأنوار:۱۶/۳۲۶:

الأمالي: أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدي، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر بن مدرار، عن عمه طاهر، عن الحسن بن عمار، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع (أمالي ابن الشيخ ۱۷۰).

بحار الأنوار:۱۶/۳۰۴:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. عسى من الله واجبة، والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه، أي يبعثك يوم القيامة بعثاً

أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة أى يقيمك ربك مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذى يشفع فيه للناس، وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلى الله عليه وآله أول شافع وأول مشفع.

بحار الأنوار:۸/۴۷:

تفسير العياشى: عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشئ وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يابنى عبدالمطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم، ولكنى وعدت الشفاعة ـ ثم قال: والله أشهد أنه قد وعدها ـ فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب أترونى مؤثرا عليكم غيركم؟ ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة فى صعيد واحد، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فقال: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من إلى إبراهيم، فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قدر رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون إلى من؟ فيقال إيتوا محمداً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه، فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجد ربه بالعظمة، فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه.انتهى.

وقد تقدمت الأحاديث بهذا المضمون، وهى محل اتفاق فى مصادر الطرفين، وفيها دلالة على أن نبينا صلى الله عليه وآله هوأول من يتقدم للشفاعة يوم القيامة.

الاحاديث الموافقة لمذهبنا فى مصادر السنيين

فى مصادر السنيين نوعان من الأحاديث فى هذا الموضوع: فمنها ما يوافق مصادرنا، وقد روته صحاحهم كالذى رواه ابن ماجة:۲/۷۲۴:

عن الطفيل بن أبى بن كعب، عن أبيه أن رسول الله(ص)قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر.

والذى رواه مسلم فى:۱/۱۳۰:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أول الناس يشفع فى الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً...

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة...

أنس بن مالك قال النبى (ص): أنا أول شفيع فى الجنة، لم يصدَّق نبى من الأنبياء ما صدِّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد.

وروى فى:۷/۵۹:

عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع. انتهى.

وفى سنن الترمذى:۵/۲۴۸:

عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله(ص)ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ من إبراهيم خليلاً. وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل

الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فحر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. هذا حديث غريب. انتهى. وروى نحوه ابن ماجه: ۲/۱۴۴۰ وأحمد فى:۳/۲

وفى سنن الدارمى:۱/۲۶:

عن أنس قال قال رسول الله (ص): أنا أولهم خروجاً، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا. الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى، وأنا أكرم ولد آدم على ربى.

وفى فردوس الأخبار: ۱/۸۰ ح ۱۲۴:

أنس بن مالك: أنا أول شفيع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، إن من الأنبياء لمن يأتى يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد. انتهى.

وفى شعب الإيمان للبيهقى:۲/۱۳۲ وص ۱۷۹:

أبو هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع.

وفى شعب الإيمان/۱۸۱:

عن أنس قال: سمعت النبى (ص) يقول: إنى أول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامه، وأنا أول من يدخل الجنة... ونحوه فى تهذيب الكمال: ۱۵/۴۲۵ وج ۲۲/۵۵۱ وسير أعلام النبلاء:۸/۲۹۳ وكنز العمال: ۱۱/۴۰۴ فما بعدها بروايات متعددة، وفى:۱۴/۳۹۳ فما بعدها. وفيه فى:۱۱/۴۳۵: أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أيسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا، أتكلم فيصدقنى، وأشفع فيشفعنى، وأسأل فيعطينى.

وفى الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (رض) قال وأول ما يأذن الله عزوجل له يوم القيامة فى الكلام والشفاعة محمد(ص)فيقال له قل تسمع وسل تعطه قال: فيخر ساجداً فيثنى على الله ثناء لم يثن عليه أحد فيقال إرفع رأسك...

وفى سيرة ابن كثير:۱/۱۹۵:

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبى الحديد... عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: فداك أبى وأمى أين كنت وآدم فى الجنة؟ قال: فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: كنت فى صلبه وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم، لم يلتق أبوای على سفاح قط، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفياً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى، ونشر فى التوراة والانجيل ذكرى، وبين كل نبى صفتى تشرق الأرض بنورى والغمام بوجهى، وعلمنى كتابه وزادنى شرفاً فى سمائه، وشق لى اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد، ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر، وأن يجعلنى أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنى من خير قرن لامتى، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فتاوى ابن باز:۱/۱۸۷:

قال رسول الله: أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع. انتهى.

الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات فى مصادر السنيين

والنوع الثانى من أحاديث السنيين: أحاديث تجعل الشفاعة أولاً لابراهيم، ثم لموسى، ثم لعيسى (عليهم السلام) وتجعل نبينا الشفيع

الرابع عليهما السلام!!

روى الحاكم فى المستدرك:۴/۴۹۶ حديثاً طويلاً عن الدجال ويأجوج ومأجوج وأشراط الساعة والقيامة والشفاعة، وصححه على شرط الشيخين، وفيه أمورٌ وتفصيلاتٌ غير معقولة، جاء فيه:

عن أبى الزعراء قال كنا عند عبد الله بن مسعود (رض) فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسعود: تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق، فرقة تتبعه وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح، وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام، فيبعثون اليهم طليعة فيهم فارس على فرس أشقر وأبلق قال فيقتتلون فلا يرجع منهم بشر....

قال: ثم تقوم الساعة على شرار الناس ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه. والصور قَرْنٌ، فلا يبقى خلق فى السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك...

قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فينطلق كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياماً لرب العالمين. قال: ثم يتمثل الله تعالى إلى الخلق فيلقاهم فليس أحد يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون؟ قال فيقولون نعبد عزيراً قال هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، إذ يريهم جهنم كهيئة السراب! قال ثم قرأ عبد الله: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً، قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون؟ فيقولون المسيح، قال فيقول هل يسركم الماء؟ قال فيقولون نعم، قال فيريهم جهنم كهيئة السراب! ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً. قال: ثم قرأ عبد الله: وقفوهم إنهم مسؤولون.

قال: ثم يتمثل الله تعالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً. قال فيقول هل تعرفون ربكم؟ قال فيقولون سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه! قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلا خر لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً كأنما فيها السفافيد! قال فيقولون: ربنا فيقول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

قال ثم يأمر بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمراً كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً ثم مشياً، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه!

قال فيقول أى رب لماذا أبطأت بى؟ فيقول لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك.

قال ثم يأذن الله تعالى فى الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم خليل الله، ثم موسى، ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال: ثم يقوم نبيكم رابعاً، لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذى ذكره الله تبارك وتعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا.

قال فليس من نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة أو بيت فى النار...

قال: ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله.

قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته، قال ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، قال ثم قرأ عبدالله: مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، قال فعقد عبد الله بيده أربعاً ثم قال: هل ترون فى هؤلاء من خير؟ ما ينزل فيها أحد فيه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ورواه البيهقى فى البعث والنشور/۳۲۶ والديلمى فى فردوس الأخبار: ۱/۵۴ وص ۸۰ والنيسابورى فى الوسيط ج۴/۳۸۷ وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق:۱ جزء ۲/۱۷۰. وغيرهم.

أما الهيثمى فقد روى فى مجمع الزوائد:۹/۳۱ حديث أنه صلى الله عليه وآله أول شافع، ووصفه لأنه موضوع، وقال عن بعض طرقه

فی:۸/۲۵۴ (وفیه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه وبقیة رجاله ثقات)

ولکنه فی نفس الوقت ردَّ الحدیث الذی صححه الحاکم علی شرط الشیخین فی ج ۱۰/۳۳۰ وقال (رواه الطبرانی وهو موقوف، مخالف للحدیث الصحیح وقول النبی: أنا أول شافع)! فیبدو أنه اطلع علی طریق آخر صحیح للحدیث، غیر الطریقین اللذین ضعفهما. ولکنا لم نطلع علیه.

البخاری یفضل أنبیاء بنی إسرائیل علی نبینا

أما البخاری فقد روی فی تاریخه الذی ألفه قبل صحیحه أن نبینا صلی الله علیه وآله هو الشفیع الأول، وتوقف فی روایة أنه الشفیع الرابع، لوجود ما یعارضها.

قال فی تاریخه:۴/۲۸۶:

عن جابر بن عبد الله: قال النبی (ص): أنا قائد المسلمین، ولا فخر، وأنا خاتم النبیین ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر.

وقال فی تاریخه:۵/۲۲۱:

عبد الله بن هانی أبو الزعراء الکوفی سمع ابن مسعود (رض) سمع منه سلمة بن کهیل یقال عن أبی نعیم إنه الکندی روی عن ابن مسعود (رض) فی الشفاعة: ثم یقوم نبیکم رابعهم والمعروف عن النبی (ص): أنا أول شافع. ولا یتابع فی حدیثه. انتهی.

ولکنه فی صحیحه لم یرو هذه الروایة ولا غیرها مما ینص علی أن نبینا صلی الله علیه وآله أول شافع!

نعم، روی أن الشفاعة من مختصات نبینا صلی الله علیه وآله دون الأنبیاء (علیهم السلام):

قال فی:۱/۱۱۳:

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): أعطیت خمساً لم یعطهن أحد من الأنبیاء قبلی: نصرت بالرعب مسیرة شهر، وجعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً وأیما رجل من أمتی أدرکته الصلاة فلیصل، وأحلت لی الغنائم، وکان النبی یبعث إلی قومه خاصة وبعثت إلی الناس کافة، وأعطیت الشفاعة. انتهی.

وروی فی:۵/۲۲۶:

روایة الشفاعة المعروفة فی المصادر وأن الأنبیاء (علیهم السلام)یهابون التقدم للشفاعة للخلق، ویطلبون من نبینا صلی الله علیه وآله أن یشفع إلی الله تعالی فیتقدم ویشفع.. وهی تدل علی أنه صلی الله علیه وآله الشفیع الأول، قال فیها: إذهبوا إلی محمد فیأتون محمداً فیقولون یا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبیاء وقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی مانحن فیه! فأنطلق فآتی تحت العرش فأقع ساجداً لربی عز وجل ثم یفتح الله علیَّ من محامده وحسن الثناء علیه شیئاً لم یفتحه علی أحد قبلی، ثم یقال یا محمد إرفع رأسک، سل تعطه واشفع تشفع.انتهی.

والی هنا یبدو أنه لامشکلة..

ولکن البخاری روی فی صحیحه ما یعارض ذلک، ویجعل درجة نبی الله موسی علیه السلام فی درجة نبینا صلی الله علیه وآله أو أفضل منه! فقد روی أن النبی صلی الله علیه وآله نهی المسلمین أن یفضلوه علی موسی، وقال إنه عندما یبعث من قبره یجد موسی جالساً عند العرش قبله!!

قال البخاری فی صحیحه:۷/۱۹۳:

عن أبی هریرة قال: استبَّ رجلان، رجلٌ من المسلمین ورجلٌ من الیهود، فقال المسلم: والذی اصطفی محمداً علی العالمین، فقال الیهودی والذی اصطفی موسی علی العالمین، قال فغضب المسلم عند ذلک فلطم وجه الیهودی، فذهب الیهودی إلی رسول الله(ص)فأخبره بما کان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله (ص): لا تخیرونی علی موسی، فإن الناس یصعقون یوم القیامة فأکون

أول من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى؟ أو كان ممن استثنى الله؟! انتهى.

ورواه فى صحيحه فى سبعة مواضع أخرى على الأقل! فى:۳/۸۹، وج ۴/۱۲۶، وج ۵/۱۹۶، وج ۶/۳۴، وج ۸/۴۸، وص ۱۷۷، وص ۱۹۲، وهى رواياتٌ متفاوتة فى دلالتها على تفضيل موسى، ولكن مجموعها كاف فى الدلالة عليه، مهما حاول الشراح تأويلها!

فقد نصت الرواية المذكورة كما رأيت على نهى النبى صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى، ووردت هذه العبارة (لا تخيرونى على موسى) فى رواية البخارى الأخرى:۷/۱۹۳ وفى:۸/۱۹۲ وكذا فى مسلم:۷/۱۰۱، وسنن أبى داود:۲/۴۰۷، وأحمد:۲/۲۶۴. وورد فى رواية:۵/۱۹۶ (قال لا تخيرونى من بين الأنبياء)

كما نصت على أن موسى عليه السلام مستثنى دون نبينا صلى الله عليه وآله من الصعقة التى يقول الله تعالى عنها: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. الزمر: ۶۸، وهذا امتيازٌ له على جميع الأنبياء! وروى مثلها فى:۸/۱۹۲.

وجاء فى:۸/۱۷۷:

(فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش) وزاد فى:۵/۱۹۶ وج ۸/۴۸ (فلا أدرى أفاق قبلى، أم جُزِيَ بصعقة الطور)

وفى:۵/۱۹۶:

(قال إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش) وفى رواية أخرى فى غير البخارى أن النبى صلى الله عليه وآله أول ما ينفض رأسه من التراب يرى موسى جالساً عند العرش!!

قد يقال: إن رواية البخارى لا تدل على أن موسى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله لأنها تنص على أن استثناءه من الصعقة إنما هو بسبب صعقته فى الطور ولا علاقة له بالأفضلية.

والجواب: أن الرواية واردةٌ أساساً فى مقام بيان أفضلية موسى، أو بالأقل عدم أفضلية نبينا عليه، فهذا هو موضوع الخلاف بين المسلم واليهودى، وهو موضوع الحديث، وموضوع النهى المزعوم من النبى صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى!!

وقد يقال: لو سلمنا أن الرواية تدل على مساواة موسى لنبينا صلى الله عليه وآله أو أفضليته عليه، فهى لا تدل على أن موسى هو الشفيع الأول.

والجواب: أن مقام الشفاعة الأول إنما أعطى لنبينا صلى الله عليه وآله بسبب أنه أفضل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً، فإذا ثبت أن موسى أفضل منه، فلا يبعد أن يكون هو رئيس المحشر وشفيعه.. الخ.

وقد حاولت بعض الروايات أن تحل المسألة مع الإسرائيليات حلاً سلمياً، فتجعل الافضلية لموسى، وتحتفظ بدرجة الشفيع الأول لنبينا صلى الله عليه وآله كالتى رواها الطبرى فى تفسيره:۲۰/۲۴ قال: عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبى الله قال: أتانى ملكٌ فقال يا محمد إختر نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فأومأ الىَّ أن تواضع، قال نبياً عبداً، قال فأعطيت خصلتين: أن جعلت أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فأرفع رأسى فأجد موسى آخذاً بالعرش، فالله أعلم أصُعِقَ بعد الصعقة الأولى، أم لا. انتهى.

ولكنها على أى حال محاولاتٌ فى مصلحة تصديق الاسرائيليات التى لا نثق بها!

ومن جهة أخرى.. فإن تأويل الروايات الواردة فى موسى على نبينا وآله وعليه السلام حتى لو أمكن فهو لا يحل المشكلة، لأنه توجد فى صحاح إخواننا ومصادرهم روايات مشابهة عن كبار أنبياء بنى إسرائيل، فهى تفضلهم على نبينا صلى الله عليه وآله أو تجعلهم فى درجته، فلا بد من معالجتها جميعاً!

ويحاول العلماء السنيون حل المشكلة بالتأويلات والإحتمالات البعيدة، حتى لا يقعوا فى محذور رد الأحاديث الصحيحة أو تكذيب رواتها.. والدخول فى هذا البحث يخرجنا عن موضوعنا، وإن كان من بحوث السيرة المهمة، لكن نكتفى بذكر نماذج من هذه الأحاديث:

فمنها حديث الحاكم المتقدم الصحيح على شرط الشيخين، الذى يعطى الشفاعة فى الموحدين ليعقوب عليه السلام قبل نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن يعقوب هو الذبيح!!

ومنها حديث البخارى المتقدم فى:۴/۱۳۳ حيث جاء فيه (فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!) ومثله فى مسلم:۷/۱۰۰

وفى البخارى:۴/۱۲۵:

عن ابن عباس عن النبى(ص)قال: لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه.

وفى:۴/۱۳۲:

عن ابن عباس أيضاً، عن النبى(ص)قال: لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس، زاد مسدد يونس بن متى. ونحوه فى:۴/۱۳۲ و:۴/۱۳۳ و:۵/۱۸۵ وص ۱۹۳ بروايتين، وفى:۸/۲۱۳

وقد صرحت رواية مسلم:۷/۱۰۲ بأنه حديث قدسى!! وأنه يشمل كل الناس حتى نبينا صلى الله عليه وآله قال:

عن النبى(ص)أنه قال يعنى الله تبارك وتعالى: لا ينبغى لعبد لى ـ وقال ابن المثنى لعبدى ـ أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام)! وروى نحوه فى/۱۰۳

أما ابن ماجة فقد شدد على الموضوع فروى فى:۲/۱۴۲۸ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال (ومن قال: أناخير من يونس بن متى فقد كذب!. فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وروى نحو ما فى البخارى أبو داود فى سننه:۲/۴۰۶ والترمذى ج۱/۱۱۸ وج ۵/۵۱

وعلل أفضلية يونس فى كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

فروى عن عدة مصادر، عن على، عن النبى(ص)قال: لا ينبغى لأحد ـ وفى لفظ لعبد ـ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى، سبح الله فى الظلمات!

أما رواياتهم عن نبى الله داود عليه السلام فقد تكون أكثر صراحةً بتفضيله على نبينا صلى الله عليه وآله!!

ففى مجمع الزوائد:۸/۲۰۶:

عن أبى الدرداء قال: وكان رسول الله(ص)إذا ذكر داود(ص)قال: كان أعبد البشر. رواه البزار فى حديث طويل وإسناده حسن.

وفى كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

عن ابن عساكر، عن أنس أن رجلاً قال للنبى (ص): يا خير الناس، قال: ذاك إبراهيم! قال: يا أعبد الناس، قال: ذاك داود!!.

وفى:۳/۶۷۱ (إن أخى داود كان أعبد البشر)

وفى صحيح البخارى:۶/۳۱ ونحوه فى:۴/۱۳۵:

قال سألت مجاهداً عن سجدة(سورة) (ص) فقال سألت ابن عباس: من أين سجدت (يعنى لماذا) فقال: أو ما تقرأ: ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، فكان داود ممن أُمِرَ نبيكم(ص)أن يقتدى به، فسجدها رسول الله(ص)!!

ونفس المشكلة تجدها فى رواياتهم عن يحيى عليه السلام، فقد روى الهندى فى كنز العمال:۱۱/۵۲۱ عن مسند أحمد وطبقات ابن سعد وغيرهما، عن ابن عباس: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا، فإنه لم يهم بها ولم يعملها)

وفى كنز العمال:۱۱/۵۲۲ عن ابن عساكر: لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا، ما همَّ بخطيئة ولا جالت فى صدره امرأة.

والنتيجة: أنه لابد للباحث من القول بأن روايات بنى اسرائيل وجدت طريقها إلى مصادر إخواننا السنيين فى عقيدة الشفاعة، وبقيت

ضعيفة فى بعض الحالات، ولكنها فى حالات أخرى صارت إلى صفِّ الروايات الإسلامية وبستواها من الصحة.. وأحياناً صارت أقوى منها وحلت محلها!!

احسن تصور فى مصادر السنيين عن شفاعة نبينا

حاول القاضى عياض فى كتابه (الشفا) أن يقدم أفضل صورة عن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله ولذلك لم يتقيد بروايات الصحاح، وجمع روايات لم يصححوها وجرَّدها من كثير من الإسرائيليات التى تفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا، كما جرَّد بعض رواياتها من تجسيم الإسرائيليات، وبقى فى بعضها، ولم يجردها من التهم التى تضمنتها لادم وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) عندما يطلب الناس منهم الشفاعة يوم القيامة فيتكلمون عن خطاياهم وجرائمهم التى لم تغفر! فجاءت صورة عياض قريبة إلى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت أحسن تصور قدمها عالمٌ سنيٌّ عن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله.

وفيما يلى مقتطفات من كلامه من/۲۱۶ وما بعدها:

وعن أبى هريرة سئل عنها رسول الله(ص)يعنى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فقال: هى الشفاعة.

وروى كعب بن مالك عنه (ص): يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل، ويكسونى ربى حلة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال: فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): إنى لقائم المقام المحمود، قيل وما هو؟ قال: ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه...!

وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير: سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه: قال قلت نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود، الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار، وذكر حديث الشفاعة فى إخراج الجهنميين.

وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال (ص): يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا. ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم فى بعض، وعن أبى هريرة: وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون.....

وفى رواية: فآتى تحت العرش فأخر ساجداً، وفى رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها، إلا أنه يلهمنيها الله، وفى رواية: فيفتح الله علىَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى...

وفى رواية قتادة عنه قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود...

ومن طريق زياد النميرى عن أنس أن رسول الله(ص)قال: أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ومعى لواء الحمد يوم القيامة، وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر، فآتى فآخذ بحلقة الجنة، فيقال من هذا؟ فأقول محمد، فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى! فأخر ساجداً...

وفى رواية أنس سمعت رسول الله(ص)يقول: لاشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر.

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الاثار أن شفاعته(ص)ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها، من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحاجر، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه، وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة وحذيفة، وهذا الحديث أتقن، فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة...

ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله. وليس هذا

لسواه(ص)...

وفی/۲۰۷:

أورد القاضی عیاض أحادیث فی أن نبینا صلی الله علیه وآله هو الشفیع الأول قبل غیره من الأنبیاء منها:

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطیبهم إذا أنصتوا، وأنا شفیعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الکرم بیدی وأنا أکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر، ویطوف علیَّ ألف خادم کأنهم لؤلؤ مکنون.

وعن أبی هریرة: وأکسی حلةً من حلل الجنة، ثم أقوم عن یمین العرش لیس أحد من الخلائق یقوم ذلک المقام غیری.

وعن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامة، وبیدی لواء الحمد ولا فخر، وما نبی یومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائی، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن ابن عباس رضی الله عنهما: أنا حامل لواء الحمد یوم القیامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من یحرک حلق الجنة فیفتح لی فأدخلها فیدخل معی فقراء المؤمنین ولا فخر، وأنا أکرم الأولین والاخرین ولا فخر.

وعن أنس (رض) قال قال النبی (ص): أنا سید الناس یوم القیامة، وتدرون لم ذلک؟ یجمع الله الأولین والآخرین.. وذکر حدیث الشفاعة.

وفی حدیث آخر: أما ترضون أن یکون إبراهیم وعیسی فیکم یوم القیامة، ثم قال إنهما فی أمتی یوم القیامة، أما إبراهیم فیقول أنت دعوتی وذریتی فاجعلنی من أمتک، وأما عیسی فالأنبیاء إخوة بنو علات أمهاتهم شتی، وإن عیسی أخی لیس بینی وبینه نبی، وأنا أولی الناس به...

قوله أنا سید الناس یوم القیامة: هو سیدهم فی الدنیا ویوم القیامة ولکن أشار(ص)لإنفراده فیه بالسؤدد والشفاعة دون غیره، إذ لجأ الناس إلیه فی ذلک فلم یجدوا سواه. والسید هو الذی یلجأ الناس إلیه فی حوائجهم، فکان حینئذ سیداً منفرداً من بین البشر لم یزاحمه أحد فی ذلک ولا ادعاه. انتهی.

والنتیجة أن روایات الشفیع الأول فی مصادر السنیین متعارضة بشکل لا یمکن الجمع بینها فلا بد من ترجیح طائفة منها وإسقاط الأخری، ولا شک فی أن الأرجحیة للطائفة الموافقة لأحادیث أهل البیت (علیهم السلام) وللعقل، المخالفة للیهود.

مسألتا: الذبیح و أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة

یوجد مسألتان علی الأقل ترتبطان بمسألة الشفیع الأول، تغلب فیهما الإسرائیلیات فی مصادر السنیین یناسب أن نتعرض لهما باختصار، خاصة أن شفاعة إسحاق وإبراهیم (علیهما السلام) وردت فی روایاتهما:

الأولی منهما فی تعیین الذبیح المذکور فی القرآن، وهل هو إسحاق أوإسماعیل؟

والثانیة فی أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة، هل هو إبراهیم أم نبینا صلی الله علیهما وآلهما!

المسألة الأولی

رأی الشیعة أن الذبیح هو اسماعیل علیه السلام کما سیأتی.

وقالت الیهود إن الذبیح هو إسحاق ولیس اسماعیل.

قال السید جعفر مرتضی فی (الصحیح) من السیرة:۲/۴۷:

السؤال الذی یلح فی طلب الإجابة علیه هو: من أین جاء هذا الأمر الغریب: أن الذبیح هو إسحاق؟

والجواب: هو ما قاله ابن کثیر وغیره (إنما أخذوه والله أعلم من کعب الأحبار أو من صحف أهل الکتاب، ولیس فی ذلک حدیث صحیح عن المعصوم حتی نترک من أجله ظاهر الکتاب. [۱] .

فاليهود إذن قد أرادوا ترويج عقيدتهم بين المسلمين، وتخصيص هذه الفضيلة بجدهم إسحاق حسب زعمهم. ولكن اليهود أنفسهم قد فاتهم أن التوراة المتداولة نفسها متناقضة فى هذا الأمر، فإنها فى حين تقول (خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق. وإذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على..الخ. [۲] فقد عبرت هنا بكلمة وحيدك الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم، ولكنها تعود فتكذِّب نفسها وتنص على أن إسحاق لم يكن وحيداً وإنما ولِدَ وعمرُ إسماعيل أربعة عشر سنة. انتهى.

أما السنيون فقد تحيروا تحيراً شديداً فى من هو الذبيح، وروت مصادرهم روايات (صحيحة) متناقضة! فقد روى الحاكم مثلاً عدة روايات فى أن الذبيح المذكور فى القرآن هو اسماعيل، وصحح بعضها على شرط الشيخين!

قال الحاكم فى: ۲/۴۳۰:

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لابْرَاهِيمَ، قال من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته. بلغ معه السعى: شب حتى بلغ سعيه إبراهيم فى العمل. فلما أسلما: ما أمرا به.

وتله للجبين: وضع وجهه إلى الأرض فقال لا- تذبحنى وأنت تنظر عسى أن ترحمنى فلا- تجهز على، إربط يدى إلى رقبتى ثم ضع وجهى على الأرض، فلما أدخل يده ليذبحه فلم يحرك المدية حتى نودى: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع.

قوله فديناه بذبح عظيم: بكبش عظيم متقبل. وزعم ابن عباس أن الذبيح اسمعيل، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وقال فى: ۲/۵۵۴:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وروى فى الصفحة التى بعدها:

عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: المفدى اسمعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى.

ثم روى الحاكم عدة روايات فى أن الذبيح هو إسحاق، وأنه هو الذى يشفع للموحدين! ولم يذكر فيها شيئاً عن شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله وصحح بعضها أيضاً على شرط الشيخين! قال فى: ۲/۵۵۷ عن إحدى رواياته: قال الحاكم: سياقة هذا الحديث من كلام كعب بن ماتع الأحبار، ولو ظهر فيه سندٌ لحكمتُ بالصحة على شرط الشيخين، فإن هذاإسنادٌ صحيحٌ لا غبار عليه!

وقال فى/۵۵۹:

حدثنا إسمعيل بن الفضل بن محمد الشعرانى، ثنا جدى، ثنا سنيد بن داود، ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن أبى إسحاق، عن أبى الاحوص، عن عبد الله قال عبد الله قال: الذبيح إسحاق. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحدثنا محمد بن عمرو الأويسى، عن أبى الزبير، عن جابر (رض) قال: لما رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح إسحاق أخذ بيده. فذكره بطوله... قال الحاكم: وقد ذكره الواقدى بأسانيده. وهذا القول عن أبى هريرة، وعبد الله بن سلام، وعمير بن قتادة الليثى، وعثمان بن عفان، وأبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والله أعلم. وقد كنت أرى مشائخ الحديث قبلنا وفى سائر المدن التى طلبنا الحديث فيها، وهم لا- يختلفون أن الذبيح إسمعيل، وقاعدتهم فيه قول النبى (ص): أنا ابن الذبيحين، إذ لا خلاف أنه من ولد إسمعيل، وأن الذبيح الآخر أبوه الادنى عبد الله بن عبد المطلب. والان فإنى أجد مصنفى هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق. انتهى.

فقد بين الحاكم أنه يوجد عند السنيين اتجاهان فى تعيين الذبيح: قول بأنه اسماعيل، وهو الاتجاه الشعبى عند الناس وعند مشايخ الحديث الاكثر تقديساً للنبى صلى الله عليه وآله واختلاطاً بالناس، ولم يكن عندهم شكٌّ ولا خلافٌ بأن الذبيح اسماعيل.

وقول بأنه إسحاق، وهو اتجاه (مصنفى هذه الأدلة) أى مجموعات الأحاديث التى أمرت دولة الخلافة بتصنيفها، وكانت تكتبها على

دفاتر وتبعث بها إلى الآفاق، ومن راجع قصص دفاتر الزهرى والعلماء الذين صنفوا الحديث برعاية الدولة، يعرف أن مقصود الحاكم هؤلاء المصنفين! ثم أشار الحاكم إلى أن هذه الأحاديث أوجبت عليه أن يتوقف فيما هو مشهور عند مشائخ الحديث، وأن يميل إلى اتجاه المصنفين، وأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل!

ثم أورد رواية عن وهب ابن منبه (اليهودى المقبول فى مصادرهم) تؤكد أن الذبيح إسحاق وأنه هو شفيع الموحدين!! قال الحاكم:

عن وهب بن منبه قال: حديث إسحاق حين أمر الله إبراهيم أن يذبحه: وهب الله لإبراهيم إسحاق فى الليلة التى فارقته الملائكة، فلما كان ابن سبع أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قرباناً، وكان القربان يومئذ يتقبل ويرفع، فكتم إبراهيم ذلك إسحاق وجميع الناس وأسرَّه إلى خليل له، فقال العازر الصديق وهو أول من آمن بابراهيم وقوله، فقال له الصديق: إن الله لا يبتلى بمثل هذا مثلك ولكنه يريد أن يجربك ويختبرك، فلا تسوأن بالله ظنك فإن الله يجعلك للناس إماماً ولا حول ولا قوة لابراهيم وإسحاق إلا بالله الرحمن الرحيم. فذكر وهب حديثا طويلاً إلى أن قال وهب: وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لقد سبق إسحاق الناس إلى دعوة ما سبقها إليه أحد! ويقومن يوم القيامة فليشفعن لأهل هذه الدعوة، وأقبل الله على إبراهيم فى ذلك المقام فقال:

إسمع منى يا إبراهيم أصدق الصادقين. وقال لاسحاق: إسمع منى يا أصبر الصابرين، فإنى قد ابتليتكما اليوم ببلاء عظيم لم أبتل به أحداً من خلقى، ابتليتك يا إبراهيم بالحريق فصبر صبراً لم يصبر مثله أحد من العالمين، وابتليتك بالجهاد فىَّ وأنت وحيدٌ وضعيفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم يصدق مثله أحد من العالمين، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك فى طاعة أبيك، ورأيت ذلك هنيئاً صغيراً فى الله كما يرجو من أحسن ثوابه ويسر به حسن لقائه، وإنى أعاهدكما اليوم عهداً لا أحبسن به: أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة علىَّ فأنت خليلى من بين أهل الأرض دون رجال العالمين، وهى فضيلة لم ينلها أحد قبلك ولا أحد بعدك، فخرَّ إبراهيم ساجداً تعظيماً لما سمع من قول الله متشكراً لله.

وأما أنت يا إسحاق فتمنَّ علىَّ بما شئت، وسلنى واحتكم، أوتك سؤلك.

قال: أسألك يا إلهى أن تصطفينى لنفسك، وأن تشفعنى فى عبادك الموحدين، فلا يلقاك عبدٌ لا يشرك بك شيئاً إلا أجرته من النار.

قال له ربه: أوجبت لك ما سألت وضمنت لك ولأبيك ما وعدتكما على نفسى، وعداً لا أخلفه، وعهداً لا أحبسن به، وعطاء هنيئاً ليس بمردود. انتهى.

والنتيجة أن الحاكم يشهد بأن الروايات القائلة بأن الذبيح اسماعيل صحيحة ومشهورة عند مشائخ الحديث وعامة الناس.

ويشهد أيضاً بأن الروايات القائلة بأن الذبيح إسحاق صحيحة أيضاً عند أهل المصنفات، وهو يرجحها مع أنها مخالفة للمشهور!

لكن يبقى السؤال: من أين جاء هذان الاتجاهان فى المسألة!

أما البخارى فقد تهرب فى صحيحه من تعيين الذبيح ولكنه اختار فى تاريخه أنه إسحاق وليس إسماعيل رغم وجود عدة روايات صحيحة على شرطه تقول إنه اسماعيل ومن البعيد جداً أنه لم يرها!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد بن حميد والبخارى فى تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: الذبيح إسحاق. انتهى.

بل يمكن القول إن البخارى اختار فى صحيحه أيضاً أن الذبيح إسحاق لأن الرواية اليتيمة التى رواها عن الموضوع اقتطعها وانتقاها من رواية مجاهد المتقدمة فى مستدرك الحاكم، وقد حذف منها أن الذبيح اسماعيل!!

قال البخارى فى صحيحه:۸/۷۰:

باب رؤيا إبراهيم وقوله تعالى: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى... قال مجاهد: أسلما:

سلما ما أمرا به، وتله: وضع وجهه بالأرض. انتهى.

ولابـد أن البخارى لم يرتض رأى مجاهـد فى أصل هذه الرواية وغيرها بأن الذبيح اسـماعيل، ولذلك حذفه من تفسيره للايات الذى نقله عنه! ولكنه لم يشير إلى ما فعل مع الأسف!

ووما يدل على أن رأى مجاهد القاطع بأن الذبيح اسماعيل: ما رواه السيوطى فى الدر المنثور: ۵/۲۸۰ قال:

وأخرج سـعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق مجاهد ويوسف بن ماهك عن ابن عباس رضـى الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل عليه السلام.

وأخرج عبـد بن حميـد وابن جرير من طريق يوسف بن مهران وأبى الطفيـل عن ابن عباس رضـى الله عنهما قال: الذبيـح اسـمعيل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قالا: الذى أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه اسمعيل عليه السلام.

وأخرج ابن جرير عن الشعبى ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد بن كعب القرظى مثله. انتهى.

وأما مسـلم، فلم نجد فيه رواية تعين الذبيح! ولو كان يرى أنه إسـماعيل لذكره، لوجود روايات عديدة صـحيحة على شرطه فى ذلك، ومن البعيد أنه لم يرها! فلا بد أنه كالبخارى والحاكم رجح أن الذبيح إسحاق.

أما لماذا فعل أصحاب المصنفات والصحاح ذلك؟

ولماذا أسقطوا الأحاديث الصحيحة بأن الذبيح اسماعيل!

فالجواب: أنهم فعلوه لحاجة فى نفس يعقوب!!

والحاجـة الـتى فى نفس يعقوب هنـا: أن قريشـاً تبنت القول بـأن الذبيـح هو إسـحاق حـتى لاـ تضـطر إلى الإـعتراف بحـديث (أنـا ابن الـذبيحين) لأـن هـذا الحـديث يعطى لعبـد المطلب مقامـاً شبيهاً بمقام إبراهيم عليه السـلام وأنه كان ولياً ملهماً كالأنبياء وأن الله تعالى امتحنه فأمره بذبـح أحـد أبنائه.. وإذا اعترفت بـذلك، فإن حق الحكم بعد النبى يجب أن يكون فى ذرية عبد المطلب دون غيرهم من بيوتات قريش وقبائلها!!

فالأفضل للقرشيين فى تصورهم أن يقولوا إن عبد المطلب وأبا طالب وكل أسرة النبى الماضين، كانوا كفاراً وأنهم فى النار، وأن ورثة سلطان النبى صلى الله عليه وآله هم جيل قريش الذين عاصروه من جميع قبائل قريش الثلاث والعشرين!

ولهـذا نجـد أن شـخص (الخليفة) يتدخل فى هذا الموضوع ويصـير راوياً، ويقول إن النبى لم يقل إنه ابن الذبيحين، ولكن بدوياً فقيراً تقرب إليه بهذه العبارة، فتبسم لها النبى صلى الله عليه وآله! وقد كان تبسمه اشتباهاً ورأياً رآه من عنده ولم ينزل عليه به وحى!!

روى الحاكم فى المستدرك:۲/۵۵۴ عن: عبد الله بن سـعيد الصـنابحى قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم اسمعيل وإسـحاق بن إبراهيم فقال بعضـهم: بل إسحاق الذبيح فقال معاوية: سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله فأتاه الاعرابى فقال: يا رسول الله خلفت البلاـد يابسـة والمـاء يابسـاً هلـك المال وضاع العيال فعـد على بما أفاء الله عليك يابن الـذبيحين فتبسم رسول الله ولم ينكر عليه!!

فقلنـا يـا أميرالمؤمنين وما الـذبيحان قال إن عبـد المطلب لما أمر بحفر زمزم نـذر لله إن سـهل الله أمرها أن ينحر بعض ولـده فأخرجهم فأسـهم بينهم فخرج السـهم لعبـد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم وقالوا: أرض ربك وافـد ابنك. قال ففـداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الثانى. انتهى.

وفى ظنى أن الراوى تصـرف فى القسم الأخير من كلام معاويـة، لأنه فى القسم الأول نفى مسألـة الذبيـح من أصـلها! ولا بـد أن تكون بقية حديث معاوية فى نفى الذبيحين بلسان معاوية أو عن لسان النبى صلى الله عليه وآله!

لقـد التقت مصـلحة القرشـيين فى هـذه المسألـة مع مصـلحة اليهود! وكعب الأحبار وجماعته حاضـرون لاغتنام هـذه الفرصة، ليثبتوا أن

الذبیح اسحاق، ولیس إسماعیل، وینقضوا علی الشفاعة للموحدین فیأخذوها من النبی صلی الله علیه وآله، ویجعلوها لاسحاق!!

ویتضح عمل کعب فی الموضوع من الروایة التالیة التی رواها عبد الرزاق فی تفسیره:۲/۱۲۳ عن الزهری عن القاسم بن محمد فی قوله: إنی أری فی المنام أنی أذبحک، قال: اجتمع أبو هریرة وکعب فجعل أبو هریرة یحدث کعباً عن النبی (ص) وجعل کعب یحدث أبا هریرة عن الکتب! فقال: أبو هریرة قال النبی (ص): إن لکل نبی دعوة مستجابة وإنی خبأت دعوتی شفاعة لامتی یوم القیامة فقال له کعب: أنت سمعت هذا من رسول الله! قال نعم.

قال کعب: فداه أبی وأمی أفلا أخبرک عن إبراهیم إنه لما رأی ذبح ابنه إسحاق قال الشیطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبدا فخرج إبراهیم بابنه لیذبحه فذهب الشیطان فدخل علی سارة فقال: أین ذهب إبراهیم بابنک قالت: غدا به لبعض حاجته فقال: إنه لم یغد به لحاجة إنما ذهب لیذبحه. قالت: ولم یذبحه! قال: یزعم أن ربه أمره بذلک! قالت: فقد أحسن أن یطیع ربه فی ذلک فخرج الشیطان فی أثرهما فقال للغلام أین یذهب بک أبوک قال لحاجته قال إنما یذهب بک لیذبحک! قال لم یذبحنی قال یزعم أن ربه أمره بذلک! قال والله لئن کان أمره بذلک لیفعلن. قال فترکه ولحق بإبراهیم فقال: أین غدوت بابنک فقال لحاجة قال: فإنک لم تغد به لحاجة إنما غدوت لتذبحنه! قال ولم أذبحه قال تزعم أن ربک أمرک بذلک! قال: فوالله لئن کان أمرنی بذلک لافعلن. قال: فترکه ویئس أن یطاع. انتهی.

وروی الطبری فی تاریخه:۱/۱۸۷:

روایة معاویة وعدة روایات عن کعب الأحبار فی أن الذبیح إسحاق، ومنها روایة عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فیها: فلما أخذ إبراهیم إسحاق لیذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظیم قال إبراهیم لإسحاق قم أی بنی فإن الله قد أعفاک فأوحی الله إلی إسحاق إنی أعطیک دعوة أستجیب لک فیها قال إسحاق: اللهم فإنی أدعوک أن تستجیب لی أیما عبد لقیک من الأولین والآخرین لا یشرک بک شیئاً فأدخله الجنة. انتهی.

وبذلک یقول لنا کعب: إن الذبیح هو إسحاق جد الیهود ولیس جد العرب، ثم إنکم تزعمون أن محمداً یشفع فی الموحدین، وقد سبقه إلی ذلک إسحاق فلم یبق معنی لشفاعة نبیکم!

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم والحاکم وصححه والبیهقی فی شعب الإیمان عن کعب (رض) أنه قال لابی هریرة: ألا أخبرک عن اسحاق قال بلی قال: لما رأی إبراهیم أن یذبح إسحاق... وذکر شفاعة اسحاق للموحدین بنحو روایة الطبری المتقدمة!

وقال ابن خلدون فی تاریخه:۲/۳۸:

واختلف فی ذلک الذبیح من ولدیه، فقیل اسمعیل وقیل اسحاق وذهب إلی کلا القولین جماعة من الصحابة والتابعین فالقول باسمعیل لابن عباس وابن عمر والشعبی ومجاهد والحسن ومحمد بن کعب القرظی وقد یحتجون له بقوله صلی الله علیه وسلم: أنا ابن الذبیحین ولا تقوی الحجة به لأن عم الرجل قد یجعل أباه بضرب من التجوز لا سیما فی مثل هذا الفخر!!

ویحتجون أیضاً بقوله تعالی: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَاقَ یَعْقُوبَ ولو کان ذبیحاً فی زمن الصبا لم تصح البشارة بابن یکون له لأن الذبح فی الصبا ینافی وجود الولد ولا تقوم من ذلک حجة لأن البشارة إنما وقعت علی وفق العلم بأنه لا یذبح وأنما کان ابتلاء لإبراهیم.

والقول بإسحاق للعباس وعمر وعلی وابن مسعود وکعب الأحبار وزید بن أسلم ومسروق وعکرمة وسعید بن جبیر وعطاء والزهری ومکحول والسدی وقتادة. انتهی.

وینبغی الإلتفات هنا إلی أن أصل القول بأن الذبیح إسحاق من شخصین حسب روایة ابن خلدون وغیره:

الأول: الخليفة عمر مؤسس الخلافة القرشية وصاحب مشروع عزل بنى هاشم عن الخلافة.

والثانى: كعب الأحبار حامل راية الثقافة الإسرائيلية.

وقد ذكر الرواة المؤيدون للخلافة القرشية اسم على والعباس، ورووا عنهما أن الذبيح إسحاق لأنهما من أولاد عبد المطلب، ومن المناسب الإحتجاج بشهادتهما لسلب هذه المنقبة العظيمة عن عبد المطلب، التى تجعله بنص الرسول صلى الله عليه وآله إبراهيم الثانى! ويظهر أن قريشاً وكعباً لم يستطيعوا إقناع جمهور المسلمين بمقولتهم المخالفة لظاهر القرآن، ولا إسكات بنى هاشم ومنهم ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق، وإن رووا ذلك عنهم، فقد بقى عوام المسلمين مع ظاهر القرآن وفطرتهم، وبقيت روايات أهل البيت الصريحة، وروايات ابن عباس التى تقدمت فى مستدرك الحاكم: ۲/۵۵۵: قال: المفدى إسمعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى. بقى كل ذلك يتحدى رواة الخلافة القرشية واسرائيلياتها!

[۱] البداية والنهاية:۱/۱۶۱ و۱۵۹ وراجع السيرة الحلبية:۱/۳۸ عن ابن تيمية.

[۲] سفر التكوين: الإصحاح ۲۲ الفقرة ۱ ـ ۳۳ ولتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضاً.

رأى أهل البيت

تؤكد مصادر أهل البيت(عليهم السلام) أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وقد قوى العلماء رواياته وضعفوا رواية أن الذبيح إسحاق حتى صار ذلك من مختصات مذهبنا.. ففى تفسير القمى:۲/۲۲۶: قال: وحدثنى أبى عن صفوان بن يحيى وحماد عن عبدالله بن المغيرة عن ابن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألناه عن صاحب الذبح فقال: اسماعيل. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين يعنى اسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب.

وفى تفسير التبيان:۸/۵۱۷:

واختلفوا فى الذبيح فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرطى وسعيد بن المسيب والحسن فى إحدى الروايتين عنه والشعبى: إنه كان إسماعيل وهو الظاهر فى روايات أصحابنا ويقويه قوله بعد هذه القصة وتمامها: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين فدل على أن الذبيح كان اسماعيل. ومن قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضى البشارة بإسحاق دون نبوته.

ويدل أيضاً عليه قوله: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم يذكر اسماعيل. فدل على أنه كان مولوداً قبله.

وأيضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب فكيف يأمره بذبحه مع ذلك؟ وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق.

وقالوا أيضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب. والأول هو الاقوى على ما بيناه. وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين ولا خلاف أنه كان من ولد اسماعيل والذبيح الآخر عبد الله أبوه. انتهى.

وفى تفسير نور الثقلين:۴/۴۲۱:

فى أمالى شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى سليمان بن يزيد قال: حدثنا على بن موسى قال: حدثنى أبى عن أبيه عن أبى جعفر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: الذبيح اسماعيل عليه السلام.

وفى مهج الدعوات فى دعاء مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله: يا من فدى اسماعيل من الذبح.

وفى مستدرك الوسائل:۱۶/۹۸:

وفى العيون: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى عن على بن حسن بن فضال عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبى صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين قال: يعنى إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما

السلام) وعبد الله بن عبدالمطلب... إلى أن قال: وأما الآخر فإن عبدالمطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله تعالى لى فلافين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله.. الخبر.

ابن شهر آشوب فى المناقب: تصور لعبد المطلب أن ذبح الولد أفضل قربة لما علم من حال اسماعيل فنذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً أن ينحر أحدهم فى الكعبة شكراً لربه فلما وجدهم عشرة قال لهم: يا بنى ما تقولون فى نذرى فقالوا: الأمر إليك ونحن بين يديك..الخبر. انتهى.

بحث فى إيمان عبدالمطلب و روايهٔ أنا ابن الذبيحين

نظراً لاهميهٔ هذه المسألهٔ وارتباطها بشفاعهٔ النبى وشخصيهٔ أبيه وجده صلى الله عليه وآله.. نستعرضها بشكل موجز، ونبين ظلامهٔ عبد المطلب فى مصادر السنيين:

فقد روت مصادرهم بأسانيد صحيحهٔ عن لسان أصدق الصادقين الناطق بإلهام رب العالمين صلى الله عليه وآله، نقاطاً ملفتهٔ فى مدح عبد المطلب، توجب الإعتقاد بأن شخصيته شخصيهٔ ربانيهٔ، وتوجب رفض الروايات التى تعارضها وتتهمه بالشرك وعبادهٔ الأصنام!

فمن هذه الأحاديث:

أنه عندما انهزم المسلمون فى حنين وتركوا نبيهم صلى الله عليه وآله بين سهام الكفار ورماحهم وسيوفهم فى أشد ظروف الخطر، ولم يبق معه إلاـ الملائكهٔ وعلى وبعض بنى هاشم..ترجل صلى الله عليه وآله للحرب وافتخر على الكفار بأمرين: نبوته، وأنه ابن عبد المطلب وباهاهم بذلك بين يدى الله تعالى وقاتلهم!

والنبى العادى لا يفتخر بجده وآبائه إذا كانوا كفاراً، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين وأتقى الموحدين صلى الله عليه وآله!

قال البخارى فى صحيحه:۵/۹۸:

عن أبى إسحاق قال سمعت البراء وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارهٔ أتوليت يوم حنين! فقال أما أنا فأشهد على النبى(ص)أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحرث (بن عبد المطلب) آخذ برأس بغلته البيضاء (وهو) يقول:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقال البخارى فى:۳/۲۲۰:

قال: لا والله ما ولى النبى(ص)، ولكن ولى سرعان الناس، فلقيهم هوازن بالنبل، والنبى(ص)على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحر ث آخذ بلجامها، والنبى(ص)يقول:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقال فى:۴/۲۸:

فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال: فما رؤى من الناس يومئذ أشد منه! ورواه مسلم فى:۵/۱۶۸ و ۱۶۹

وقال البخارى فى صحيحه:۴/۱۶۱:

باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية. وقال ابن عمرو وأبو هريرهٔ عن النبى (ص): إن الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وقال البراء عن النبى (ص): أنا ابن عبد المطلب.

ومن هذه الأحاديث:

ما دل أن الله تعالى جعل فى شريعته الخالدة مالية خاصة لأبناء عبد المطلب إلى يوم القيامة، فحرم عليهم الصدقات لأنها أوساخ الناس، وجعل لهم بدلها الخمس. وإن شخصاً يكون فى ذريته أبرار وأخيار بهذا المستوى إلى يوم القيامة، يستبعد أن يكون مشركاً عابداً للأصنام!

قال النسائى فى سننه:۷/۱۳۴:

عن مجاهد قال الخمس الذى لله وللرسول كان للنبى(ص)وقرابته لا يأكلون من الصدقة شيئاً... قال الله جل ثناؤه: واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وقال أبو داود فى سننه:۲/۲۶:

حدثنا حسين بن على العجلى، ثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن السدى، فى ذى القربى قال: هم بنو عبد المطلب.

وقال النسائى:۵/۱۰۵:

باب استعمال آل النبى(ص)على الصدقة... أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو عن ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن عبدالله بن الحرث بن نوفل الهاشمى أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب أخبره أن أباه ربيعة بن الحرث قال لعبد المطلب بن ربيعة بن الحرث والفضل بن العباس بن عبد المطلب ائتيا رسول الله(ص)فقولا له استعملنا يا رسول الله على الصدقات، فأتى على بن أبى طالب ونحن على تلك الحال فقال لهما: إن رسول الله(ص)لا يستعمل منكم أحداً على الصدقة، قال عبد المطلب: فانطلقت أنا والفضل حتى أتينا رسول الله(ص)، فقال لنا: إن هذه الصدقة إنما هى أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد!

وفى صحيح مسلم:۳/۱۱۸:

عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الصدقة لاتنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس... وقال أيضاً: ثم قال رسول الله (ص): أدعوا لى محمية بن جزء، وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله(ص)استعمله على الأخماس. انتهى.

ونحوه فى سنن أبى داود:۲/۲۸ ومسند أحمد:۴/۱۶۶ والبيهقى فى سننه:۷/۳۱ ـ وشبهه فى:۶/۳۳۸

وروى إحدى رواياته الحاكم فى المستدرك:۳/۴۸۴وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى نحوه فى كنز العمال:۶/۴۵۸ بعدة روايات.

ومعنى قوله ادعوا لى محمية: أدعوا لى المسؤول عن الأخماس التى هى شرعاً لبنى عبد المطلب، حتى أعطى هؤلاء منها. وهو يدل على أن النبى صلى الله عليه وآله نفذ فى حياته الحكم الشرعى فى الخمس، وجعل له مسؤولاً هو محمية بن جزء، ولكن ذلك انتهى بوفاته، ولم يبق له أثرٌ عند خلفاء قريش!

وقد يشكل على هذا التشريع الإسلامى: بأنه قد أسس الطبقية فى المجتمع الإسلامى، وجعل أسرة النبى صلى الله عليه وآله من بنى هاشم وعبد المطلب، أسرة مميزة اجتماعياً ومالياً، بل ومترفعة على غيرها، فهى لا تأكل من أموال بيت المال التى تتجمع من الزكوات والضرائب لأنها أوساخ الناس، بل لها ماليتها الخاصة فى موارد الدولة.

وقد اختلف الفقهاء فى موارد مالية بنى عبد المطلب هذه، فحصرها فقهاء الخلافة القرشية بغنائم الحرب وجعلوا خمسها لذوى قربى النبى من بنى هاشم..وعممها فقهاء الشيعة لكل مايغنم فى الحرب والكسب، مما زاد على مصارف المسلم السنوية.. فقد يقال إن هذه الاموال تشكل ميزانية دولة فكيف يجعلها الله تعالى لاسرة النبى صلى الله عليه وآله؟!

والجواب: أولاً، أن الخمس ليس لأغنياء بنى هاشم، بل هو مختص بفقرائهم المؤمنين.

وثانياً، إن الاهتمام بالفقراء من أسر الأنبياء والنابغين أمر حضارى، فلو أن مجلس العموم البريطانى مثلاً أقرَّ قانوناً بإعطاء أبناء آينشتاين من أموال الدولة ما يكفى لمعيشة فقراءهم، بسبب أنهم من ذرية عالم نابغ، ويؤمل أن ينبغ منهم آخرون..لرأى فيه المعترضون على الخمس الإسلامى عملاً عصرياً صحيحاً، واهتماماً جيداً من دولة متحضرة!

فما هو الإشكال فى أن تهتم الشريعة الخاتمة بذرية سيد الأنبياء وأسرته صلى الله عليه وآله وتجعل لهم ميزانية من أزكى الموارد، لمن كان منهم مؤمناً محتاجاً.

وثالثاً، إن الذى يشكل على تشريع الخمس لال النبى صلى الله عليه وآله عليه أن يرجع إلى القرآن ليرى ما هو أعظم من الخمس، فإن نبينا صلى الله عليه وآله هو الوحيد من بين الأنبياء الذى أوجب الله تعالى على أمته إعطاءه أجراً على تبليغ الرسالة، وجعل هذا الأجر: مودة آله فقال (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) ولذا أفتى كل فقهاء المذاهب بنفاق الناصبى الذى يكره آل النبى صلى الله عليه وآله، وأفتى بعضهم بكفره!

إن المتأمل فى آيات القرآن وتاريخ الأديان، لا مفر له من القول بأن الله تعالى من الأصل قد اختار الأنبياء وأسرهم لتبليغ الدين الإلهى، وإقامة الحكم به فى المجتمعات البشرية. فالاسرة المختارة أساسٌ فى نظام الدين الإلهى، ولكنها أسرة مصطفاة من الله العليم بشخصيات عباده، الحكيم فى اختيار أنبيائه وأوليائه.. لا كالاسر التى يختارها الناس بأهوائهم، أو بعلمهم المحدود، أو الأسر التى تتسلط بالقوة وتفرض نفسها على الناس!

قال الله تعالى: إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. آل عمران ۳۳ ـ ۳۴

وقال عن جمهرة أسر الأنبياء:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. الأنعام: ۸۳ ـ ۸۹

وقال عن دعاء زكريا بالذرية الطيبة:

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. آل عمران: ۳۸

وقال عن ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وكثرتهم:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلا وَاقٍ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. الرعد: ۳۷ – ۳۸

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ. الكوثر: ۱–۳

وقال عن دعاء الملائكة للذريات المؤمنة:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. غافر: ۷ ـ ۹

وقال عن نظام الذرية والاسر فى الآخرة أيضاً:

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ. الرعد: ۲۲–۲۴

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ

شَیْءٍ کُلُّ امْرِیءٍ بِمَا کَسَبَ رَهِینٌ. الطور: ۲۰ ـ ۲۱ انتهی.

فنظام الأسرة والذریة نظام طبیعی فی بنی آدم، وقد أقره الله تعالی واستفاد منه فی الدین الإلهی.

وإذا کانت البشریة قد عانت الویلات والمآسی وأنواع الظلم والاضطهاد من نظام الاسر الفاسدة المتجبرة.. فإن ذلک یرجع إلی فساد تلک الأسر ولا یصح أن یکون سبباً لرفض بنیة الأسرة وفکرتها.. فهذه البنیة تختزن إیجابیات کبری لحمل الرسالة واستمرارها کما أن فیها خطر سلبیات کبری أیضاً وأن تتحول إلی ملک عضوض.. وقد تحدث القرآن عن الأجیال التی فسدت من أسر الأنبیاء وأتباعهم فقال تعالی:

أُولَئِکَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ مِنْ ذُرِّیَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّیَّةِ إِبْرَاهِیمَ وَإِسْرَائِیلَ وَمِمَّنْ هَدَیْنَا وَاجْتَبَیْنَا إِذَا تُتْلَی عَلَیْهِمْ آیَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُکِیًّا. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ یَلْقَوْنَ غَیًّا. إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا یُظْلَمُونَ شَیْئًا. مریم: ۵۸ ـ ۶۰

لکن عندما یختار الله تعالی أسرة کأسرة نبینا صلی الله علیه وآله ویصطفیها فلیس معناه أنه یختار کل أفرادها علی علاتهم بل معناه أنه یختارها بصورة عامة بسبب علمه بأنه سیوجد منها أفراد معصومون یختارهم لهدایة الأمة وقیادتها.

ولو فکرت فیما نقلته الصحاح من قول النبی صلی الله علیه وآله فی حدیث الثقلین (ولقد أخبرنی اللطیف الخبیر أنهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض) لما وجدت له معنی إلا ـ أن الله تعالی أخبر نبیه بأنه سیکون من عترته شخص معصوم یواصل خط نبوته فی کل عصر إلی یوم القیامة! فالاختیار لبنی عبد المطلب کلیٌّ عام لانهم معدن النبی صلی الله علیه وآله ومعدن الأئمة من عترته (علیهم السلام) ولأنهم الأفضل بالمقایسة مع غیرهم من الأسر، فهی أقلهم سلبیات وأکثرهم إیجابیات.. وهو اختیار ترافقه تشریعات حازمة شرعها الله تعالی بشأنهم تتلخص بما یلی:

أن المودة والاحترام لجمیع بنی هاشم، بشرط الإسلام والإیمان.

أن الخمس لفقرائهم المؤمنین بمقدار کفایتهم وتمشیة أمور معیشتهم.

أن وجوب الإطاعة فقط لاولی الأمر المعصومین منهم (علیهم السلام) الذین هم الأئمة الإثنا عشر لاغیر.. وقد تقدم فی الفصل الثامن تفسیر آیة المصطفین الذین أورثهم الله الکتاب بعد نبینا صلی الله علیه وآله، وأنهم محصورون فی ذریة فاطمة الزهراء علیها السلام، وأن الصالحین منهم ثلاثة أنواع: سابق بالخیرات وهم الأئمة (علیهم السلام) ومقتصد وظالم لنفسه.

ومن الأمور الطریفة أن الذین ینتقدون الشیعة لتمسکهم بمودة أهل البیت وولایتهم (علیهم السلام) ویقولون إن مذهب التشیع مذهب أسری، ینسون أنهم أسریون أکثر منا! فنحن نعتقد أن الخلافة فی هذه الأمة إلی یوم القیامة مخصوصة فی ذریة النبی عملاً بنصه صلی الله علیه وآله..بینما هم یقولون إن النبی صلی الله علیه وآله لم ینص علی أحد، وبعضهم یقول إنه علی أن الخلافة فی قریش إلی یوم القیامة، لأنهم قبیلة النبی صلی الله علیه وآله.

فنحن أسریون بالنص، وهم قبلیون بغیر نص، أو بنص!

ونطاق ولائنا نحن لبنی هاشم وعبد المطلب بصورة عامة، ولإثنی عشر إماماً منهم بصورة خاصة.. بینما نطاق ولائهم لبضع وعشرین قبیلة، هم مجموعة قبائل قریش، ومنهم أئمة الشرک، والکفر، والنفاق!

وقد روینا ورووا أن علیاً علیه السلام بعد أن فرغ من مراسم تغسیل النبی والصلاة علیه ودفنه صلی الله علیه وآله بلغه أن بعض زعماء قریش ذهبوا إلی السقیفة حیث کان رئیس الأنصار مریضاً، واحتجوا علی الأنصار بأنهم قوم النبی صلی الله علیه وآله وعشیرته وأولی منهم بسلطانه! فقال علی علیه السلام فیما قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة!!

وغرضنا هنا أن نوضح أن جمیع المسلمین ماعدا من شذ قد أجمعوا علی أن نظام الحکم فی الإسلام بعد النبی صلی الله علیه وآله إما أن یکون أسریاً مخصوصاً بعترته علیهما السلام، أو قبلیاً مخصوصاً بقبائل قریش الثلاث والعشرین أو الخمس والعشرین.

فنحن نقول إنه نظامٌ أسرى بالنص واختيار الله تعالى كما قال (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، والسنة يقولون إنه نظامٌ قبلى باختيار الناس لكن من داخل قريش، ولا يجب أن يكون الحاكم عندهم من أسرة النبى عليه السلام، بل لعله يستحبون أن يكون من غيرها!

ومن الأحاديث والنصوص الدالة على إيمان عبد المطلب:

ما ثبت فى الحديث والتاريخ من كرامات بل معجزات لعبد المطلب، فى حملة أبرهة لهدم الكعبة تدل على توحيده وإيمانه ويقينه، وعلى أنه كان يعرف أن الله تعالى سيرسل عليهم طيراً أبابيل، وكان يرسل بعص أولاده إلى الجبل لينظروا هل جاء سرب الطيور من قبل البحر!

ورووا كذلك مخاطبته للفيل وجواب الفيل له بالاشارة بأنه لن يدخل إلى محيط الكعبة... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على الكرامة التى أكرمه الله بها بأن أعاد نبع زمزم على يده وما رافق ذلك من آيات فقد كان الله تعالى أكرم بهذا النبع جده اسماعيل وأمه هاجر ثم نضب وعفى على مر الزمن حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب عن طريق الرؤيا الصادقة التى لا تكون إلا للأنبياء والاوصياء وكبار الأولياء.

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على معرفته بنبوة حفيده صلى الله عليه وآله، واهتمامه الخاص به ورعايته المميزة له فى طفولته وصباه، وتوصيته به إلى أرشد أبنائه أبى طالب، وإخباره إياه بأمره... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون، مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على المكانة الدينية التى كانت لعبد المطلب فى قلوب قبائل العرب وجماهيرها والتى لم يكن لاحد مثلها حتى لرؤساء قبائلهم... كل ذلك مع حسد قريش له وعمل رؤسائها للحط من مكانته خاصة بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش الذين قادوا معركة بدر وبنو المغيرة الذين كان يرأسهم أبو جهل وبنو أمية الذين كان يرأسهم صخر.

وقد نصت مصادر التاريخ على هذه المكانة وأن طابعها كان تقديساً دينياً غير وثنى بل مرتبطاً بالكعبة وزمزم وإسماعيل وإبراهيم (عليهم السلام). ويلاحظ ذلك من مواقف عقلاء العرب وأصحاب الاذهان الحرة منهم واحترامهم للنبى صلى الله عليه وآله باعتباره ابن عبدالمطلب لأن عبد المطلب عندهم وارث أمجاد اسماعيل وإبراهيم وبركتهما!

روى النسائى فى سننه:۴/۱۲۴:

عن أبى هريرة قال بينما النبى(ص)مع أصحابه (إذ) جاء رجل من أهل البادية قال: أيكم ابن عبد المطلب

قالوا: هذا الامغر المرتفق. قال حمزة: الامغر الأبيض مشرب حمرة.

فقال: إنى سائلك فمشتد عليك فى المسألة.

قال: سل عما بدا لك.

قال: أسألك بربك ورب من قبلك ورب من بعدك آلله أرسلك.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن تصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدك به آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن تصوم هذا الشهر من إثنی عشر شهراً.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن یحج هذا البیت من استطاع إلیه سبیلا.

قال: اللهم نعم.

فقال: فإنی آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة. انتهی.

ورواه البخاری مختصراً فی صحیحه:۱/۲۳وأبوداود فی سننه:۱/۱۱۷ـ ۱۱۸ ویفهم من هذا النص أن لعبدالمطلب وأولاده مکانة خاصة فی قلوب المتفکرین من العرب..بل یشیر النص التالی فی صحیح البخاری إلی أن أولاد بنی عبد المطلب لهم ممیزات نورانیة خاصة.

ففی:۵/۱۴۰: أن علی بن أبی طالب (رض)خرج من عند رسول الله(ص)فی وجعه الذی توفی فیه فقال الناس: یا أبا الحسن کیف أصبح رسول الله(ص)فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بیده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنی والله لاری رسول الله(ص)سوف یتوفی من وجعه هذا إنی لاعرف وجوه بنی عبد المطلب عند الموت...!! ورواه البخاری أیضاً فی:۷/۱۳۶

ومن هذه الأحادیث والنصوص:

ما دل علی العاطفة النبویة الجیاشة التی کانت تفیض من قلب نبینا صلی الله علیه وآله علی بنی هاشم وبنی عبد المطلب وذریتهما وأحادیث ذلک کثیرة صحیحة ملیئة بالدلالات لمن تأملها وجرد ذهنه عن ستار التلقین القرشی ضد عبد المطلب.

قال البخاری فی صحیحه:۲/۲۰۴:

عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما قدم النبی(ص)مکة استقبله أغیلمة بنی عبد المطلب فحمل واحداً بین یدیه وآخر خلفه.. ورواه فی:۷/۶۷

فهل کانت هذه العاطفة النبویة والحفاوة المحمدیة بأطفال کافرین! أم بأطفال آباؤهم طلقاء أسلموا لتوهم تحت السیف!

کلا بل کانت عاطفة علی غصون شجرة مبارکة یحملون إرث أجدادهم الأنبیاء والأوصیاء، ولم یظهر منهم إلی الآن انحراف عنها!!

وروی البخاری أن النبی صلی الله علیه وآله تعمد فی حجة الوداع أن یوعی الأمة علی ظلم قریش للنبوة، ولکل بنی هاشم وعبد المطلب!

قال البخاری فی:۲/۱۵۸:

عن أبی هریرة (رض) قال قال النبی(ص)من الغد یوم النحر وهو بمنی: نحن نازلون غدا بخیف بنی کنانة حیث تقاسموا علی الکفر. یعنی بذلک المحصب، وذلک أن قریشاً وکنانة تحالفت علی بنی هاشم وبنی عبد المطلب أو بنی المطلب، أن لا ـ یناکحوهم ولا یبایعوهم حتی یسلموا إلیهم النبی (ص). انتهی.

ثم لاحظ ذلک التعبیر النبوی الملی بالعاطفة والحنان والإیمان بنوعیة أبناء عبدالمطلب المممیزة حیث قال صلی الله علیه وآله کما حدیث الکافی الآتی (فما ظنکم یا بنی عبدالمطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونی مؤثراً علیکم غیرکم!).

ویؤیده ما رواه ابن شبة فی تاریخ المدینة:۲/۲۶۴ قال:

حدثنا أبوحذیفة قال حدثنا سفیان عن أبیه عن أبی الضحی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: جاء العباس (رض) إلی رسول الله(ص)فقال: إنک ترکت فینا ضغائن منذ صنعت الذی صنعت! فقال رسول الله (ص): لن یبلغوا الخیر أو قال الإیمان حتی یحبوکم لله ولقرابتی أیرجو سؤلهم شفاعتی عن مراد ولا یرجو بنو عبد المطلب شفاعتی انتهی. وروی نحوه غیره.

ومن هذه الأحادیث:

ما دل علی أن أولاده سادة أهل الجنة هم بنو عبد المطلب السبعة من بنی عبدالمطلب! فقد روی ابن ماجة فی سننه:۲/۱۳۶۸: حدثنا هدیة بن عبدالوهاب ثنا سعد بن عبد الحمید بن جعفر عن علی بن زیاد الیمامی عن عکرمة بن عمار عن إسحاق بن عبدالله بن أبی

طلحة عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى. انتهى. وهو حديث صحيح عند إخواننا السنة وقد أورنا مصادره وطرقه العديدة فى معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام فزادت على مئة مصدر. وصحح العديد منها علماء الجرح والتعديل.

إن المجموعة الواحدة من هذه النصوص تكفى الباحث السوى الذهن، لأن يعيد النظر فى الأحكام التى أصدرتها الخلافة القرشية وفقهاؤها على عبد المطلب..! فكيف بهذه المجموعات الثمانية مجتمعة، ومثلها معها!

وإذا أنهار البناء القرشئ ضد عبد المطلب، انهارت الجدران القرشية الأخرى وانكشفت محاصرتهم الجديدة لبنى هاشم وبنى عبد المطلب..التى أحكموها أكثر من محاصرتهم لهم فى شعب أبى طالب، لانهم فعلوها هذه المرة باسم الإسلام فطالت قروناً، وعمت أجيالاً، إلا من رحم ربك من أصحاب البصائر!

عبدالمطلب عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك

اتفقت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) على أن عبد المطلب رضوان الله عليه مؤمن بالله الواحد الاحد على ملة جده إبراهيم ولى من أولياء الله ملهم بواسطة الملائكة والرؤية الصادقة.. بل يحتمل الناظر فى هذه الأحاديث أن عبد المطلب كان من الأنبياء وأنه كان مأموراً أن يعبد ربه على دين إبراهيم ويأمر أولاده بذلك.

وقد روت ذلك مصادرنا وبعض مصادر السنيين قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۸: وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن مجاهد فى قوله: وتقلبك فى الساجدين قال: من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبياً. انتهى.

قال المجلسى فى بحار الأنوار:۳۱/۱۵۵:

روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.

وروى الكلينى فى الكافى:۴/۵۸:

عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبدالجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشئ وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول صلى الله عليه وآله الله: يا بنى عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم ولكنى قد وعدت الشفاعة ـ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد وعدها ـ فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونى مؤثرا عليكم غيركم!

ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيمة فى صعيد واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من فيأتون نوحا فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون إلى من فيقال: إلى إبراهيم فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون إلى من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون: إلى من فيقال: إيتوا عيسى فيأتونه ويسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى فيقولون: إلى من فيقال إيتوا محمداً فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجد ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط وأشفع تشفع فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه. ورواه فى تهذيب الأحكام:۴/۵۸ وتفسير العياشى:۲/۹۳ وتفسير نور الثقلين:۲/۲۳۵ ووسائل الشيعة:۶/۱۸۵ ومستدرك الوسائل:۷/۱۱۹ وتفسير نور الثقلين:۳/۲۱۰

هـذا وقـد تكفلت مصادر الحـديث والتفسـير عنـدنا بإثبات إيمان عبـد المطلب وجميع آباء النبى صـلى الله عليه وآله، وقـد وافقنا على ذلك عدد من العلماء السنيين منهم السيوطى والفخر الرازى والشعرانى.. وغيرهم.

آراء شيعية مخالفة للمشهور فى الذبيحين

رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضا

من لا يحضره الفقيه:۲/۲۳۰: وسئل الصادق عليه السلام عن الذبيح من كان فقال: إسماعيل عليه السلام لأن الله عز وجل ذكر قصته فى كتابه ثم قال: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين.

وقد اختلفت الروايات فى الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسـماعيل ومنها ما ورد بأنه إسـحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيـح إسـماعيل لكن إسـحاق لما ولـد بعـد ذلك تمنى أن يكون هو الـذى أمر أبوه بـذبحه وكان يصبر لأمر الله عز وجل ويسـلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته فى الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قبله فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك وقد ذكرت إسناد ذلك فى كتاب النبوة متصلاً بالصادق عليه السلام. انتهى.

وقال الجزائرى فى هامش تفسير القمى:۱/۳۵۱:

قال جدى السـيد الجزائرى رحمه الله فى قصـص الأنبياء: اختلف علماء الإسـلام فى تعيين الذبيح هل هو إسـماعيل أو إسـحاق فذهبت الطائفة المحقة من أصـحابنا وجماعة من العامة إلى أنه اسماعيل والأخبار الصحيحة دالة عليه مع دلالة غيرها من الآيات ودلائل العقل. وذهبت طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق وبه أخبار واردة من الطرفين وطريق تأويلها إما أن تحمل على التقية وأما حملها على ما قاله الصدوق صار ذبيحاً بالنية والتمنى... حمل رحمه الله قول النبى صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) على ذلك.

أقول: إن بعض الروايات المعتبرة كرواية هذا التفسير وغيره آب عن الحمل فإنها مصرحة بذبح إسـحاق حقيقة لا مجازاً وفداه بكبش فعليه لا مجال إلى ما ذهب إليه الصدوق رحمه الله من الحمل فإما أن تحمل هذه الروايات كما قال جدى رحمه الله على التقية أو على تعدد الواقعة. انتهى.

ملاحظة: إن الشـيخ الصدوق رحمه الله صـحت عنده رواية أن الذبيح هو إسماعيل ورواية أنه إسحاق بالمجاز وصحت عنده رواية نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله وقول النبى صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) ففسره بأنه ابن الذبيحين من وجهين: أى من جهة عبد الله واسـماعيل ومن جهـة اسـماعيل وإسـحاق. وقـد صـرح بذلك فى آخر كلامه فى الخصال. ولكن كلامه جاء متداخلاً فالتبس الأمر على الجزائرى وعلى الغفارى وتصوراً أنه يفسره بالوجه الثانى فقط ويرفض الوجه الأول!

وروايته التى اسـتند عليهـا فى أن إسـحاق ذبيـح مجـازى روايـة عاميـة من نوع روايات معاصـره الحاكم النيسابورى. ولو صـحت لتعين ترجيـح الموافق لمذهب أهل البيت (عليهم السـلام) على الموافق لليهود والنواصب. أو حملها كما ذكر السـيد الجزائرى على التقية من الحكام خاصة أن المسألة كانت مطروحة فى دار الخلافة فى المدينة وفى قصور الخلافة فى الشام كما رأيت من رواياتها.

محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل و إسحاق

من لا يحضره الفقيه:۳/۸۹:

روى حمـاد بن عيسـى عمن أخـبره عن حريز عن أبى جعفر عليه السـلام قـال: أول من سـوهم عليه مريم بنت عمران وهـو قـول الله عز وجل: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ والسـهام سـتة ثم استهموا فى يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقعت السـفينة فى اللجة فاسـتهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه

فرمی نفسه.

ثم کان عند عبد المطلب تسعة بنین فنذر فی العاشر إن رزقه الله غلاماً أن یذبحه فلما ولد عبد الله لم یکن یقدر أن یذبحه ورسول الله صلی الله علیه وآله فی صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم علیها وعلی عبد الله فخرجت السهام علی عبد الله فزاد عشراً فلم تزل السهام تخرج علی عبد الله ویزید عشراً فلما أن خرجت مائة خرجت السهام علی الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربی فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت علی الإبل فقال: الان علمت أن ربی قد رضی فنحرها. انتهی.

وقال الأستاذ علی أکبر غفاری فی تعلیقه علی هذا الحدیث:

جاءت هذه القصة فی کثیر من کتب الحدیث من الطریقین، واشتهرت بین الناس وأرسلها جماعة من المؤلفین إرسال المسلمات، ونقلوها فی مصنفاتهم دون أی نکیر، وهی کما تری تضمنت أمراً غریباً بل منکراً لا- یجوز أن ینسب إلی أحد من أوساط الناس والسذج منهم، فضلاً عن مثل عبدالمطلب الذی کان من الأصفیاء وهو فی العقل والکیاسة والفطنة علی حد یکاد أن لا یدانیه أحد من معاصریه، وقد یفتخر النبی صلی الله علیه وآله مع مقامه السامی بکونه من أحفاده وذراریه ویباهی به القوم ویقول:

أنا النبی لا کَذِبْ أنا ابن عبد المطلب

وفی الکافی روایات تدل علی عظمته وجلالته وکمال إیمانه وعقله ودرایته ورئاسته فی قومه، ففی المجلد الأول منه/۴۴۶ فی الصحیح عن زرارة عن أبی عبد الله علیه السلام قال: یحشر عبد المطلب یوم القیامة أمة وحده، علیه سیماء الأنبیاء وهیبة الملوک. یعنی إذا حشر الناس فوجاً فوجاً یحشر هو وحده، لأنه کان فی زمانه منفرداً بدین الحق من بین قومه، کما قاله العلامة المجلسی رحمه الله. وفی حدیث آخر رواه الکلینی أیضاً مسنداً عن الصادق علیه السلام قال: یبعث عبد المطلب أمة وحده علیه بهاء الملوک وسیماء الأنبیاء، وذلک أنه أول من قال بالبداء.

وفی الحسن کالصحیح عن رفاعة عن أبی عبد الله علیها السلام قال: کان عبدالمطلب یفرش له بفناء الکعبة لا یفرش لاحد غیره، وکان له ولد یقومون علی رأسه فیمنعون من دنا منه... إلی أمثالها الکثیر الطیب کلها تدل علی کمال إیمانه وعقله وحصافة رأیه..وإن أردت أن تحیط بذلک خبراً فانظر إلی تاریخ الیعقوبی المتوفی فی أواخر القرن الثالث، وما ذکر من سننه التی سنها وجاء بها الإسلام مثل تحریمه الخمر، والزنا، ووضع الحد علیه، وقطع ید السارق، ونفی ذوات الرایات، ونهیه عن قتل المؤودة، ونکاح المحارم، وإتیان البیوت من ظهورها، وطواف البیت عریاناً وحکمه بوجوب الوفاء بالنذر، وتعظیم الأشهر الحرم، وبالمباهلة بمائة إبل فی الدیة. ثم تأمل کیفیة سلوکه مع أبرهة صاحب الفیل فی تلک الغائلة المهلکة المهدمة، کیف حفظ بحسن تدبیره وسدید رأیه قومه ودماءهم وأموالهم من الدمار والبوار، دون أی مؤونة، وقال: أنا رب الإبل ولهذا البیت رب یمنعه، مع أن الواقعة موحشة بحیث تضطرب فی أمثالها قلوب أکثر السائسین.

فإذا کان الأمر کذلک فکیف یصح أن یقال: إنه نذر أن یذبح سلیله وثمرة مهجته وقرة عینه قربة إلی الله سبحانه، وأن یتقرب بفعل منهی عنه فی جمیع الشرایع، والقتل من أشنع الأمور وأقبحها، والعقل مستقل بقبحه بل یعده من أعظم الجنایات، مضافاً إلی کل ذلک أن النذر بذبح الولد قرباناً للمعبود من سنن الوثنیین والصابئین، وقد ذکره الله تعالی فی جملة ما شنع به علی المشرکین، وقال فی کتابه العزیز بعد نقل جمل من بدعهم ومفتریانهم: وَکَذَلِکَ زَیَّنَ لِکَثِیرٍ مِنَ الْمُشْرِکِینَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَکَاؤُهُمْ لِیُرْدُوهُمْ وَ لِیَلْبِسُوا عَلَیْهِمْ دِینَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا یَفْتَرُونَ. الأنعام: ۱۳۷

وهذا غیر مسألة الوأد المعروف الذی کان بنو تمیم من العرب یعلمون به، فإن المفهوم من ظاهر لفظ الأولاد أعم من المذکور منهم والبنات، والوأد مخصوص بالبنات، وأیضاً غیر قتلهم أولادهم من إملاق أو خشیته، بل هو عنوان آخر یفعلونه علی سبیل التقرب إلی الإلهة.

فإن قیل: لعله کان مأموراً من جانب الله سبحانه کما کان جده إبراهیم علیه السلام مأموراً؟ قلنا: هذا التوجیه مخالف لظاهر الروایات،

فإنه صرح فی جمیعها بأنه نذر مضافاً إلی أنه لو کان مأموراً فلا محیص له عنه ویجب علیه أن یفعله کما أمر، فکیف فداه بالابل ولم لم یقل فی جواب من منعه کما فی الروایات: إنی مأمور بذلک.

وبالجملة فی طرق هذه القصة وما شاکلها مثل خبر (أنا ابن الذبیحین) رواه جماعة کانوا ضعفاء أو مجهولین أو مهملین، أو علی غیر مذهبنا مثل أحمد بن سعید الهمدانی المعروف بابن عقدة، وهو زیدی جارودی أو أحمد بن الحسن القطان، وهو شیخ من أصحاب الحدیث عامی ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضیة،مع أن دأبه أن یتبع مشایخه بها إن کانوا إمامیة، وکذا محمد بن جعفر بن بطة الذی ضعفه ابن الولید وقال: کان مخلطاً فیما یسنده، وهکذا عبد الله بن داهر الأحمری وهو ضعیف کما فی الخلاصة والنجاشی، وأبو قتادة ووکیع بن الجراح وهما من رجال العامة ورواتهم ولا یحتج بحدیثهم إذا کان مخالفاً لاصول المذهب، وإن کانوا یسندون خبرهم إلی أئمة أهل البیت (علیهم السلام).

وإنک إذا تتبعت أسانید هذه القصة وما شابهها ما شککت فی أنها من مفتعلات القصاصین ومخترعاتهم نقلها المحدثون من العامة لجرح عبد المطلب ونسبة الشرک والعیاذ بالله إلیه، رغماً للامامیة حیث أنهم نزهوا آباء النبی صلی الله علیه وآله عن دنس الشرک.

ویؤید ذلک أن کثیراً من قدماء مفسریهم کالزمخشری والفخر الرازی والنیشابوری وأضرابهم، والمتأخرین کالمراغی وسید قطب وزمرة کبیرة منهم، نقلوا هذه القصة أو أشاروا إلیها عند تفسیر قوله تعالی: وَکَذَلِکَ زَیَّنَ لِکَثِیرٍ مِنَ الْمُشْرِکِینَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ، وجعلوا عبد المطلب مصداقاً للایة انتصاراً لمذهبهم الباطل فی اعتقاد الشرک فی آباء النبی صلی الله علیه وآله وأجداده.

قال العلامة المجلسی رحمه الله: اتفقت الإمامیة رضوان الله علیهم علی أن والدی الرسول صلی الله علیه وآله وکل أجداده إلی آدم علیه السلام کانوا مسلمین بل کانوا من الصدیقین إما أنبیاء مرسلین أو أوصیاء معصومین ثم نقل عن الفخر الرازی أنه قال: قالت الشیعة إن أحداً من آباء الرسول صلی الله علیه وآله وأجداده ما کان کافراً. ثم قال: نقلت ذلک عن إمامهم الرازی لیعلم أن اتفاق الشیعة علی ذلک کان معلوماً بحیث اشتهر بین المخالفین.

وإن قیل: لا ملازمة بین هذا النذر وبین الشرک، ویمکن أن یقال إن نذر عبدالمطلب کان لله، وأما المشرکون فنذروا لالهتهم.

قلت: ظاهر الآیة أن النذر بذبح الولد من سنن المشرکین دون الموحدین، فالناذر إما مشرک أو تابع لسنن الشرک وجلّت ساحة عبد المطلب أن یکون مشرکاً والعیاذ بالله أو تابعاً لسنن المشرکین، والإصرار بتصحیح أمثال هذه القصص مع نکارتها کثیراً ما یکون من الغفلة عما جنته ید الإفتعال.

ثم اعلم أن المصنف رضوان الله تعالی علیه لم یحتج بهذا الخبر فی حکم من الأحکام، إنما أورده فی هذا الکتاب طرداً للباب، ویکون مراده جواز القرعة فقط وهو ظاهر من الخبر. انتهی.

ثم کرر الاستاذ الغفاری رأیه فی:۴/۳۶۸ فقال:

قال المصنف رحمه الله فی الخصال (۲۷/ باب الإثنین) قد اختلفت الروایات فی الذبیح، فمنها ما ورد بأنه اسماعیل لکن اسحاق لما ولد بعد ذلک تمنی أن یکون هو الذی أمر أبوه بذبحه فکان یصبر لأمر الله ویسلم له کصبر أخیه وتسلیمه، فینال بذلک درجته فی الثواب، فعلم الله عز وجل ذلک من قلبه فسماه بین الملائکة ذبیحاً، لتمنیه لذلک. انتهی.

أقول: علی هذا فالمراد بالذبیحین إسماعیل وإسحاق: أحدهما ذبیح بالحقیقة والآخر ذبیح بالمجاز، مع أن کلیهما لم یذبحا بعد. وتقدم فیه کلام: ۳/۸۹ والإشکال بأن إسحاق کان عما له دون أب ممنوع لأن إطلاق الاب علی العم شایع، وفی روایة سلیمان بن مهران عن الصادق علیه السلام فی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین یرید بذلک العم، لأن قد سماه الله عز وجل أبا فی قوله: أَمْ کُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِیهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَکَ وَإِلَهَ آبَائِکَ إِبْرَاهِیمَ وَإِسْمَاعِیلَ وَإِسْحَاقَ. وکان اسماعیل عم یعقوب فسماه الله فی هذه الموضع أباً، وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: العم والد. فعلی هذا الأصل أیضاً یطرد قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین أحدهما ذبیح بالحقیقة والآخر ذبیح بالمجاز. انتهی.

والجواب على ما ذكره الأستاذ الغفارى:

أولاً: أن الرواية التى استدل بها الصدوق على أن اسحاق ذبيحٌ أيضاً مجازاً، عامية ضعيفة، وقد ضعف سندها الأستاذ الغفارى نفسه من حيث لايدرى كما سترى!

ثم إن إطلاق العم على الأب فى اللغة وإن كان أمراً شائعاً، ولكن لا ينطبق على قول القائل (أنا ابن فلان) مفتخراً أو مباهياً، لأن المتبادر منه الإفتخار بعمود نسبه من آبائه وأن منهم ذبيحين قربانين لله تعالى، لا من أعمامه، وإلا لقال: أنا من قوم فيهم ذبيحان أو من آل إبراهيم آل الذبيحين.

كما أن إطلاق اسم الذبيح المجازى على إسحاق أيضاً ضعيف لغةً، لأن كلمة (الذبيح) لا تصدق إلا على من قصدوا ذبحه لله تعالى قصداً عملياً حقيقياً ورضى به، ولو كان يكفى لإطلاقها مجازاً أن الشخص قد أحب ذلك ونواه كما فى إسحاق، لصح أن تطلق على كل آباء النبى أو جلهم، بل على كثير من المؤمنين، لأن أكثر الأنبياء والاوصياء والمؤمنين يحبون مقام إسماعيل وينوون أن لو كانوا مكانه لقبلوا بما قبل به.

فارتكاب المجاز فى معنى الإبن وجعله العم، ثم ارتكاب المجاز فى الذبيح وجعله من يحب أن يكون ذبيحاً.. خلاف الظاهر جداً، وهو يكاد يفرغ الكلمة من هدفها بل من معناها!

ثانياً: لعل الغفارى لم يطلع على تاريخ القربان لله تعالى فى الشرائع الإلهية السابقة، فقد كان عامة الناس يقدمون قرابين من الانعام، وكان من المشروع أن يقدم كبار المؤمنين أحد أولاده قرباناً لله تعالى، وعلى أساسه كان منام إبراهيم صلى الله عليه وآله.. ولم يثبت نسخ هذا التشريع قبل الإسلام.

فالمشركون لم يخترعوا القربان لأوثانهم، وإنما أخذوه من الأديان وجعلوه لآلهتهم المزعومة بدل الله تعالى. وما عابه الله تعالى عليهم من قتلهم أولادهم وتقديمهم إياهم قرابين لآلهتهم، إنما عاب فيه شركهم وتقربهم للأوثان.

ثالثاً: إن وجود عبد المطلب فى مجتمع وثنى يتقرب إلى الأصنام بالقرابين وقد يذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه.. وإعلان عبد المطلب أنه على ملة أبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله، وإحيائه عدداً من سننها، وما جرى فى عهده من حفظ الله تعالى لكعبة إبراهيم فى حادثة الفيل، وإعادة ماء زمزم المفقود على يده... كل ذلك يساعد على فهم نذر عبد المطلب أنه إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً لله تعالى على ملة إبراهيم، ويجعل هذا النذر أمراً طبيعياً مشروعاً فى ذلك الوقت، بل دعوةً لعَبَدَة الأصنام أن يعبدوا رب البيت رب إبراهيم، ويقدموا له قرابينهم، ولا يقدموها لأصنامهم.

أما لماذا نذر عبد المطلب ذلك، ولماذا عزم على تنفيذ نذره جدياً فشاور أولاده فأطاعوه، وأقرع بينهم فرست القرعة على عبدالله، وقال لأبيه كما قال إسماعيل.. ثم كيف تحلل من عبد المطلب من نذره بطريقة القرعة بين ذبح ولده أو نحر الإبل.. فهى إشكالات واردة. وجوابها: أنها واردة على شريعتنا لا على شريعة إبراهيم وعبد المطلب. وهى واردة عندنا لعدم معرفتنا بتفاصيل الحادث وبالمستند الشرعى الذى استند عليه عبد المطلب فى نذره وطريقة وفائه به.

ولكن معرفتنا بشخصية عبد المطلب وإيمانه العميق، تكفى للقول بأنه لم يكن يقدم على نذره ثم على التحلل منه بالقرعة إلا بحجة بينة من ربه تعالى.

ويكفينا لإثبات هذه الصفة فى شخصيته، حادثتا زمزم والفيل حيث ظهر للناس على نحو اليقين أنه كان يتلقى أوامره من ربه عز وجل!

فما المانع أن تكون قصة نذر ولده من هذه الإلهامات، خاصة أن الولد الذى رست عليه القرعة هو والد النبى صلى الله عليه وآله الذى أعطاه الله تعالى ما أعطى جده إسماعيل من شرف الرضا بأن يذبحه أبوه قرباناً لله تعالى، ثم فداه الله بطريقة ألهمها لأبيه ليعطيه شرف أبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

هذا، وقد روى الدكتور شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى/۴۱ ط دار المعارف المصرية، أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة

المعاصر لعبد المطلب، والذی کان أعظم ملک وثنی فی العرب، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملک الغساسنة النصرانی فی حربه معه، فذبحه قرباناً للعزی!!

فلعل نذر عبد المطلب أن یذبح واحداً من أولاده لرب البیت سبحانه، کان تعزیزاً لدین ابراهیم، ورداً علی عمل المنذر، وإبطالاً لتأثیر عمله فی تعزیز مکانة صنم العزی!

وأخیراً، فإن نذر عبد المطلب رضوان الله علیه لم یکن ارتجالاً ـ بل امتد وقته طویلاً ـ فقد ذکرت الروایات أنه کان فی أیام رؤیته الصادقة فی حفر زمزم، وکان له ولدٌ واحدٌ، فنذر إن رزقه الله عشرة أولاد وکبروا أن یذبح واحداً منهم قرباناً لله تعالی.. وقد یکون نذره تحقق بعد عشرین سنة أو ثلاثین!

رابعاً: إن خصوم عبد المطلب أحرص الناس علی أن یجدوا له مذمة أو منقصة، وقد رأیت فی روایة الحاکم المتقدمة أن معاویة ذکر نذر عبد المطلب، وأنه کان نذراً لله تعالی مرتبطاً بأمر الله له بحفر زمزم (قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ینحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بینهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنی مخزوم وقالوا: أرضِ ربک وافدِ ابنک).

فقد کان الأمر بحفر زمزم أمراً من الله تعالی وقد انکشفت صحته.. وهذا یقرب أن یکون النذر لله تعالی بأمره سبحانه، ویشیر إلیه أن عبد المطلب أخذ أولاده العشرة إلی داخل الکعبة وأقرع بینهم فخرجت القرعة علی عبد الله ورضی عبد الله بها واستعد للذبح مختاراً، وقرر عبد المطلب تنفیذ ذلک کما قرر جده إبراهیم..ولکن أسرته ومحبیه من قریش وأخوال عبد الله طلبوا منه أن یرضی ربه بفدائه، فتریث عبد المطلب یومه حتی أمره الله بطریقته التی کان یتلقی بها أن یقرع بین عبد الله وبین فدائه من الإبل، ویزید فی عدد الفداء حتی تخرج القرعة علیه فیفدیه به.

إنه لو کان فی عمل عبد المطلب منقصة لشنعوا بها علیه، ولکنها کرامة زادت من مکانته فی حیاته، وذکرت له باحترام وإجلال حتی من أعدائه بعد وفاته.

بل زادت من تفکیر الناس الوثنیین بإله إبراهیم وعبد المطلب، وهیأتهم للدعوة إلی عبادته بدل أصنامهم.

خامساً: لقد وقع الغفاری فی اشتباهین کبیرین: أولهما أنه جعل سند روایة الذبیح المجازی لروایة نذر عبد المطلب وضعفها بسببه! فإن ابن داهر وأبا قتادة ووکیع لم یردوا فی سند روایة النذر عن الإمام الرضا علیه السلام، بل وردوا فی روایة أن الذبیح المجازی إسحاق! وقد التبس الأمر علیه لأن الصدوق ذکر مضمونها قبل سندها، فیکون الأستاذ الغفاری قد ضعف دلیله متصوراً أنه ضعف روایة نذر عبد المطلب! ولیس فی روایة النذر ممن ضعفهم الغفاری إلا ـ القطان الذی قال فیه (ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضیة) فإن کان هذا مستنده فی التضعیف فقد قال فی طرائف المقال/۱۵۵ عن القطان هذا (کثیراً ما یروی عنه الصدوق مترضیاً)!

ولو سلمنا ضعفه، فإن روایته المعتضدة بالشهرة التی سنذکر طرفاً منها والمخالفة للیهود والخط القرشی المعادی لعبد المطلب، والمؤیدة بتصحیح عدد من العلماء منهم الصدوق.. لهی جدیرة بالقبول.

والإشتباه الثانی الذی وقع فیه الاستاذ الغفاری أنه حسب أن روایة الإمام الصادق علیه السلام تتعلق بإطلاق الاب علی العم وترتبط بموضوع الذبیحین، مع أنها لا علاقة لها بالعم والأب، وإنما استشهد الصدوق علی ذلک بالآیة وبقول النبی صلی الله علیه وآله: العم أب. ویتضح الأمر من ملاحظة النص بتمامه وهو فی الخصال للصدوق کما یلی:

قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعید الکوفی قال: حدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضال عن أبیه قال: سألت أبا الحسن علی بن موسی الرضا (علیهما السلام) عن معنی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین قال: یعنی إسماعیل بن إبراهیم الخلیل (علیهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعیل فهو الغلام الحلیم الذی بشر الله به إبراهیم: فلما بلغ معه السعی قال یا بنی إنی أری فی المنام أنی أذبحک فانظر ماذا تری قال یا أبت

افعل ما تؤمر (ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت) ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل فى سواد ويشرب فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد ويبول ويبعر فى سواد وكان يرتع قبل ذلك فى رياض الجنة أربعين عاماً وما خرج من رحم أنثى وإنما قال الله عز وجل له كن فكان ليفدى به إسماعيل فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفى الله لى فلافين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبدالمطلب يبكين ويصحن فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل فى قتل ابنك: قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة قالت: إعمد إلى تلك السوائم التى لك فى الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبدالمطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل فلما كان فى الثالث اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذى كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب وأمر عبدالمطلب أن تنحر الابل بالحسرة ولا يمنع أحد منها وكانت مائة.

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل فى الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء وسن الدية فى القتل مائة من الإبل وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وسمى زمزم لما حفرها سقاية الحاج ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبى صلى الله عليه وآله بالإنتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان فى قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين.

والعلة التى من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هى العلة التى من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهى كون النبى صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام) فى صلبهما فببركة النبى والأئمة صلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة فى الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة.

قال مصنف هذا الكتاب أدام الله عزه: قد اختلف الروايات فى الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذى أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته فى الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فسماه الله عز وجل بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك. وحدثنا بذلك محمد بن على البشارى القزوينى (رض) قال: حدثنا المظفر بن أحمد القزوينى قال: حدثنا محمد بن جعفر الكوفى الأسدى عن محمد بن إسماعيل البرمكى عن عبدالله بن داهر عن أبى قتادة الحرانى عن وكيع بن الجراح عن سليمان بن مهران عن أبى عبدالله الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام).

وقول النبى صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم لأن العم قد سماه الله عز وجل أبا فى قوله أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وآله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. وكان إسماعيل عم يعقوب فسماه الله فى هذا الموضع أبا وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: العم والد.

فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبى صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والاخر ذبيح بالمجاز واستحقاق الثواب على النية والتمنى فالنبى صلى الله عليه وآله هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه. انتهى.

وأورده فى البحار:۱۲/۲۲ عن العيون والخصال.

وفى هذا النص أمور متعددة تكفى للرد على رأى الاستاذ الغفارى حفظه الله فى إنكار قصة نذر عبد المطلب.. ومن هذه الأمور أن الصدوق حكم بصحة الرواية من عنوانها الذى وضعه لها.

ومنها قوة حجج الإمام الرضا عليه السلام فيها وسنذكر بعضها.

ومنها أن الصدوق قبل تفسير الذبيحين بعبد الله واسماعيل من وجه، وبإسماعيل وإسحاق من وجه آخر، كما صرح فى آخر كلامه.

والواقع أن نقطة الضعف الوحيدة فيها هى اعتماد الصدوق رحمه الله على رواية الذبيح بالمجاز العامية.. والتى ضعفها الغفارى، والحمد لله!

سادساً: ولو أن المحقق الغفارى تأمل فى قول الإمام الرضا عليه السلام فى رواية الصدوق (ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيهٌ بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل، لما افتخر النبى صلى الله عليه وآله بالإنتساب إليهما لاجل أنهما الذبيحان فى قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين.

والعلة التى من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هى العلة التى من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهى كون النبى صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام) فى صلبهما.. فببركة النبى والأئمة صلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة فى الناس بقتل أولادهم) لعرف أن إشكاله على نذر عبد المطلب يرد بعينه على إبراهيم صلى الله عليه وآله لأنهما عملان من نوع واحد، غاية الأمر أن إبراهيم أمر بالذبح فى المنام وأمر بالفداء بالوحى. ومادام عبد المطلب لانعرف كيف أمر بنذر الذبح والفداء، ولكن نعرف أنه حجة وعمله صحيح، ولا بد أنه كان عنده حجة شرعية على نذره وفدائه.

وحينئذ فما يجاب به عن عمل إبراهيم، يجاب به عن عمل عبد المطلب بلا فرق، فلا معنى لاستظهار أن ذبح الولد كان من عادات المشركين، ولا معنى للقول بأنه لو كان عبد المطلب نذر ذلك فلماذا لم يقدم عليه... الخ.

سابعاً: إن ما ذكره حفظه الله من ملاحظات روائية ليس شاملاً ـ ولا مقنعاً، والظاهر أنه لم يطلع على مصادر رواية (أنا ابن الذبيحين) وطرقها، واشتهارها عند الشيعة من العصر الأول، بل عند السنة أيضاً حتى أن فقهاءهم أخذوا بها، وإن لم يأخذ بها أهل صحاحهم، وممن صححها من الاحناف أبو بكر الكاشانى فى بدائع الصنائع:۵/۸۵ قال (ودليل ما قلنا الحديث وضرب من المعقول. أما الحديث فقول النبى عليه الصلاة والسلام: أنا ابن الذبيحين أراد أول آبائه من العرب وهو سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام وآخر آبائه حقيقة وهو عبدالله بن عبد المطلب سماهما عليه الصلاة والسلام ذبيحين ومعلوم أنهما ما كانا ذبيحين حقيقة فكانا ذبيحين تقديراً بطريق الخلافة لقيام الخلاف مقام الأصل. انتهى.

وقال ابن كثير فى السيرة النبوية:۱/۱۸۴:

(وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثانى المفدى بمائة من الإبل كما تقدم). انتهى.

وفى اطمئنانى أن المتتبع يجد لهذا الحديث طرقاً أخرى سواء فى مصادرنا أو فى مصادر السنيين، ويجد المزيد ممن صححه من علماء الفريقين.

اول من يكسى كسوة الجنة

ذكرت بعض الروايات أن الناس يخرجون من قبورهم عرياً يوم القيامة ثم يكسون على حسب عملهم. ولكن الظاهر أن المقصود بحديث أول من يكسى هنا ليس الكسوة من العرى، بل كسوة الجنة كما ورد فى النص.

وقد ادعى اليهود أن إبراهيم أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة..ولا أظن أن هذه المسألة كانت مطروحة فى ثقافتهم، ولكن لما رأوا المسلمين يروون عن نبيهم صلى الله عليه وآله أنه رئيس المحشر، والشفيع الأول، وخطيب الأنبياء، وأول من يكسى يوم

القيامة..ادعى اليهود أن أول من يكسى إبراهيم، وروى ذلك أحبارهم الذين أسلموا (؟) عن رسول الله صلى الله عليه وآله!! وأخذها عنهم من أخذها من الرواة فدخلت فى مصادر المسلمين وثقافتهم، وساعد عليها أن إبراهيم هو جد النبى صلى الله عليهما وآلهما، وأن من المعقول أن يكون إكرام الله تعالى للجد قبل إكرام الابن.

وقد اختار البخارى أن أول من يكسى إبراهيم وليس محمداً صلى الله عليهما وآلهما!قال فى صحيحه:۴/۱۱۰:

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى(ص)قال: إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناسا من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابى أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم! فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم. انتهى.

ورواه أيضاً فى:۴/۱۴۲ وروته بقية الصحاح وغيرها بألفاظ متقاربة مثل الترمذى فى:۴/۳۸ والنسائى:۴/۱۱۷ والدارمى:۲/۳۲۵ وفيه (فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى: إكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره)

وروى نحوه فى أحمد:۱/۳۹۸ ورواه أيضاً موجزاً فى:۱/۲۲۳ وص ۲۲۹ ورواه السيوطى فى الدر المنثور:۱/۱۱۶ عن أبى نعيم فى الحلية وابن أبى شيبة وأحمد. ورواه فى:۲/۲۳۱ عن البيهقى فى الأسماء والصفات، وفى:۴/۱۹۷ عن أحمد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن مسعود

ورواه فى:۳/۲۸۴:

وفيه من تجسيمات اليهود لله تعالى (قال ذاك يوم ينزل الله فيه على كرسيه يئط فيه كما يئط الرحل الجديد من تضايقه وهو كسعة ما بين السماء والأرض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلى).

وقد حاول القسطلانى فى إرشاد السارى:۵/۳۴۳ أن يخفف من وقع الحديث على المسلمين فقال (ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هنا أفضليته على نبينا (ص) لأن حلة نبينا (ص) أعلى وأكمل وكم لنبينا (ص) من فضائل مختصه به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعه العظمى لكفى). انتهى.

ولعل القسطلانى رأى أن اليهود أخذوا الشفاعة فى الموحدين من نبينا صلى الله عليه وآله وأعطوها لإسحاق عليه السلام! وصارت حديثاً صحيحاً على شرط الشيخين كما تقدم فى مستدرك الحاكم!

ومن المؤكد أنه رأى الأحاديث التى تنفى أن تكون الشفاعة خصوصيةً لنبينا صلى الله عليه وآله، ورأى الروايات التى تفضل أنبياء بنى اسرائيل حتى يونس ويحيى على نبينا صلى الله عليه وآله، لأن البخارى رواها وشرحها القسطلانى وفسرها!

والذى يدخل فى بحثنا هنا أن نعرف لماذا وافقت الحكومة القرشية اليهود من فى تقديمهم إبراهيم على نبينا صلى الله عليه وآله فى الكسوة وفى الشفاعة، وتبناها رواتهم؟!

يتوقف الجواب على التأمل فى النص الذى روته صحاحهم، فقد تضمن موضوعين: أولهما أن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم. والثانى أن بعض الصحابة يؤمر بهم إلى النار، لانهم انحرفوا وكفروا بمجرد وفاة النبى صلى الله عليه وآله. ولم يبين الحديث العلاقة بين الموضوعين! وبما أن النبى صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد وقد أوتى جوامع الكلم، وكلامه دائماً مترابط.. فلا بد أن تكون فى الحديث حلقة مفقودة.. عن عدم كسوة بعض الصحابة مثلاً فما هى!

هذه الحلقة تجدها فى مصادر السنيين مجزأة، ولكنك تجدها فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) مجتمعة، لأنها تذكر نص النبى صلى الله عليه وآله على أن علياً يوم القيامة هو أول ينشق عنه قبره بعد النبى صلى الله عليه وآله وهو أول من يصافحه، وهو أول من يكسى بعده، وهو حامل لوائه لواء الحمد، وهو وزيره فى المحشر، وهو الساقى على حوض النبى صلى الله عليه وآله

قال القاضى النعمانى فى شرح الأخبار:۲/۴۷۵:

فی حدیث وصیة النبی صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام: یا علی أنا أکرم ولد آدم ولا فخر، ولیس بینی وبین ربی حجاب إلا النور، وأول من یکسی کسوة الجنة ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الکلام ولا فخر، وأول من یؤذن له فی السجود ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الشفاعة ولا فخر، وأول من یسعی نوره أمامه ولا فخر.

وقال الصدوق فی من لا یحضره الفقیه:۴/۳۷۴:

یا علی: إن الله تبارک وتعالی أعطانی فیک سبع خصال: أنت أول من ینشق عنه القبر معی، وأنت أول من یقف علی الصراط معی، وأنت أول من یکسی إذا کسیت، ویحیی إذا حییت، وأنت أول من یسکن معی فی علیین، وأنت أول من یشرب معی من الرحیق المختوم الذی ختامه مسک. انتهی. ورواه فی الخصال/۳۴۲

وروی محمد بن عباس فی تأویل الآیات:۲/۶۵۷:

یا علی أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من یحیی محمد ثم أنت، وأول من یکسی محمد ثم أنت. فانکب علی علیه السلام ساجداً وعیناه تذرفان بالدموع. انتهی.

وقال ابن شهر آشوب فی مناقب آل أبی طالب:۳/۲۶: قال الحمیری:

یدعو النبی فیکسوه ویکرمه رب العباد إذا ما أحضر الأمم

ثم الوصی فیکسی مثل حلته خضراء یرغم منها أنف من رغم

وله أیضاً:

علیٌّ غداً یدعی ویکسوه ربه ویدنوه منه فی رفیع مکرم

فإن کنت منه حیث یکسوه راغماً وتبدی الرضی کرهاً من الان فارغم

وقال أعرابی:

إن رسول الله یعطی لوا ء الحمد علیاً حین یلقاه

یدعی فیعطی کسوة المصطفی وعن یمین العرش مثواه. انتهی.

فحدیث الکسوة یوم القیامة فیه إذن سهم لعلی علیه السلام، فلا عجب إذا قفزت عنه قبائل قریش.

لکن السهم الأکبر لعلی والاخطر علی قریش أنه هو الساقی علی حوض النبی صلی الله علیه وآله وهو الذی یذود الذین قال عنهم البخاری (وإن أناساً من أصحابی یؤخذ بهم ذات الشمال) وقال عنهم فی:۸/۸۶ (قال أنا علی حوضی انتظر من یرد علی فیؤخذ بناس من دونی فأقول أمتی فیقول لا تدری مشوا علی القهقری). انتهی.

وقال عنهم مسلم فی:۷/ ۶۸ ـ ۷۰ (قال رسول الله (ص) أنا فرطکم علی الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن علیهم، فأقول یارب أصحابی أصحابی! فیقال إنک لا تدری ما أحدثوابعدک!!... قال لاذودن عن حوضی رجالاً کما تذاد الغریبة من الإبل) ونحوه فی:۱/ ۱۵۰

وقد صرحت أحادیث أخری بأن الذائد عن حوض النبی صلی الله علیه وآله هو علی علیه السلام، من ذلک ما رواه الحاکم وصححه قال فی:۳/۱۳۸:

عن علی بن أبی طلحة قال: حججنا فمررنا علی الحسن بن علی بالمدینة ومعنا معاویة بن حدیج فقیل للحسن إن هذا معاویة بن حدیج الساب لعلی فقال علی به فاتی به فقال أنت الساب لعلی فقال: ما فعلت فقال والله إن لقیته وما أحسبک تلقاه یوم القیامة لتجده قائماً علی حوض رسول الله صلی الله علیه وآله یذود عنه رایات المنافقین بیده عصا من عوسج! حدثنیه الصادق المصدوق صلی الله علیه وآله وقد خاب من افتری. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه. انتهی.

وروی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/ ۴۰۸ ح ۸۳۱۴ عن أبی سعید:

یا علی أنت یوم القیامة بیدک عصاً من الجنة تذود بها المنافقین!!

وروی فی مناقب آل أبی طالب:۲/۱۲-۱۴ عن الفائق للزمخشری:

أن النبی قال لعلی: أنت الذاید عن حوضی یوم القیامة، تذود عنه الرجال کما یذاد الأصید. البعیر الصادی أی الذی به الصید والصید داء یلوی عنقه.

ونقل فی المناقب قول حسان بن ثابت:

له الحوض لا شک یحبی به فمن شاء أسقی برغم العدی

ومن ناصبَ القوم لم یسقه ویدعو إلی الورد للأولی

وقول الحمیری:

أؤمل فی حبه شربةً من الحوض تجمع أمناً ورَیَّ

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنی السعید وذاد الشقی

متی یدن مولاه منه یقل رِدِ الحوض واشرب هنیئاً مری

وإن یدن منه عدوٌّ له یذده علی مکاناً قصیا. انتهی.

وعلی هذا فذکر کسوة النبی صلی الله علیه وآله أولاً وعلی ثانیاً علیه السلام، وأنه یذود الصحابة المنحرفین عن الحوض، حدیث لیس فی مصلحة القرشیین، لأن معناه أن موقف علی هو الصحیح وموقف من یعارضه خطأ..فالأسلم لهم الأخذ بحدیث یکسی إبراهیم أولاً والنبی ثانیاً، لأنه لیس فیه ذکر لعلی!

وهکذا التقت مصلحة قریش مع مصلحة الیهود.. وصار حدیث کعب الأحبار أسلم طریق للتخلص من علی بن أبی طالب حتی لو صححه الحاکم، ولم یروه الشیخان!

وهکذا یدون الخلفاء السنة، کما یکتب الحکام التاریخ!!

شفاعة الملائکة والأنبیاء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

قال الحمیری فی قرب الاسناد/۶۴:

عن مسعدة بن صدقة قال: حدثنی جعفر بن محمد عن أبیه عن آبائه: أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: ثلاثة یشفعون إلی الیوم القیامة فیشفعهم: الأنبیاء، ثم العلماء، ثم الشهداء. انتهی.

ورواه فی مستدرک الوسائل:۱۱/۲۰ وتفسیر نور الثقلین:۵/۲۶۴

من لا یحضره الفقیه:۴/۳۹۹:

إذا کان یوم القیامة جمع الله عز وجل الناس فی صعید واحد، ووضعت الموازین فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فیرجح مداد العلماء علی دماء الشهداء.

علل الشرائع للصدوق:۲/۳۹۴:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إذا کان یوم القیامة بعث الله عز وجل العالم والعابد، فإذا وقفا بین یدی الله عز وجل قیل للعابد: انطلق إلی الجنة، وقیل للعالم قف تشفَّع للناس بحسن تأدیبک لهم.

تفسیر الإمام العسکری ۷/۳۴۴:

وقال على بن موسى الرضا (عليهما السلام): يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك، فادخل الجنة. إلا- إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفر عليهم نعم جنان الله، وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادى لضعفاء محبيه وموالیه، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيدخل الجنة ومعه فئاماً وفئاماً حتى قال عشراً، وهم الذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمن أخذ عنه، إلى يوم القيامة، فانظروا كم فرقُ ما بين المنزلتين!

وروى المجلسى فى البحار حديثاً يدل على أن العالم الذى يشفع يوم القيامة ليس من العلماء السبعة المذمومين.. قال فى بحار الأنوار ۸/۳۰۷: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك فى الدرك الاسفل من النار.

ومن العلماء من إذا وعظ أنف، وإذا وعظ عنف، فذاك فى الدرك الثانى من النار.

ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروة، ولا يرى له فى المساكين، فذاك فى الدرك الثالث من النار.

ومن العلماء من يذهب فى علمه مذهب الجبابرة والسلاطين، فإن رد عليه شئ من قوله أو قصر فى شئ من أمره غضب، فذاك فى الدرك الرابع من النار.

ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه، فذاك فى الدرك الخامس من النار.

ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلونى ولعله لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلفين، فذاك فى الدرك السادس من النار.

ومن العلماء من يتخذ علمه مروءً وعقلاً، فذلك فى الدرك السابع من النار (نقلاً عن الخصال:۲/۷).

وفى تفسير التبيان:۹/۶۵:

وقوله: ماللظالمين من حميم ولا- شفيع يطاع، نفىٌ من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلاً، وإن حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون إنما أراد نفى شفيع يطاع، وليس فى ذلك نفى شفيع يجاب، ويكون المعنى: إن الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه، لا أنه يجب على الله أن يطيعهم فيه.

تفسير التبيان:۹/۴۲۹:

قوله تعالى: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى... يقول الله تعالى مخبراً بأن كثيراً من ملائكة السموات لا تغنى شفاعتهم، أى لا تنفع شفاعتهم فى غيرهم بإسقاط العقاب عنهم شيئاً، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك ويرضى ذلك.

وقيل: إن الغرض بذلك الإنكار على عبدة الأوثان وقولهم إنها تشفع لا الملك، إذا لم تغن شفاعته شيئاً فشفاعة من دونه أبعد من ذلك. وفى ذلك التحذير من الإتكال على الشفاعة لأنه إذا لم تغن شفاعة الملائكة كانت شفاعة غيرهم أبعد من ذلك.

ولا ينافى ما نذهب إليه من أن النبى صلى الله عليه وآله والأئمة والمؤمنين يشفعون فى كثير من أصحاب المعاصى فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأن هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا بإذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فيه، فالزجر واقع موقعه.

تفسير التبيان:۷/۲۰۹:

قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا. يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِىَ لَهُ قَوْلا... أخبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعة أحد فى غيره، إلا شفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضى قوله فيها، من الأنبياء والأولياء والصديقين والمؤمنين.

مجمع البحرين:۴/۴۶۷:

وفی الحدیث: الساعی بین الصفا والمروة تشفع له الملائکة بالإیجاب، أی القبول، یعنی أن الله تعالی یثبت لهم الشفاعة.

دعائم الإسلام:۱/۳۴۳:

روینا عن رسول الله (ص) أنه قال: کل مؤمن من أمتی صدیق شهید، ویکرم الله بهذا السیف من شاء من خلقه، ثم تلا قول الله عز وجل: وَالَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

دعائم الإسلام:۱/۲۱۷:

وعن علی علیه السلام أنه قال: المریض فی سجن الله ما لم یشک إلی عواده، تمحی سیئآته. وأی مؤمن مات مریضاً مات شهیداً، وکل مؤمن شهید، وکل مؤمنة حوراء، وأی میتة مات بها المؤمن فهو شهید، وتلا قول الله جل ذکره: والذین آمنوا بالله ورسله أولئک هم الصدیقون والشهداء عند ربهم.

من مصادر السنیین

تاریخ البخاری:۹/۳۷:

عن أبی بکرة عن النبی(ص)قال: یحمل الناس علی الصراط یوم القیامة فیتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش فی النار: ثم یؤذن للملائکة والنبیین والشهداء والصالحین فیشفعون، ویخرجون فیشفعون ویرجون فیشفعون فیجابون.

سنن النسائی:۲/۲۲۹:

عن عطاء بن یزید قال کنت جالساً إلی أبی هریرة وأبی سعید فحدث أحدهما حدیث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتی الملائکة فتشفع وتشفع الرسل، وذکر الصراط قال قال رسول الله (ص): فأکون أول من یجیز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بین خلقه، وأخرج من النار من یرید أن یخرج، أمر الله الملائکة والرسل أن تشفع فیعرفون بعلاماتهم أن النار تأکل کل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فیصب علیهم من ماء الجنة، فینبتون کما تنبت الحبة فی حمیل السیل.

سنن ابن ماجة:۲/۷۲۴:

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله (ص): یشفع یوم القیامة ثلاثة: الأنبیاء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

ورواه البیهقی فی شعب الإیمان:۲/۲۶۵ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۴۲۸ وکنز العمال:۱۰/۱۵۱ وتهذیب الکمال:۲۲/۵۵۱ وتهذیب التهذیب:۸/۱۹۵ ومجمع الزوائد:۱۰/۳۸۱ راجع أیضاً سنن البیهقی:۹/۱۶۴

سنن الترمذی:۴/۴۶:

عن أبی سعید أن رسول الله(ص)قال: إن من أمتی من یشفع للفئام من الناس، ومنهم من یشفع للقبیلة، ومنهم من یشفع للعصبة، ومنهم من یشفع للرجل حتی یدخلوا الجنة. هذا حدیث حسن.

مسند أحمد:۳/۲۰:

عن أبی سعید الخدری عن النبی(ص)قال قد أعطی کل نبی عطیة فکل قد تعجلها وإنی أخرت عطیتی شفاعة لأمتی، وإن الرجل من أمتی لیشفع للفئام من الناس فیدخلون الجنة، إن الرجل لیشفع للقبیله وإن الرجل لیسشفع للعصبة، وإن الرجل لیشفع للثلاثة، وللرجلین، وللرجل.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰:

باب شفاعة الصالحین. وعن أبی برزة قال سمعت رسول الله(ص)یقول: إن من أمتی لمن یشفع لأکثر من ربیعة ومضر وإن من أمتی لمن یعظم للنار حتی یکون رکناً من أرکانها. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن أنس بن مالک قال قال رسول الله (ص): إن الرجل لیشفع للرجلین والثلاثة. رواه البزار ورجاله رجال الصحیح.

وعن أنس عن رسول الله(ص)قال: سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أصيب من الله خيراً وإن سقيته مائى لأموتن فاتكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذى به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان أما تعرفنى قال فيقوب من أنت قال أنا فلان الذى آثرتك على نفسى يوم المفازة قال فيقول بلى أعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويجى حتى يقف ويدعو ربه فيقول يا رب قد تعرف يده عندى وكيف آثرنى على نفسه يا رب هبه لى قال فيقول: هو لك ويأخذ بيده فيدخله الجنة. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ظلال القسملى قد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد.

فردوس الأخبار للديلمى:۱/۳۹۶:

ابن عباس: إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد: أدخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم هاهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت، فقام مقام الأنبياء. ورواه فى كنز العمال:۱۰/۱۳۶ وص ۱۷۳ وص ۲۵۶

مجمع الزوائد:۵/۲۹۳:

قال رسول الله (ص): إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال: أن يغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجه من الحور العين، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه. رواه أحمد هكذا قال مثل ذلك، والبزار والطبرانى إلا أنه قال سبع خصال وهى كذلك، ورجال أحمد والطبرانى ثقات.

وعن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): الشهيد يغفر له فى أول كل دفقة من دمه، ويزوج حوراوين ويشفع فى سبعين من أهل بيته، والمرابط إذا مات فى رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وأتى عليه ريح برزقه، ويزوج سبعين حوراء، وقيل له قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب ـ قلت روى ابن ماجة بعضه ـ رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه بكر بن سهل الدمياطى، قال الذهبى مقارب الحديث وضعفه النسائى. انتهى. وروى عدداً من هذه الروايات فى مجمع الزوائد ۲/۹۸ وص ۱۱۵ وج ۴/۳۹۸ وص ۴۰۱ وص ۴۰۵ وص ۴۱۰

الدر المنثور:۶/۲۴:

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: عيسى وعزير والملائكة. إلا من شهد بالحق قال كلمة الإخلاص. وهم يعلمون أن الله حق...

وأخرج عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله: إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ، قال: الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم عند الله شفاعة.

الدر المنثور:۴/۹۴:

وأخرج الحاكم فى الكنى عن حماد (رض) قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية: ربما يود الذين كفروا كانوا مسلمين، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

تفسير الطبرى:۲۵/۶۲:

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزيز والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركين لشفاعة عند الله لاحد إلا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه... وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبره أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق.. ويعنى بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه

لهم بهـا، كمـا قال جل ثناؤه: ولا يشـفعون إلا لمن ارتضـى، فأثبت جل ثناؤه للملائكـة وعيسـى وعزيز ملكهم من الشـفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان، باستثنائه الذى استثناه.

تفسير الطبرى:۲۷/۳۷:

وقوله: وكم من ملك فى السـموات لا تغنى شـفاعتهم شيئاً يقول تعالى ذكره: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا، عند الله لمن شـفعوا له شـيئاً إلا أن يشـفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم، بالشـفاعه لمن يشاء منهم أن يشـفعوا له ويرضى، يقول ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم..

تفسير الرازى:۴ جزء ۷/۱۱:

هؤلاء المذكورون فى هذه الآيهٔ (عَلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يحتمل أن يكونوا هم الملائكهٔ وسائر من يشفع يوم القيامه من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين.

الجواهر الحسان للثعالبى:۱/۳۵۱:

فيقول الله عز وجل: شـفعت الملائكـهٔ وشـفع النبيون وشـفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضـهٔ من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط.

الأنساب:۵/۶۲۳:

عن ابن عباس رضـى الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): سـبعهٔ لهم شـفاعهٔ كشفاعهٔ الأنبياء: المؤذن، والإمام، والشهيد وحامل القرآن، والعالم، والمتعلم، والتائب.

ما يوجب أمل المسلم بشفاعهٔ إخوانه المؤمنين له

الكافى:۲/۲۴۸:

عـدهٔ من أصـحابنا عن سـهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمى عن خضـر بن عمرو عن أبى عبد الله عليه السـلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشـروطه التى شـرطها عليه فـذلك مع النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرهٔ.

ومؤمن زلت به قـدم فـذلك كخامهٔ الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ وذلك ممن تصـيبه أهوال الدنيا والآخرهٔ ويشـفع له وهو على خير.

وروى نحوه فى الكافى:۲/۱۸۸ وفى تفسير نور الثقلين:۱/۵۱۴ وج ۴/۲۶۰

الكافى:۶/۳:

محمـد بن يحيى عن أحمـد بن محمـد بن عيسـى عن محمـد بن يحيى عن طلحـهٔ بن زيـد عن أبى عبـدالله عليه السـلام قال: إن أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع فإذا بلغوا اثنتى عشرهٔ سنهٔ كانت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات.

الكافى:۸/۱۰۱:

محمـد بـن يحيى عن أحمـد بن محمـد بن عيسـى عن الحسن بن على بن فضـال عن على بن عقبـهٔ عن عمر بن أبـان عن عبـدالحميد الوابشـى عن أبى جعفر عليه السلام قال... وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنهٔ فيقول: يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنهٔ وماله من حسـنهٔ! وإن أدنى المؤمنين شـفاعهٔ ليشـفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وسائل الشيعهٔ:۸/۴۰۷:

وعن إبراهيم بن الغفارى عن جعفر بن إبراهيم عن جعفر بن محمـد (عليهما السـلام) قال: أكثروا من الأصـدقاء فى الدنيا فإنهم ينفعون

فی الدنیا والآخرة أما فی الدنیافحوائج یقومون بها وأما فی الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ.

وعن أحمد بن إدریس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: استکثروا من الأخوان فإن لکل مؤمن دعوة مستجابة وقال: استکثروا من الأخوان فإن لکل مؤمن شفاعة. وقال: أکثروا من مؤاخاة المؤمنین فإن لهم عند الله یداً یکافئهم بها یوم القیامة.

مستدرک الوسائل:۸/۳۲۳:

وقال علی بن أبی طالب علیه السلام: علیکم بالاخوان فإنهم عدة فی الدنیا والآخرة ألا تسمعون إلی قوله تعالی: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ.

بحار الأنوار:۸/۴۱:

ثواب الأعمال: أبی عن محمد بن یحیی عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبی ولاد عن میسر عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن المؤمن منکم یوم القیامة لیمربه الرجل له المعرفة به فی الدنیا وقد أمر به إلی النار والملک ینطلق به قال: فیقول له: یا فلان أغثنی فقد کنت أصنع إلیک المعروف فی الدنیا وأسعفک فی الحاجة تطلبها منی فهل عندک الیوم مکافاة فیقول المؤمن للملک المؤکل به: خل سبیل قال: فیسمع الله قول المؤمن فیأمر الملک أن یجیز قول المؤمن فیخلی سبیله. (المصدر/۱۶۷)

من مصادر السنیین

تاریخ البخاری:۶/۵۳۳:

روی وکیع عن محمد بن قیس قال: أدنی أهل الجنة منزلة الذی یشفع فی الرجل من أهل بیته.

مسند أبی یعلی:۲/۲۹۲:

حدثنا أبوبکر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زکریا بن أبی زائدة حدثنی عطیة عن أبی سعید عن النبی(ص)قال: من أمتی من یشفع للرجل وأهل بیته فیدخلون الجنة بشفاعته.

فردوس الأخبار للدیلمی:۱/۱۰۵:

أنس بن مالک: أکثروا من المعارف من المؤمنین، فإن لکل مؤمن شفاعة عند الله یوم القیامة.

الدر المنثور:۶/۸:

وأخرج ابن جریر من طریق قتادة عن أبی إبراهیم اللخمی فی قوله: وَیَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قال یشفعون فی إخوان إخوانهم.

تفسیر الطبری:۲۵/۱۸:

قوله تعالی: وَیَزِیدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وقیل إن ذلک الفضل الذی ضمن جل ثناؤه أن یزیدهموه هو أن یشفعهم فی إخوان إخوانهم، إذا هم شفعوا فی إخوانهم فشفعهوا فیهم.

تفسیر الطبری:۲۹/۱۰۵:

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِینَ، یقول فما یشفع لهم الذین شفعهم الله فی أهل الذنوب.. وفی هذه الآیة دلالة واضحة علی أن الله مشفع بعض خلقه فی بعض.

هامش طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۳۴۶:

عن أبی أمامة عن النبی (ص) قال: إن ذراری المسلمین یوم القیامة تحت العرش شافع مشفع.

الإیمان لابن تیمیة/۱۱۵:

أبو الحسن الأشعری نصر قول جهم فی الإیمان مع أنه نصر المشهور من أهل السنة فی أنه یستثنی فی الإیمان فیقول: أنا مؤمن إن شاء

الله لأنه نصر مذهب أهل السنة فی أنه لا یکفر أحد من أهل القبلة ولا یخلدون فی النار وتقبل منهم الشفاعة ونحو ذلک.

فتاوی الالبانی/۲۸۶:

سؤال: هل تارک الصلاة کافر ولا ینفعه أی عمل؟

جواب: نحن قلنا إن إخواننا کانوا یصلون ویصومون إلی آخره، فیأذن الله عز وجل بأن یشفع لهم فیشفعون، ثم یشفعون لوجبة أخری.

شفاعة القرآن، والکعبة، والحجاج، والزوار

و اصناف أخری من الناس...

وردت فی مصادر الفریقین أحادیث عن شفاعة القرآن، وصرح بعضها بأن القرآن یتجسد یوم القیامة علی صورة إنسان وملک نورانی، ویتکلم مع أهل المحشر.

وقد ورد فی أحادیث البعث والقیامة والحساب والجنة والنار، من طرق الجمیع ما یدل علی تجسد القرآن، وتجسد بعض الأعمال، والأمور والأمکنة والأزمنة..

وقد کان هذا الأمر صعب التصدیق بل صعب التصور فی العصور السابقة، أما فی عصر الذرة والجینات فقد عرف الناس حقائق مدهشة من خلق الله تعالی وقوانینه، وصار الإیمان بضبط أعمال الإنسان وتجسدها فی هذه الدنیا أمراً معقولاً فضلاً عن عالم الآخرة!

شفاعة القرآن

فی نهج البلاغة:۲/۹۱:

واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذی لا یغش، والهادی الذی لا یضل، والمحدث الذی لا یکذب.

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزیادة أو نقصان: زیادة فی هدی أو نقصان فی عمی.

واعلموا أنه لیس علی أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنی، فاستشفوه من أدوائکم، واستعینوا به علی لأوائکم، فإن فیه شفاء من أکبر الداء، وهو الکفر والنفاق والغی والضلال.

فاسألوا الله به، وتوجهوا إلیه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلی الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وإنه من شفع له القرآن یوم القیامة شفع فیه، ومن محل به القرآن یوم القیامة صدق علیه، فإنه ینادی مناد یوم القیامة: ألا إن کل حارث مبتلی فی حرثه وعاقبة عمله، غیر حَرَثَةِ القرآن، فکونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه علی ربکم، واستنصحوه علی أنفسکم، واتهموا علیه آراءکم، واستغشوا فیه أهواءکم. العملَ العملِ، ثم النهایة النهایة. انتهی.

وفی الکافی:۲/۵۹۶-کتاب فضل القرآن:

علی بن محمد، عن علی بن العباس، عن الحسین بن عبد الرحمن، عن سفیان الحریری، عن أبیه، عن سعد الخفاف، عن أبی جعفر علیه السلام قال: یا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن یأتی یوم القیامة فی أحسن صورة نظر إلیها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد صلی الله علیه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم، فیأتی علی صف المسلمین فی صورة رجل فیسلَّم، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الحلیم الکریم، إن هذا الرجل من المسلمین نعرفه بنعته وصفته، غیر أنه کان أشد اجتهاداً منا فی القرآن، فمن هناک أعطی من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم یجاوز حتی یأتی علی صف الشهداء، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الرب الرحیم، إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته، غیر أنه من شهداء البحر، فمن هناک أعطی من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال: فیتجاوز حتی یأتی علی صف شهداء البحر فی صورة شهید، فینظر إلیه شهداء البحر فیکثر تعجبهم

يقولون: إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غير أن الجزيره التى أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التى أصبنا فيها، فمن هناك أعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم يجاوز حتى يأتى صف النبيين والمرسلين فى صورة نبى مرسل، فينظر النبيون والمرسلون إليه، فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم، إن هذا النبى مرسل نعرفه بسمته وصفته، غير أنه أعطى فضلاً كثيراً، قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فيقولون ما نعرفه، هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجة الله على خلقه.

فيسلم ثم يجاوز حتى يأتى على صف الملائكة فى سورة ملك مقرب، فتنظر إليه الملائكة فيشتد تعجبهم، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله، ويقولون: تعالى ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائكه نعرفه بسمته وصفته، غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل، مقاماً، فمن هناك ألبس من النور والجمال ما لم نلبس، ثم يجاوز حتى ينتهى إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيخر تحت العرش، فيناديه تبارك وتعالى: ياحجتى فى الأرض وكلامى الصادق الناطق، إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا رب منهم من صاننى وحافظ على ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعنى واستخف بحقى وكذب بى وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى، وارتفاع مكانى لاثيبن عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب.(ورواه فى وسائل الشيعة:۴/۲۱۳)

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنكم فى دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وماحلٌ مصدق، ومن جعله أمامه قادة إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.. فَلْيُجِلْ جَال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشئ المستنير فى الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص. انتهى.

ورواه فى وسائل الشيعة:۴/۲۱۸ وفى تفسير نور الثقلين:۴/۱۳

وفى صحيح مسلم:۲/۱۹۷:

عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله(ص)يقول: إقرؤوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لاصحابه. إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير، صوافٌ تحاجان عن أصحابهما. إقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة. قال معاوية بلغنى أن البطلة السحرة. انتهى. ورواه أحمد فى:۵/۲۴۸ – ۲۴۹

وفى مستدرك الحاكم:۱/۵۵۴:

عن عبدالله بن عمرو (رض) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام رب إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فيشفعان. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه أحمد فى مسنده:۲/۱۷۴ وقال عنه فى مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰: رواه أحمد وإسناده حسن على شعف فى ابن لهيعة وقد وثق. وقال فى عنه الدر المنثور:۱/۱۸۲: وأخرج أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع والطبرانى والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو. ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار: ۲/۵۶۸ ح ۳۶۳۱ وكنز العمال:۸/۴۴۴

وفی مستدرک الحاکم:۱/۵۶۸:

عن معقل بن یسار (رض) قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تکفروا بشئ منه، وما تشابه علیکم منه فردوه إلی الله وإلی أولی الأمر من بعدی کیما یخبروکم.

وآمنوا بالتوراة والإنجیل والزبور، وما أوتی النبیون من ربهم.

ولیسعکم القرآن وما فیه من البیان، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق. ألا ولکل آیة نور یوم القیامة، وإنی أعطیت سورة البقرة من الذکر الأول، وأعطیت طه وطواسین والحوامیم من ألواح موسی، وأعطیت فاتحة الکتاب من تحت العرش. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه. وروی نحوه فی:۳/۵۷۸ ورواه فی کنز العمال:۱/۱۹۰

وفی مسند أحمد:۵/۳۴۸:

عن عبدالله بن بریدة عن أبیه عن النبی صلی الله علیه وآله قال: إن القرآن یلقی صاحبه یوم القیامة حین ینشق عنه قبره کالرجل الشاحب، فیقول له هل: تعرفنی؟ فیقول ما أعرفک! فیقول له: هل تعرفنی؟ فیقول ما أعرفک! فیقول: أنا صاحبک القرآن الذی أظمأتک فی الهواجر، وأسهرت لیلک، وإن کل تاجر من وراء تجارته، وإنک الیوم من وراء کل تجارة، فیعطی الملک بیمینه، والخلد بشماله، ویوضع علی رأسه تاج الوقار، ویکسی والداه حلتین، لا یقوم لهما أهل الدنیا، فیقولان بم کسینا هذه؟ فیقال بأخذ ولدکما القرآن! ثم یقال له: إقرأ واصعد فی درجة الجنة وغرفها، فهو فی صعود ما دام یقرأ هذاً کان أو ترتیلاً. وروی نحوه فی الدر المنثور: ۶/۲۷۷:عن ابن أبی شیبة وابن الضریس عن مجاهد

وفی الدر المنثور:۳/۵۶:

وأخرج ابن أبی شیبة وأحمد فی الزهد، وابن الضریس، ومحمد بن نصر، والطبرانی عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلی الجنة، ومن جعل خلفه ساقه إلی النار. انتهی. وروی نحوه فی کنز العمال:۱/۵۵۲ ونحوه فی:۱/۵۱۶ و۱/۵۱۹ و: ۲/۲۹۲ عن ابن مسعود وکذا فی فردوس الأخبار:۳/۲۸۱ ح ۴۷۱۰ وفی المعجم الکبیر للطبرانی:۹/۱۳۲

وفی کنز العمال:۱۴/۳۹۰:

عن فردوس الأخبار عن أبی هریرة: الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبیکم، وأهل بیته.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۰:

عن أبی هریرة یقول: إقرؤوا القرآن، فإنه نعم الشفیع یوم القیامة، إنه یقول یوم القیامة: یا رب حلِّه حلیةَ الکرامة، فیحلی حلیة الکرامة، یا رب أکسه کسوة الکرامة، فیکسی کسوة الکرامة، یا رب ألبسه تاج الکرامة، یا رب إرض عنه، فلیس بعد رضاک شئ.

عن ابن عمر قال: یجی القرآن یشفع لصاحبه یقول: یا رب لکل عامل عمالة من عمله، وإنی کنت أمنعه اللذة والنوم فأکرمه، فیقال: أبسط یمینک فیملاـ من رضوان الله، ثم یقال أبسط شمالک فیملا من رضوان الله، ویکسی کسوة الکرامة، ویحلی حلیة الکرامة، ویلبس تاج الکرامة.

عن أبی صالح قال: القرآن یشفع لصاحبه فیکسی حلة الکرامة، ثم یقول: رب زده، فیکسی تاج الکرامه، قال فیقول رب زده فآته فآته، یقول: رضائی.

قال أبو محمد: قال وهیب بن الورد: إجعل قراءتک القرآن علماً ولا تجعله عملاً.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۳:

عن ابن مسعود کان یقول: یجیء القرآن یوم القیامة فیشفع لصاحبه، فیکون له قائداً إلی الجنة، ویشهد علیه، ویکون سائقاً به إلی النار.

وفی الدر المنثور:۱/۱۸:

وأخرج أبو عبید وأحمد وحمید بن زنجویه فی فضائل القرآن ومسلم وابن الضریس وابن حبان والطبری وأبوذر الهروی فی فضائله

والحاکم والبیهقی فی سننه عن أبی أمامة الباهلی قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: إقرؤا القرآن فإنه یأتی یوم القیامة شفیعاً لاصحابه. انتهی.

ورواه الطبرانی فی المعجم الکبیر:۸/۱۱۸

وقد بالغ بعضهم فی شفاعة القرآن حتی جعلها أعظم من شفاعة النبی صلی الله علیه وآله! قال السبکی فی طبقات الشافعیه:۶/۳۰۱ نقلاً عن إحیاء الدین للغزالی: ما من شفیع أعظم عند الله منزلة من القرآن!

شفاعة سور القرآن و آیاته

روت مصادر الشیعة والسنة أحادیث کثیرة فی فضل سور القرآن وآیاته، وشفاعتها لمن قرأها أو حفظها أو علمها أو تعلمها أو عمل بها، أو إعطائه حق الشفاعة بسبب ذلک.. ویطول الکلام لو أردنا استعراض هذه الأحادیث لکثرتها وضعف سند بعضها أو متنه.. لذا نکتفی بتقدیم نماذج منها من مصادر الفریقین:

ففی وسائل الشیعة:۴/۱۹۹:

عن أبی بصیر، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقیام بها، فإنها لا تقر فی قلوب المنافقین، وتأتی بها یوم القیامة فی صورة آدمی فی أحسن صورة وأطیب ریح، حتی تقف من الله موقفاً لا یکون أحد أقرب إلی الله منها، فیقول لها: من الذی کان یقوم بک فی الحیاة الدنیا ویدمن قراءتک؟ فتقول: یا رب فلان وفلان، فتبیض وجوههم، فیقول لهم: إشفعوا فیمن أجبتم، فیشفعون حتی لا یبقی لهم غایة ولا أحد یشفعون له، فیقول لهم: أدخلوا الجنة واسکنوا فیها حیث شئتم.

عن أبی عبدالله علیه السلام قال: من قرأ التغابن فی فریضة کانت شفیعة له یوم القیامة، وشاهد عدل عند من یجیز شهادتها، ثم لا یفارقها حتی یدخل الجنة.

وفی تفسیر نور الثقلین:۲/۲:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده إلی أبی عبدالله علیه السلام قال: من قرأ سورة الأعراف فی کل شهر، کان یوم القیامة من الذین لا خوف علیهم ولا هم یحزنون. فلا تدعوا قراءتها، فإنها تشهد یوم القیامة لمن قرأها.

وفی مصباح الکفعمی عنه صلی الله علیه وآله: من قرأها جعل الله بینه وبین إبلیس ستراً، وکان آدم علیه السلام شفیعاً له یوم القیامة.

(ورواه فی فردوس الأخبار: ۴/۳۴ ح ۸ ۵۵۹)

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۵۱:

وعنه صلی الله علیه وآله قال: ومن قرأ سورة الممتحنة، کان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء یوم القیامة.

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۳۵:

وقال صلی الله علیه وآله: من قرأ آیة الکرسی مرة، محی اسمه من دیوان الاشقیاء، ومن قرأها ثلاث مرات، استغفرت له الملائکة، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبیاء، ومن قرأها خمس مرات کتب الله اسمه فی دیوان الابرار، واستغفرت له الحیتان فی البحار ووقی شر الشیطان، ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب النیران، ومن قرأها ثمانی مرات فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرات کفی هم الدنیا والآخرة، ومن قرأها عشر مرات نظر الله إلیه بالرحمة، ومن نظر الله إلیه بالرحمة فلا یعذبه.

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۲۳:

عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن لکل شئ قلباً وقلب القرآن یس، فمن قرأ یس فی نهاره قبل أن یمسی، کان فی نهاره من المحفوظین والمرزوقین حتی یمسی، ومن قرأها فی لیلة قبل أن ینام وکّل به ألف ملک یحفظونه من کل شیطان رجیم، ومن کل آفة وإن مات فی یومه أدخله الله الجنة... ثم یقول له الرب تعالی: إشفع عبدی اشفعک فی جمیع ما تشفع، وسلنی عبدی أعطک جمیع ما

تسأل، فیسأل ویعطی ویشفع فیشفع، ولا یحاسب فیمن یحاسب، ولا یذل مع من یذل، ولا یبکت بخطیئته ولا بشئ من سوء عمله، ویعطی کتاباً منشوراً فیقول الناس بأجمعهم: سبحان الله ما کان لهذا العبد خطیئة واحدة، ویکون من رفقاء محمد صلی الله علیه وآله.

وفی مستدرک الوسائل:۶/۳۵۶:

عن أبی هریرة قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یصلی لیلة السبت أربع رکعات، یقرأ فی کل رکعة الحمد مرة وآیة الکرسی ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مرة، فإذا سلم، قرأ فی دبر هذه الصلاة آیة الکرسی ثلاث مرات، غفر الله تبارک وتعالی له ولوالدیه، وکان ممن یشفع له محمد صلی الله علیه وآله.

وفی سنن ابن ماجة:۲/۵۲۵:

عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: إن سورة فی القرآن، ثلاثون آیة، شفعت لصاحبها حتی غفر له: تَبَارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ.

ورواه أبو داود:۱ ص۳۱۶ والترمذی:۴/۲۳۸ والحاکم:۱/۵۶۵ وأحمد: ۲/۲۹۹ وکنز العمال:۱/۵۸۳ وص ۵۹۴ وفردوس الأخبار: ۲/۴۷۰ ح ۳۳۱۸

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۴:

عن خالد بن معدان قال: إقرؤا المنجیة، وهی أ. ل. م. تَنْزِیلُ، فإنه بلغنی أن رجلاً کان یقرؤها ما یقرأ شیئاً غیرها، وکان کثیر الخطایا، فنشرت جناحها علیه، وقالت: رب اغفر له، فإنه کان یکثر قراءتی، فشفعها الرب فیه وقال: أکتبوا له بکل خطیئة حسنة، وارفعوا له درجة.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۹:

عن سعید بن المسیب یقول إن نبی الله(ص)قال: من قرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عشر مرات بنی له بها قصر فی الجنة، ومن قرأها عشرین مرة بنی له بها قصران فی الجنة، ومن قرأها ثلاثین مرة بنی له بها ثلاثة قصور فی الجنة. فقال عمر بن الخطاب: والله یا رسول الله إذن لنکثرن قصورنا! فقال رسول الله (ص): الله أوسع من ذلک.

وفی الدر المنثور:۶/۲۴۷:

وأخرج الدیلمی عن أنس مرفوعاً قال: یبعث رجل یوم القیامة لم یترک شیئاً من المعاصی إلا رکبها، إلا أنه کان یوحد الله، ولم یکن یقرأ من القرآن إلا سورة واحدة، فیؤمر به إلی النار، فطار من جوفه شئ کالشهاب، فقالت: اللهم إنی مما أنزلت علی نبیک(ص)، وکان عبدک هذا یقرؤنی، فما زالت تشفع، حتی أدخلته الجنة، وهی المنجیة: تبارک الذی بیده الملک.

وفی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم، شفع فی سبع قبور حول قبره، وخفف الله عز وجل عن والدیه، وإن کانا مشرکین. ورواه فی کنز العمال:۱/۵۳۷ ۲۴۰۸ عن ابن أبی داود فی المصاحف والدیلمی.

شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه

فی سنن ابن ماجة:۱/۷۸:

عن علی بن أبی طالب قال قال رسول الله (ص): من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة، وشفعه فی عشرة من أهل بیته، کلهم قد استوجب النار.

ورواه أحمد فی مسنده:۱/۱۴۸ وفی:۱/۱۴۹ عن علی أیضاً، ورواه الترمذی فی:۴/۲۴۵ عن علی علیه السلام أیضاً ورواه البیهقی فی شعب الإیمان: ۲/۳۲۸ وص ۳۲۹ وص ۵۵۲ وکنز العمال:۱/۵۲۱ وروی الخطیب فی تاریخ بغداد:۱۱/۳۹۵ نحوه عن عائشة.

وفی مسند أحمد:۳/۴۴۰:

عن سهل، عن أبيه، عن رسول الله(ص)أنه قال: من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس فى الجنة. ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه، ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس فى بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذى عمل به!

كما روت المصادر ذم من يتعلم القرآن للدنيا، ففى سنن النسائى:۶/۲۳:

عن أبى هريرة فقال له قائل من أهل الشام: أيها الشيخ حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله(ص)قال: نعم سمعت رسول الله(ص)يقول: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرئ فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار!

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم! وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلاـ أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكن ليقال إنه جواد، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه فألقى فى النار!

ورواه الحاكم فى المستدرك: ۱/۱۰۷ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. انتهى.

شفاعة الكعبة لمن زاره

فى الدر المنثور:۱/۱۳۷:

وأخرج ابن مردويه والإصبهانى فى الترغيب والديلمى عن جابر قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة البيت الحرام إلى قبرى، فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول وعليك السلام يا بيت الله، ما صنع بك أمتى بعدى؟ فتقول: يا محمد من أتانى فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتنى فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً.

وروى فى مستدرك الوسائل:۸/۴۰ رواية أخرى فى تجسد الكعبة وشفاعتها أشبه من رواية السيوطى بالإسرائيليات وإن كان موضوعها الكعبة الشريفة! قال:

عن وهب بن منبه أنه قال: مكتوب فى التوراة: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك، ومعهم سلاسل من الذهب ليأتوا بالكعبة إلى عرصات القيامة، فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى موقف القيامة فيقول لها ملك: يا كعبة الله سيرى، فتقول: لا أذهب حتى تقضى حاجتى، فيقول ما حاجتك؟ إلى أن قال ما حاجتك سلى حتى تعطى؟ فتقول: إلهى عبادك العصاة، أتوا إلىَّ من كل فج عميق، شعثاً غبراً وخلفوا أهليهم وأولادهم وبيوتهم، وودعوا أحباءهم وأصحابهم لزيارتى وأداء المناسك كما أمرت، إلهى فاشفع لهم لتؤمنهم من الفزع الأكبر، فاقبل شفاعتى واجعلهم فى كنفى.

فينادى ملك: إن فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب، المستحقين النار! فتقول الكعبة: أنا أشفع فى أهل الكبائر، فيقول الله تعالى: قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك، فينادى ملك: ألا من كان من أهل الكعبة فليخرج من بين أهل الجمع، فيخرج جميع الحاج من بينهم، ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم، يطوفون حول الكعبة، وينادون لبيك، فينادى ملك: يا كعبة الله سيرى، فتسير الكعبة وتنادى: لبيك اللهم لبيك لبيك، إن الحمد والملك والنعمة لك لا شريك لك لبيك، وأهلها يتبعونها. انتهى.

وقد روت المصادر أحاديث فى شفاعة الحجر الأسود أعزه الله تعالى، كالذى فى الدر المنثور:۱/۱۳۶ عن عائشة: قالت: قال رسول الله (ص): أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يأتى يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه. وقد رواه فى مجمع الزوائد:۳/۲۴۲ وفى كنز العمال:۱۲/۲۱۷.

وورد فى مصادر الطرفين أن الحجر الأسود ملكٌ من ملائكة الجنة، وأنه شهد على ميثاق بنى آدم، ثم أنزله الله تعالى مع آدم إلى الأرض، ولا يتسع المجال لبحث ذلك.

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

فی الکافی:۴/۲۵۵:

محمد بن یحیی، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عیسی، عن زکریا المؤمن، عن إبراهیم بن صالح، عن رجل من أصحابنا، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفعوا شفعهم، وإن سکتوا ابتدأهم، ویعوضون بالدرهم ألف درهم. (وفی نسخة ألف ألف درهم) ورواه فی وسائل الشیعة:۸/۶۸ وروی أحادیث متعددد عن استحقاق الجاج للجنة.

وفی من لا یحضره الفقیه:۲/۲۱۷:

ومن حج أربعین حجة قیل له: اشفع فیمن أحببت، ویفتح له باب من أبواب الجنة، یدخل منه هو ومن یشفع له.

وفی وسائل الشیعة:۸/۹۲:

عن زکریا الموصلی کوکب الدم، قال: سمعت العبد الصالح علیه السلام یقول: من حج أربعین حجة، قیل له: إشفع فیمن أحببت، ویفتح له باب من أبواب الجنة، یدخل منه هو ومن یشفع له.

وفی سائل الشیعة:۹/۵۱۲:

وقال علی بن الحسین (علیهما السلام): الساعی بین الصفا والمروة، تشفع له الملائکة، فیشسفع فیه بالإیجاب.

وفی مجمع الزوائد:۳/۲۱۱:

الحاج یشفع فی أربعمائة أهل بیت، أو قال من أهل بیته، ویخرج من ذنوبه کیوم ولدته أمه. ورواه فی کنز العمال:۵/۱۴ وفی الدر المنثور:۱/۲۱۰

وفی ذکر أخبار أصبهان:۱/۱۴۸:

عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): إذا کان عشیة یوم عرفة أشرف الرب عز وجل من عرشه إلی عباده فیقول: یا ملائکتی أنظروا إلی عبادی شعثاً غبراً، قد أقبلوا یضربون إلی من کل فج عمیق، أشهدکم أنی قد شفعت محسنهم فی میسئهم، وأنی قد غفرت لهم جمیع ذنوبهم، إلا التبعات التی بینهم وبین خلقی. قال: فإذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعاً، ثم أتوا منی فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البیت، قال: یا ملائکتی أشهدکم أنی قد شفعت محسنهم فی مسیئهم، وأنی غفرت لهم جمیع ذنوبهم، وأنی قد خلفتهم فی عیالاتهم، وأنی قد استجبت لهم جمیع ما دعوا به، وأنی قد غفرت لهم التبعات التی بینهم وبین خلقی، وعلیَّ رضاء عبادی.

وفی مجمع الزوائد:۳/۲۷۵:

عن أنس بن مالک قال: کنت قاعداً مع رسول الله(ص)فی مسجد منی، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقیف فسلما علیه ودعیا له دعاء حسناً فقالا: یا رسول الله جئنا لنسألک، فقال: إن شئتما أخبرتکما بما جئتما تسألانی عنه فعلت، وإن شئتما أسکت وتسألانی فعلت؟ فقالا: أخبرنا یا رسول الله نزدد إیماناً أو یقیناً ـ الشک من إسماعیل قال لا أدری أیهما قال إیماناً أو یقیناً ـ فقال الأنصاری للثقفی: سل رسول الله(ص)، فقال الثقفی: بل أنت فسله فإنی أعرف لک حقک، فسأله فقال: أخبرنی یا رسول الله.

قال: جئت تسألنی عن مخرجک من بیتک تؤم البیت الحرام، ومالک فیه، وعن طوافک بالبیت وما لک فیه، وعن رکعتیک بعد الطواف ومالک فیهما، وعن طوافک بالصفا والمروة وما لک فیه، وعن وقوفک عشیة عرفة وما لک فیه، وعن رمیک الجمار ومالک فیه، وعن نحرک ومالک فیه، وعن حلقک ورأسک ومالک فیه، وعن طوافک بالبیت بعد ذلک یعنی طواف الافاضة.

قال: والذی بعثک بالحق عن هذا جئت أسألک.

قال: فإنک إذا خرجت من بیتک تؤم البیت الحرام، لا تضع ناقتک خفاً ولا ترفعه إلا کتب الله لک به حسنة وحط عنک به خطیئة

ورفعك درجة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل.

وأما طوافك بين الصفا والمروة بعد ذلك، كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا يباهى بكم الملائكة، يقول هؤلاء عبادى جاؤوا شعثاً شفعاء من كل فج عميق، يرجون رحمتى ومغفرتى، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل وكعدد القطر وكزبد البحر لغفرتها!

أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له...

وروى بعضه فى كنز العمال:۵/۷۱ وروى فى/۷۴:

ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف فيستقبل القبلة ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير، مائة مرة ثم يقرأ أم الكتاب مائة مرة، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله مائة مرة، ثم يسبح الله مائة مرة فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مائة مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة، إلا قال الله تعالى: يا ملائكتى ما جزاء عبدى هذا سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى ومجدنى ونسبنى وعرفنى وأثنى على وصلى على نبيى.. إشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له وشفعته فى نفسه، ولو شاء أن يشفع فى أهل الموقف لشفعته. (هب وابن النجار والديلمى عن جابر) قال أبو بكر بن مهران الحافظ: تفرد به عبدالرحمن بن محمد المحاربى عن محمد بن سوقة وقال (هب): هذا متن غريب وليس فى إسناده من نسب إلى الوضع.انتهى.

وقد أوردنا عدداً من أحاديث عرفة فى المجلد الثانى، فى أحاديث النزول وغيرها، ونقدنا مافيها من تجسيد!

شفاعة النبى الخاصة لزوار قبره

فى الكافى:۴/۵۴۸:

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبان عن السدوسى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتانى زائراً كنت شفيعه يوم القيامة. ورواه فى تهذيب الأحكام ج۶ ص۴

وفى تفسير نور الثقلين:۱/۵۴۱:

على بن محمد بن بندار عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمى عن أبى حجر الاسلمى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة ومن أتانى زائراً وجبت له شفاعتى ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة. ورواه فى من لا يحضره الفقيه:۲/۵۶۵ وفى تهذيب الأحكام:۶/۴ وفى وسائل الشيعة:۱۰/۲۶۱

وروى فى الوسائل:۱۰/۲۶۳:

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وآله قال: من زارنى حياً أو ميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة.

وفى المقنعة للمفيد/۴۵۷:

روى عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زارنى بعد موتى كان كمن هاجر إلىَّ فى حياتى، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلىَّ بالسلام، فإنه يبلغنى.

وقال عليه السلام: من أتانى زائراً، كنت شفيعه يوم القيامة.

وفى مستدرك الوسائل:۱۰/۱۸۵:

القطب الراوندى فى لب اللباب: عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: من زار قبرى وجبت له شفاعتى، ومن زارنى ميتاً فكأنما زرارنى حياً.

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: من زار قبرى حلت له شفاعتى.

وفى سنن الدار قطنى:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من زار قبرى وجبت له شفاعتى.

ورواه الذهبى فى تاريخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنى بعد موتى وجبت شفاعتى.

وفى هامش طبقات المحدثين بأصبهان:۲/۱۶۷ ونحوه فى:۱/۵۵:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى، كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة. انتهى.

وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وآله على ما ورد فيه ذكر الشفاعة، وسنورد بقية أحاديثها فى محلها إن شاء الله تعالى، مع الجواب على شبهة الوهابيين فى تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وآله!

هذا وقد تقدم ذكر عدد من الاصناف الذين يستحقون الشفاعة فتشملهم، أو يعطيهم الله تعالى حق الشفاعة بغيرهم ويقبل شفاعتهم، فى الفصل السادس (حدود الشفاعة) وهم أنواع عديدة.

وكل هذه الأحاديث تدل على أن شفاعة المؤمنين حقيقةٌ مسلَّمَةٌ عند الجميع، فلا عجبَ أن تكون شفاعة الأئمة الأطهار من عترة النبى أعظم من جميع الشفاعات بعد شفاعة جدهم، وأشمل وأكمل، صلى الله عليه وعليهم، ورزقنا شفاعتهم.

تم المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية

ويليه المجلد الرابع إن شاء الله تعالى، وأوله بحث شفاعة أهل البيت عليهم السلام

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹